

السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ٤/١٣/٩



كتاب الامام

بالإعلام فيما جرت به الأحكام و الأمور المقضية في وقعة الإسكندرية

لمحمد بن قاسم بن محمد النويري الإسكندري

(المتوفى بعد سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٢ م)

الجزء الرابع



تحقيق

الدكتور عزيز سوريال عطية
من مخطوطة برلين و بانسكى پور

طبع

باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت إدارة

محمد علي العباسي مدير دائرة المعارف العثمانية

مطبوعات دار المطبعة العثمانية بمصر

١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م

**Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.**

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ

السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ٤/١٣/٩



كتاب الامام

بالإعلام فيما جرت به الأحكام و الأمور المقضية في وقعة الإسكندرية

لمحمد بن قاسم بن محمد النويري الإسكندراني

(المتوفى بعد سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٢ م)

الجزء الرابع

تحقيق

الدكتور عزيز سوريال عطية
من مخطوطة برلين و بانسكى پور

طبع

بإعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت إدارة

محامد على العباسى مدير دائرة المعارف العثمانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م

132306

جميع الحقوق محفوظة
لدارة المعارف العثمانية بحيدرآباد

All copyrights reserved.

W. J. ...
BULAYON - 243004 (S.F.)

محتويات الجزء الرابع

من

كتاب الإمام

صفحة	موضوع
١	بناء الإسكندرية
٤	شجرة نحاس بأرض رومة
٥	تاج أهل مصر
٩	الأقاليم السبعة و مدنها
	ذكر ملوك الإسلام بمصر بعد الثلاثمائة سنة للهجرة إلى سنة
١٦	خمس و سبعين و سبعمائة
٥	الدولة الإخشيدية
٢١	الدولة الفاطمية
٤٩	الدولة الأيوبية
٥٠	المؤلف و ظفر القبرسي بالإسكندرية
٥٣	ذكر الصوفية
٦٢	من أخبار صلاح الدين الأيوبي
٧٤	أبواب القاهرة
٧٥	أخبار الظاهر بيبرس

الإقطاع

٨٠

وقعة بيرس و محي الدين النورى

٨١

أخبار السلطان قلاون

٨٧

سلطنة الأشرف خليل

٩٣

سلطنة الناصر محمد الأولى

١٠٤

سلطنة العادل زين الدين كتبغا

١٠٥

سلطنة حسام الدين لاجين

١٠٨

سلطنة الناصر محمد الثانية

١١١

سلطنة بيرس ششكير

١١٢

سلطنة الناصر محمد الثالثة

»

الزلازل و الطاعون و الأهوية و الفيضان و الغلاء

١٢٤

ذكر محاسن الناصر محمد

١٤٤

الكواكب و الأفلاك و الأبراج

١٥٩

استدارة الأرض و أبعادها

١٦٢

الجبال و البحار و الأنهار و العيون و المدن

١٦٣

خلفاء الناصر محمد

١٦٤

مرثاة الإسكندرية للنستراوى

١٧١

حكايات جرت بالإسكندرية حين الوقعة

١٧٩

فضل الشهادة و الشهداء

١٨٨

فى

ب

١٩٧	في تلقين الميت و غير ذلك مما يتصل بالموت و القبر
٢٣٥	الجسم و النفس و الروح و العقل
٢٤٩	ما قيل في القلب
٢٥٠	في اعضاء الجسم البشرى
٢٥٣	في وظائف الاعضاء
٢٦٦	حمد الله على ثمانية
,	وظيفة العين و الاذن و اللسان
٢٦٧	ما قيل في الازمنة و الطبائع
٢٧٣	حكاية تشتمل على فرج بعد حرج
٢٧٨	حكاية قاض من بنى اسرائيل
٢٨٢	حكاية تشتمل على فراق الاحبة
٢٨٦	حكاية العجوز النصرانية
٢٨٩	حكاية تشتمل على غنى بعد فقر
٢٩٠	حكاية حرجة مؤلمة مزعجة
٢٩٣	حكاية تشتمل على فرج بعد أسر
٢٩٥	حكاية المرأة المرتدة
٢٩٨	حكاية المرأة المهتدية
٣٠٢	حكاية مروءة مع تغرير بالنفس
٣٠٦	حكاية تشتمل على قوة قلب و تعزيز بالنفس

٣٠٧	حكاية تشتمل على فزع و جزع و فرج بعد شدة
٣١١	حكاية عن الحجاج بن يوسف الثقفي
٣٢٦	حكاية مؤلمة لقلب امرأة مسلمة
٣٣٠	حكايات في الودائع
٣٣٤	حكاية في المخاصمة
٣٣٦	حكاية فقيه و أعرابي بطريق مكة
٣٣٨	حكاية في تأدية الشهادة
٣٤٠	حكاية رجل و امرأة و بعض المفتين
٣٤٧	النخعي عن العدة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[بناء الاسكندرية]

ولما أراد الإسكندر أن يبنى مدينة يسميها باسمه ، اختار مصر ، فلما عزم على بناء الإسكندرية دعا ثلاثة نفر من الصناع يولهم بناء المدينة ، فجعل أحدهم على أساس المدينة وإحكامها ، وولى الآخر طرق المدينة و نصب أسواقها ، وولى الثالث بناء القصور و الدور . فبلغ ذلك هـ أرسطاطاليس معلم الإسكندر وما أمر به الإسكندر من بناء المدينة ، فأرسل إليه أرسطاطاليس أنه لا ينبغي أن تبنى مدينة على السعة و العِظَم ، فانك لا تجد بدا من أن تسكنها أصنافاً ٣ من الأمم ، اختلاف اللغات ، ولست تأمن أن يتمايلوا عليك ' فيقتلونك أو يخرجونك ' من المدينة ، وأخوف ما يكرن ذلك في يوم عيد ، و إذا أردت جمع أهلها لأمر تحدثه فيهم ١٠

(١) زيد في بن : بتقويم الآخر بتقويم .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) في بن : أصناف .

(٤-٤) في الأصلين : فيقتلوك أو يخرجوك .

(٥) في بن : عيده .

لم يجتمعوا إليك أيما ، ولو جعلت شعير البلاد لهم سويقا لم يشبعهم ذلك . فشق ذلك على الإسكندر من رأى أرسطاطاليس و داخله من ذلك همّاً و فكرة ، فدعا إليه رؤساء المنجمين و أهل العلم و الأدب و النظر ، فأعلمهم بما أشار إليه أرسطاطاليس فقالوا له : أيها الملك الرشيد ، لا يحزنك ذلك [٢١٤ : ب] و لا يهولك ذلك ، و كن واثقا بها ، و إنها ستكون مدينة عامرة سليمة واسعة العيش ، ذات خصب كثير ، يحمل إليها أهل البلدان تجارتهم ، و ليس أحد من الصناع يعالج فيها صناعة إلا كان عزيزا . فسر ذلك الإسكندر ، و جدّ فيما أشاروا عليه و عزم على البناء ، و أمر عماله بالجد في ذلك حرصا على تخليد اسمه ، ١٠ و بقاء ذكره ، حين علم أن لا سبيل إلى تخليد جسمه . و قد كان أناس من الأوائيل يخلفون صورهم أصناما عند أهلهم لكيلا تنسى منازل صورهم . و في رسالة استقراطس عن الإسكندر أن الإسكندرية أقامت حتى كملت بعد الإسكندر في ثلاثمائة سنة ، و أن أهلها مكثوا سبعين سنة لا يمشون فيها إلا بخرق سود على وجوههم مخافة على أبصارهم من شدة بياض حيطانها . و مناراتها العجيبة على سرطان ٢ من زجاج ٢ مطل على البحر . و كان فيها سوى أهلها - أعنى الإسكندرية - مائة ألف من

(١) في بن : هموم .

(٢-٢) ساقطة من بر و واردة في بن .

اليهود خول لأهلها . و قد تقدم ذكر وضع أساس الإسكندرية و هدم
الشياطين له حتى احتيل على دفعهم عنه فتمت عمارتها .

و قيل عجائب الدنيا أربعة : مرآة كانت معلقة بمنارة الإسكندرية ،

فكان يجلس الحالس عليها فيرى من بالقسطنطينية و بينهما^١ عرض

البحر^٢ ؛ و صنم من نحاس بأرض الأندلس باسط يديه أى ليس^٣ مثلى^٥

كذلك^٣ فلا يطأ تلك الأرض أحد إلا ابتلعه^٤ ؛ و منارة بأرض عاد

فاذا كانت الأشهر الحرم^٥ هطل منها الماء فشرب الناس و سقوا و صبوا

في الحياض فاذا ذهب^٦ الأشهر الحرم انقطع ذلك الماء .

و قد نهى الله تعالى عن الذنوب في الأشهر الحرم ، لأن العمل

الصالح فيها أجره يضاعف^٧ ، و كذلك العمل الردي يضاعف أيضا^{١٠}

قال الله تعالى : ” إِنْ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كَتَبِ اللَّهِ

يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ فَلَا تَظْلَمُوا

فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ” . و الأشهر الحرم منها شهر فرد و هو رجب و ثلاثة

(١) في بن : و بينها و بينها .

(٢) في بن : البحار .

(٣-٣) بياض في بن .

(٤) في بن : ابتلعه - و جائز أن يكون هذا هو الصواب .

(٥) بقية العبارة من هنا ساقطة من بن إلى « انقطع ذلك الماء » .

(٦) في بر : ذهب .

(٧) قرآن كريم ٩ : ٣٦ .

سرد و هي ذو^١ القعدة و الحجة و المحرم . و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب ما ورد في فضل شعبان و رمضان و الأشهر الحرم إن شاء الله تعالى - انتهى ٢ .

[شجرة نحاس بأرض رومة]

٥ نعود ، و بأرض رومية شجرة من نحاس عليها سودانية من نحاس ، فإذا كان [٢١٥ : الف] أو ان^٣ الزيتون صفرت السودانية التي هي^٤ من نحاس فتجىء كل سودانية من الطير بثلاث زيتونات ، زيتونتين في رجلها و زيتونة في منقارها ، فتلقبها على تلك السودانية النحاس ، فيعصرون أهل مدينة رومية ما يكفيهم لسرجهم و أدمهم إلى قابل - انتهى ٢ .

[نتاج أهل مصر]

١٠ فلنذكر الآن نتاج^٥ أهل مصر^٤ إن شاء الله تعالى^٤ ، و لأهل مصر النتاج العجيب من الخيل و البغال ، و الخيل المدربة على الحروب ، و الجوارح المعلمة على الصيد ، ترتفع أقدارها ، و تغالي^٦ في أثمانها ، لامتيازها بالفضائل

(١) في بر : ذى - و صوابه في بن كما أوردناه بالنص .

(٢) الكلمة واردة في بن و ساقطة من بر .

(٣) في بن [ص ١٥٨ : الف] : أول .

(٤-٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن نتائج .

(٦) في الأصين : و تغالا .

المكتسبة . و سأذكر^١ لمعا من^٢ أخبار الخيل^٣ و الجوارح المعلقة و كلاب الصيد فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

و لأهل مصر معدن الزمرد ، و لهم زيت الفجل و البسر و النبق و البيران^٤ و النيدة و الجلبان . و ذكر أهل العلم أنه ليس يكاد من رهبان الشام إلا أعمش من أكلهم العدس ، و رهبان مصر سالمون من ذلك مع^٥ أكلهم الجلبان .

و لأهل مصر البقر الخيسية المؤبلة لا تعمل و لا تثير الأرض بالحرث بل للحلاب فقط ، و هي أحسن البقر صورا ، و بقر مصر العاملة ليس في الدنيا بقر^٦ أعظم منهن خلقا ، و إن^٧ العضو منهن يساوي أكثر من ثور من غيرها .

١٠

و لأهل مصر حطب الصنط و القرظ الذي تعلفه الدواب . و ذكر بعض أهل العلم أنه يوقد بالحطب الصنط عشرين سنة في الكانون ، فلا يوجد له رماد^٨ طول هذه المدة ، و يقد أخضرا و يابساً و هو شجر^٩ الحبط و القرظ^{١٠} .

(١) في بن : و سياتي .

(٢-٢) واردة في بن و ساقطة من بر ، و أضفنا منها واو العطف على الجوارح .

(٣) في بن : البيراف . و بهامش بر : خصوصيات مصر .

(٤) في الأصلين : بقرا .

(٥) كذا في بن ، و هي في بر بدون واو العطف .

(٦) كذا في بن ، و هي في بر : رمادا .

(٧-٧) في بن : القرظ و الحبط .

و يوجد بمصر في كل وقت من الزمان من المأكول والإدام
و المشعوم و سائر البقول والخضر جميع ذلك في الصيف و الشتاء ،
الا ينقطع منه شيء واحد لبرد و لا لحر . يوجد ذلك كله في الصيف ،
و يوجد بقيته في الشتاء غير مفقود منه شيء واحد ، و لا ينقطع و لا يتعذر
٥ و لا يوجد ذلك في غيرها .

و من كلام المصريين في شهور القبط و ما في كل شهر منها : كُلُّ
رطب توت ، و رمان باب ، و خروف هاتور ، و جدى كيهك ، و اشرب
ماء طوبه ، و اقعد في شمس امشير ، و كُلُّ ابن برمها ، و غسل برمودة ،
و تفاح بشنس ، و تين بونه و ايب ٢ ، و عنب مسرى .

١٠ و مصر فرضة مكة و المدينة و ساحلها و فرضة صنعاء و عدن و عمان
و الشحر و الهند و جزيرة سرنديب [٢١٥ : ب] و غيرهم ، يجلب إليها
الجواهر ٣ و الطرائف و الآنية في البحر حتى توفي المراكب بالقلم ،
و هي فرضة بحر الروم من العلایا و أنطاکیا و قسطنطينية و رومة و بلد
إفرنجة و طرابلس الغرب و تونس و القيروان و تاهرت و سجلماسة

(١ - ١) ساقطة من بن .

(٢) « و أيب » ساقط من بر و وارد في بن .

(٣) في بن [١٥٨ : الف] : الجوهر .

(٤) في بن : و الطرائف . و ربما كان أصوب .

(٥) في بر : توف . و في بن : تراف . و هو جائز .

(٦) في بن : و روميه .

و السوس^١ و طنجة و الأندلس و جزائر البحر مثل صقلية و اقريطش
و قبرس و رودس و نابل^٢ و غيرها من الجزر . يحمل إلى مصر رقيق
هذه البلدان كلها من الجوارى و الغلمان و النتاج^٣ و الحديد و النحاس
و الفضة البيضاء و الرصاص و القزدير^٤ و الزنجفر و العفص^٥ و خشب
البقس و القرو و الصنوبر و الشوح و الصوارى و المجاذيف و المدارى^٥
و خشب الشباب الغشيم^٥ و القطع^٦ و الطوافر^٧ و المرجان و العنبر
و الزعفران و الكحل و الزئبق . و لا يحمل الزئبق إلا فى جلود الكلاب
لا فى غيرها من الجلود لقوة جلود الكلاب على حمله ، و إذا حمل^٨ فى
غيرها من الجلود خرقها و خرج منها لثقله عليها . و كذاك يحمل إلى مصر
من جزر البحر الرومى البزاة و الصقور و الشواهين و الكواهى و العقبان^{١٠}

(١) فى بن : والسوسة .

(٢) كذا فى الأصلين ، و ربما كان المقصود إحدى الجزر القريبة منه نابولى Naples
و التابعة لها .

(٣) فى بن : و الساج .

(٤ - ٤) فى بن : و الجوخ .

(٥ - ٥) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٦) فى بن : و القصع .

(٧) فى بن : و الطوافير . و زيد بعدها فى بن : و المبعه .

(٨) فى الأصلين : عمل . و الغالب أنه خطأ قلمى ، و ربما كان استعمالاً قديماً
للفظة « حمل » .

وسائر أنواع^١ التجارات كالزيت والعسل والجوز والبندق واللوز^٢
لا يضيق بها تجارتها، ولا يقصدون بها^٣ بلادا سواها^٤ . فلا أهل مصر
جباها^٥ كله وسائر الناس حيالته^٦ .

ولمصر من الكور ثمانون كورة ليس^٧ فيها كورة إلا وفيها
ظرائف^٨ . عجائب من أصناف البر والآنية والطعام والشراب والفاكهة
وجميع ما ينتفع به الناس، يعرف صنف كل كورة وجهازها، وينسب
كل لون منه إلى كورته، فصعيدا أرض حجازية حرها حر الحجاز،
تنبت النخل والقرظ والقصب والدرم، وأسفل أرضها شامى يمطر
بمطر الشام، والنبت ثمار الشام من العنب والتين واللوز وسائر الفاكهة
١٠. والبقول والرياحين، وكورة الإسكندرية فيبرارى^٩ . جبال وغياض
وكروم . وهى برية بحرية جبلية، بلاد إبل وماشية وتاج وعسل
والبن . وبكل كورة^{١٠} من كور مصر مدينة بها آثار كريمة من الأبنية
والصخور والبراني والعجائب، فمنها الإسكندرية فى أبنيتها وعجائبها .

(١) فى بن : أصناف .

(٢ - ٣) هذه الأصناف ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٣) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن [١٥٨ : ب] .

(٤) فى بن : بلاد اسواقها .

(٥) فى بن : حيارها .

(٦) بهذه الجملة نغوض فى التركيب والمعنى ولعلها : لا يضيق بها تجارتها

فلا أهل مصر خيارها وسائر الناس حيالته . والمقصود ما تبقى عن مصر وهى

كلمة عربية . (٧) فى بن : وليس .

(٨) فى بن : والطرائف، وربما كان أصوب .

(٩) فى بن : فيوادی . (١٠ - ١٠) فى بن : ونخل كوره .

(٢) وأجمع

وأجمع الناس أنه ليس بالدنيا بناء بالوحي غير هذه الكورة . وحجر
اللاهون أحد عجائب الدنيا ، بناء يوسف الصديق عليه السلام . وكانت
ملوك الفرس تأتي إليه لتشاهده [٢١٦ : الف] وهو بصعيد مصر
الأدنى بالقرب من الفيوم بالخليج المعروف بالمنهى الذى حفره يوسف
عليه السلام .

[الأقاليم السبعة و مدنها]

ذكر الأقاليم السبعة و ما فيها من المدن المشهورة .
الأقاليم السبعة على بروج السماء مدن كبار عظام ، مدينتان في
إقليم زحل و مدينتان في إقليم المشتري و مدينتان في إقليم المريخ
و مدينتان في إقليم الشمس و مدينتان في إقليم الزهرة و مدينتان في ١٠
إقليم عطارد و مدينتان في إقليم القمر . و قيل إن الأقاليم السبعة إقليم
في أرض المغرب و إقليم في أرض الروم و إقليم في أرض الحبشة و إقليم
في أرض الهند و إقليم في أرض الترك و إقليم في أرض الصين و إقليم
في أرض ياجوج و ماجوج ، لا يدخل هؤلاء و لا هؤلاء أرض هؤلاء .

(١) في بن : بنا .

(٢) في بن زيد ما يلي و الجملة مكررة : و هو بصعيد مصر لتشاهده .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : و بالخليج .

(٥) زيد في بن : الصديق .

(٦ - ٦) هذا الجزء ساقط من بر و وارد في بن .

الإقليم الأول يبتدئ من المشرق ببلاد الصين فيمر على بلاد الصين مما يلي الجنوب ، وفيه مدينة الصين والشقيرا ، ثم يمر على سواحل البحر في جنوب بلاد الهند ثم بلاد السند ، ثم يمر في البحر إلى جزيرة الكولة ، و يقطع البحر إلى جزيرة العرب وأرض اليمن ، فيكون فيه من المدن المعروفة ظفار و عمان و حضر موت و عدن و صنعاء و العنق و تانا و تبالة و مهرة و سبأ ، ثم يقطع الإقليم بحر القلزم ، فيمر على بلاد الحبشة ، و يقطع نيل مصر . وفيه هناك مدينة ملك الحبشة و تسمى جرمة ٢ و ماقه إلى أن ينتهي إلى بحر المغرب .

و أما الإقليم الثاني ٣ فانه يبتدئ من المشرق فيمر على بلاد الصين ١٠ ثم على بلاد الهند ثم السند ، وفيه مدينة المنصورة و البرود و الدليل ، ثم يلتقي البحر الأخضر في بحر البصرة ، و يقطع جزيرة العرب في أهل نجد و أهل تهامة ، وفيه من المدن هناك البامة و البحرين و هجر و مدينة يثرب و الحجاز و مكة و الطائف و جدة ، ثم يقطع بحر القلزم ، و يمر بصعيد مصر ، فيقطع النيل . وفيه من المدن قوص ٤ و أخميم و أنصنا ١٥ و أسوان . ثم يمر في أرض المغرب على وسط بلاد إفريقية و بلاد البربر ، ثم ينتهي إلى بحر المغرب .

(١) في بن : فالإقليم - و بهامش بر : الأقليم الأول - و بهامشه أيضا بقلم يختلف نوعا عن قلم الناسخ : مطلب معرفة الأقاليم السبعة و حدودها .

(٢) في بن : حرمة - انظر ياقوت معجم البلدان ج ١ ص ٢٩ : جرّمي .

(٣) في هامش بر : الإقليم الثاني .

(٤) الكلمة - اقطه من بن .

و أما

و أما الإقليم الثالث^١ فانه يبتدئ من المشرق فيمر على بلاد الصين و على بلاد الهند، ثم على شمال السند، ثم على بلاد كابل و سجستان، ثم يمر على بحر البصرة. فيه من المدن هناك مدينة اصطخر و جور و سابور و شيراز و سیراف و حنانا و سلس و مهربان^٢ ثم كور الأهواز و العراق، وفيه البصرة و واسط و بغداد و الكوفة و الأنبار و هيت. ثم يمر على بلاد الشام، و فيه من المدن هناك سلمية و حمص و دمشق و صور و عكا و طبرية و بيت المقدس و الرملة و عسقلان و غزة و القلزم. ثم يقطع أسفل^٣ أرض مصر و الفرما و الإسكندرية. ثم يمر على برقة^٤ و طرابلس و بلاد إفريقية، و فيه مدن^٥ القيروان، و ينتهي إلى الغرب^٥ لمدينة فاس و أعمالها.

١٠

و أما الإقليم الرابع^٦ فيبتدئ من المشرق، فيمر على بلاد التبت، ثم يمر على [٢١٦ : ب] بلاد خراسان، فيكون فيه من المدن خجندة و فرغانة و سمرقند و بلخ و بخارى^٧ و هراة و مرو و سرخس و طوس و نيسابور و جرجان و قومس و طبرستان و الديلم و الري و أصبهان و قم

- (١) في هامش بر: الإقليم الثالث.
- (٢) ساقطة من بن.
- (٣) عن بن [١٥٩ : الف]، و في بر: برقا.
- (٤) في بن: من المدن.
- (٥) في بن: القرب.
- (٦) في هامش بر: الإقليم الرابع.
- (٧) في الأصلين: بخارا.

وهمدان و نهاوند و الدينور و سُرَّ من رأى و الموصل و رأس العين
 و سميساط و حران و الرقة و قرقيسيا . ثم يمر على بلاد الشام ، و فيه
 من المدن هناك بالس و منبج و حلب و قنسرين و انطاكية و طرابلس
 و المصيصة و صيدا و بيروت و أدنه و طرسوس و عمورية و اللاذقية .
 ٥ ثم يمر في أرض المغرب على بلاد طنجة ، و ينتهى إلى بحر المغرب ٣ .
 و أما الإقليم الخامس ٤ فانه يبتدئ من ياجوج و ماجوج ، ثم يمر
 على شمال خراسان ، فيكون فيه من المدن هناك الطيراز و هى مدينة
 التجار ، و خوارزم و سنجار و اذربيجان و كور ارمينية و خلاط و جرهية
 و رومية الكبرى . ثم يمر على سواحل الشام . ثم يمر على بلاد الأندلس
 ١٠ طرطوشة و سرقةطة و طليطلة و قرطبة و أشبيلية و ماردة و مالقة حتى ينتهى
 إلى بحر المغرب .

و أما الإقليم السادس ٥ فانه يبتدئ من المشرق من ياجوج و ماجوج ،
 ثم يمر على بلاد الخزر ، و يقطع وسط حرجان و بحرها إلى بلاد الروم .
 ثم يمر على جروان و ماسيا و القسطنطينية و إفريقية و بلاد نوحان إلى
 ١٥ بحر المغرب .

(١) كذا فى بن ، و هى فى بر : رأسى العين .

(٢) فى بن : و أطرابلس .

(٣) فى بن : الغرب .

(٤) فى هامش بر : الإقليم الخامس .

(٥) فى بن : جرهية - بسقوط واو العطف .

(٦) فى هامش بر : الإقليم السادس

و أما الإقليم السابع^١ فانه يبتدئ من ياجوج و ماجوج ، ثم يمر على بلاد الترك على سواحل بحر جرجان و الصقالبة ، و ينتهى إلى بحر المغرب .
فهذه الأقاليم السبعة فيها المدن^٢ المذكورة و غيرها من المدن^٣ الكثيرة ، تركت ذكرها لكثرتها و طلبا للاختصار ، و فى هذا القدر^٤ كفاية .

٥

و كل إقليم للملكة اسم ، فاليمن يقال لمن ملكه تسبع ، و الفرس كسرى ، و الروم قيصر ، و اليونانية^٥ بطليموس ، و الترك خاقان ، و الحبشة النجاشي^٦ ، و الخزر طرخان ، و مصر فرعون ، و الهند^٧ الأركن ، و الصين بغفور^٨ .

و اعلم أن خط الاستواء^٩ من المشرق إلى المغرب ، فالبلاد التى^{١٠} تكون أطوالها و أعراضها واحدة فى درج الفلك تعد^{١١} إقليما مثل أن يكون بلد بالاندلس و بلد بأفريقية و بلد بالصين تكون أعراضهم و أطوالهم

(١) فى هامش بر : الإقليم السابع .

(٢-٢) العبارة ساقطة من بن .

(٣) زيد فى بن : المذكور .

(٤) فى بن : للملكة . و زيد فى هامش بر : أسماء الملوكة .

(٥) فى بن : و اليونان .

(٦) فى بن : بالنجاشي .

(٧-٧) ساقطة من بر و واردة فى بن . و جائز أن تكون « بغفور » يغفور .

(٨) فى هامش بر : خط الاستواء .

(٩) كذا فى بن ، و هى فى بر : يعد .

سواء فيعدوا بذلك إقليبا واحدا . قال الشاعر ^١ من قصيدة مدح بها جعفر

ابن أبي القاسم ^١ [٢١٧ : الف] :

مدى ^١ الدهر ما دامت نجوم بأفقها تلوح ودام الإستواء مع الخط

^٢ . سأذكر هنا ما قاله ^٣ أبو القاسم محمد بن هاني ^٤ في نجوم السماء من

قصيدة له مدح بها جعفر بن أبي القاسم :

أليمتنا إذ أرسلت واردا ^٥ وحتفا ^٦ وبتنا نرى الجوزاء ^٧ في أذننا ^٨ شفا

وقد فككت الظلماء بعض قيودها ^٩ وقد قام جيش الليل للصبح فاصطفا

وولت نجوم للثريا كأنها ^{١٠} خوائم تبدو ^{١١} في بنان يد تخفا

فتنى على آثارها دبرانها ^{١٢} كصاحب رده كيت ^{١٣} خيله خلفا

^{١٤} . وأقبلت الشعرى العبور ملبدا ^{١٥} بمرزمها اليعبوب يحنبه طرفا

وقد بادرتها أختها من ورائها ^{١٦} لتخرق من ثنى ^{١٧} مجرتها سحفا

^{١٨} تخاف زئير ^{١٩} الليث قدم نثرة ^{٢٠} وبربر في الظلماء ينسفها نسفا

كأن السماكين الذين تظاهرا ^{٢١} على لبدتيه ضامنان ^{٢٢} له حتفا

(١ - ١) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٢) في بن : مدا .

(٣ - ٣) في بن : و قال .

(٤ - ٤) مكررة خطأ في بن .

(٥) في بن : تبدوا .

(٦) في بن : كمنت .

(٧) في بن : مكبلة .

(٨ - ٨) في بر : خاف زيرا . وأغلب الظن صحته في بن كما أوردناه بالنص

و يستقيم بذلك ميزان البيت .

فذا راح يهوى إليه سنانـه وإذا أعزل قد عض أنمله لهفا
 كأن رقيب النجم أجدل مرقب يقلب تحت الليل في ريشه طرفا
 كأن بني نعش و نعشا مطافل بوجهة^١ قد أضلن في مهمه^٢ خشفا
 كأن سهيلا في مطالع أنفه مفارق ألف لم يجد بعده ألفا
 كأن^٣ سهاها عاشق بعد عودها^٤ فأونة يبدوا وآونة يخفا^٥
 كأن معلا قطبها فارس له لواءان مركوزان تذكرة الزحفا
 كأن قداما النسـر و النسـر واقع قصصن فلم تسم^٦ الخوافي به ضعفا
 كأن أخاه حين دؤم طائرا أني^٧ دون نصف الليل^٨ فاختطف النصفا
 كأن الهزيع الابنوسى رهبة^٩ سرى بالنسيج الخسروانى ملتفا
 كأن ظلام الليل إذ مال ميله صريع مدام بات يشربها صرفا^{١٠}
 كأن عمود الفجر خاقان معشر من الترك نادى بالنجاشى فاستخفا
 كأن لواء الشمس غرة جعفر رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

(١) في بن [١٥٩ : الف] : بوخزة .

(٢) في بر التاء المربوطة منقوطة و النقطة خطأ لأن الكلمة « مهمه » بالهاء الغير منقوطة في بن و يستقيم المعنى بذلك .

(٣) « كأن » ساقطة من بن .

(٤) في بر : عود . و هي كما أوردناه بالنص في بن .

(٥) في بن : تسموا .

(٦) في بر : أنى - بالنون و هي في بن بالتاء .

(٧) الكلمة ساقطة من بن .

(٨) كذا في بن ، و هي في بر : وهبة .

١. ودخل إلى المدح وهي طويلة^١ . وكانوا يقولون : اطلبوا الرزق في
البعد فانكم إن لم تغنموا مالاً غنتم عقلاً . وقالوا : من تعذر عليه
الرزق فعليه بمدينة عمان . ومن مفاخرة^٢ أهل مصر أنهم لا يطلبون
الأموال والمتاجر^٣ في غير مصر ، وجميع تجار البلدان يطلبون الرزق
٥ [٢١٧ : ب] بها .^٤ واعلم أن الرزق لا يجره حرص حريص ، ولا يردّه
كراهية كاره . قال الشاعر :

مالك ضامن رزقي^٥ فلماذا أكلف الخلق رزقي

فكما لا يرد عجزى رزقي فكذا لا يجر رزقي حذقي^٦

ذكر^٧ ملوك الإسلام بمصر بعد الثلاثمائة^٨ سنة للهجرة^٩

إلى سنة خمس^{١٠} و سبعين و سبعمائة

١٠

[الدولة الإخشيدية^١]

كانت الدولة الإخشيدية من قواد الطولونية ، وكان طولون مملوكا

(١-١) في بن : وخرج .

(٢) في الأصلين : مقافرة - وأغلب الظن أنه خطأ قلبي لكلمة « مفاخرة » كما

أوردنا بالنص .

(٣) في بن : من المتاجر .

(٤-٤) هذا القسم ساقط من بر و وارد في بن (٥) كذا في بن .

(٦) في بن زيد : لمع من أخبار .

(٧-٧) في بن : من الهجرة النبوية و .

(٨) في بن : ثمان .

(٩) في هامش بر : طولون .

لأمير المؤمنين عبد الله المأمون بن الرشيد^١ ، فرزق طولون ولدا سماه^٢ أحمد ، فنجب فولى مصر نيابة لبني العباس ، ثم^٣ ولى بعده مصر ولده أبو الحسن خمارويه بن أحمد بن طولون^٤ . فأراد خمارويه أن يزوج ابنته من على ابن أمير المؤمنين المعتضد . فقال المعتضد^٥ إنه قصد أن يتشرف بنا فأنا^٥ أتزوجها ، فتزوجها المعتضد ، فأنت له معها بأموال جزيلة .

و أول الدولة الأخشيديّة^٦ طنج الفرغانى ، كان متوليا لخمارويه ابن أحمد^٧ بن طولون دمشق و الشام . ثم ولى الأخشيدي أبو بكر بن^٨ محمد بن طنج مصر . ثم ولىها بعده أبو الجون محمد^٩ بن أخشيدي . ثم ولىها بعده أبو المسك كافور الأخشيدي^{١٠} ، جلب من الحبشة و عمره^{١١} أربعة

- (١) و تاريخ حكمه ١٩٨ - ٢١٨ هـ = ٨١٣ - ٨٢٣ م .
- (٢) فى بن : اسماء (٣-٣) الجملة ساقطة من بن .
- (٤) زيد فى بن : لما بلغه ذلك - و حكم المعتضد ٢٧٩ - ٢٨٩ هـ = ٨٩٢ - ٩٠٢ م .
- (٥) فى بن : انا (٦) فى هامش بر : أول الدولة الأخشيديّة .
- (٧) استمر حكم الدولة الطولونية من ٢٥٤ هـ = ٨٦٨ م إلى ٢٩٢ هـ = ٩٠٥ م . و حكم الدولة الأخشيديّة ٣٢٣ - ٣٥٨ هـ = ٩٣٥ - ٩٦٩ م . و حكم أحمد بن طولون ٢٥٤ - ٢٧٠ هـ = ٨٦٨ - ٨٨٢ م و خمارويه ٢٧٠ - ٢٨٢ هـ = ٨٨٣ - ٨٩٥ م أما طنج فحكمه ٣٢٣ - ٣٣٤ هـ = ٩٣٥ - ٩٤٦ م .
- (٨) لفظ « بن » ساقط من بن .

(٩-٩) يلاحظ هنا اختلاف فى تفصيل الأسماء عما هو معروف مثلاً فى جداول زامباور ص ٩٣ و ستانلى لين بول ص ٦٩ مما يستحق المراجعة و البحث .

(١٠) حكمه ٣٥٥ - ٣٥٧ هـ = ٩٦٦ - ٩٦٨ م .

(١١) فى بن [١٦٠ : الف] : و كان ابن .

عشر سنة ، و ذلك فى سنة اثنى عشر و ثلاثمائة ، فكان عادلا فى حكمه محبوبا لرعيته لكرمه و سخائه و عدله ، و كان فى كل سنة فى ليلة عيد الاضحى يوقر بغلا ذهبيا و يفرقه فى أهل العلم و الخير و الصلاح . قال صاحب كتاب الاشارات فى الزيارات : إن مصر زلزلت فى ٥ ' دولته ستة أشهر ' ليلا و نهارا ، فأنشد محمد بن القاسم ' من قصيدة يقول فيها :

ما زلزلت مصر من سوء يراد بها لكنها رققت من عدله فرحاً ٣
و قيل إن كافور الاخشيد لما ملك مصر و عزمتم كتاب الدولة ' على كتابة ' تقليده ، فأمرهم أن لا يكذب أحد ، و لا يخفى جنسه ١٠ إذ هو عبد كان فتوقف ' الجميع عن ذلك ، فنهض أحدهم و قال : أنا

(١-١) فى بن : دولة كافور مستقلا شهراً .

(٢) فى بن : القسم .

(٣) ورد هذا البيت مع كلمة « خوف » بدلا من « سوء » منسوباً إلى محمد بن عاصم فى « سكر دان السلطان » (طبعة مصر ١٢٨٨ هـ) ص ١٣٣ عند الكلام عن كافور . و جاء نفس البيت فى السيوطى (كتاب حسن المحاضرة فى اخبار مصر و القاهرة - مطبعة الموسوعات بمصر ١٣٢١ هـ) ج ٢ ص ١٦٧ و لفظة « سوء » به و القصيدة من تأليف محمد بن القاسم بن عاصم .

(٤) فى بن : دولته .

(٥) فى بن : كتاب .

(٦) فى بن : فتوقوا . و صحته فى بن كما أوردنا بالنص .

أكتبه . فكتب : أما بعد فإن الفرس بكده ، و السيف بحده ، و المرء
بسعده ، لا بأبيه و جده ، إن هو إلا عبد أنعمنا عليه - ' قال بعضهم :
لو كان باللب يزداد اللبيب غنى لكان كل لبيب مثل كافور
لكنه الرزق بالقسطاس من حكم يقضى اللبيب و يعطى ذل ماخور
و قال الآخر ' :

٥

قد يرزق المرء لا من حسن حيلته
و يصرف الرزق عن ذى الحيلة الداهى
' ما مسنى من غنى يوما و لا عدم
إلا و قولى فيه الحمد لله ٣

[بن : ١٦٠ : الف] و لما سار أبو الطيب المتنبي الشاعر من دمشق إلى كافور ١٠
بمصر فمدحه بقصيدته التى قال فيها ما لم يمدح رأس أسود بأحسن

(١ - ١) هذا الجزء بما فيه البيتان ساقط من بن ، ثم أورده الناسخ بعد
البيتين التالين .

(٢) تبدأ هنا فى بر بفحوة كبيرة واردة فى بن من ١٦٠ : الف (سطر ٥) إلى
١٦٧ : ب (سطر ١١) و قد نسخناها عن بن فيما يلى ، و هى تكمل عرض الدولة
الإسلامية إلى عهد صلاح الدين الأيوبي حيث يستأنف الكلام من « نعود
إلى اخبار البخ » .

(٣) هذا البيت مع سابقه ورد فى بن قبل البيتين السابقين ، و سقط البيت
الأخير من بر .

منه ، فقال :

فجاءت به إنسان عين زمانه و خلت يابضا خطبها و مآقيا
فواضل كافور توارك غيره و من قصد البحر استقل السواقيا
و لم يعطه كافور ما يرضى به ، و أراد كافور الغض منه . فقال المتنبي :

ه ألا ليت شعري هل أقول قصيدة

فلا أشتكى فيها و لا أتعجب

أبا المسك ' هل في ' الكأس فضل لشارب '

فاني أغنى منذ حين و تشرب

ثم جعل من يكلم له كافورا ليوليه ولاية ، فقال كافور لذلك
١٠ الشفييع : أتكلمني في أن أولى رجلا أحق لسانه يزيد على عقله ؟
أما تعلم أنه ادعى النبوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو خير
ولد آدم و سيد النبيين و خاتم المرسلين ؟ أترأه إن صار واليا لا يدعى
الملك مع كافور الحبشي الخصى ؟ فضحك الشفييع و قال : مولانا الأستاذ
أعرف بما يقول و يفعل .

١٥ ثم ملك بعد كافور الأخشيد أحمد بن علي بن الأخشيد ، و هو آخر
من تولى من الأخشيدية مصر و عدتهم خمس نفر ، و كان آخر ملكهم
في سنة ثمان و خمسين و ثلاثمائة ، و مدة ملكهم أربعون ٣ سنة .

(١-١) مطموسة جزئيا في بن ، و لكن قراءتها ممكنة كما أوردنا بالنص .

(٢) في ديوانه : « أنا له » مكان « لشارب » .

(٣) في الأصل : أربعين .

[الدولة الفاطمية]

و كان كافور الأخشيدى خادماً^١ لأبي بكر محمد بن طغج ، فجهر
 أبو الحسن جوهر القائد غلام الإمام اسماعيل المنصور العبيدى^٢ من
 أرض القيروان بالمغرب جيشاً إلى مصر حارب و ملك منه من الأشمونين
 إلى الجيزة ؛ فوقع فناء بعسكر جوهر ، فرجع إلى أرض المغرب . ثم أتى^٣
 مصر ثانياً ، فوافى^٤ موت كافور فى سنة خمس و أربعين و ثلاثمائة ، و ولى
 مصر بعده أحمد بن على بن الأخشيد ، فخاربه جوهر مدة فلم ينجع له
 طلب . ثم رجع و عاد و حارب إلى أن ملك مصر ، و انتقل إليها المعز
 لدين الله من المهديّة و عمرّ القاهرة المعزية فى سنة اثنتين و ستين و ثلاثمائة ،
 فسميت القاهرة لقهره بنى العباس و أخذ مصر منهم .

١٠

قال ابن الرّيب فى تاريخه : و فى سنة ثمان و خمسين و ثلاثمائة انقطعت
 الدعوة العباسية من الديار المصرية بدخول جوهر الرّومى غلام المعز
 العبيدى المخطوب له بالخلافة فى إفريقية إلى مصر و استيلائه على أعمالها ،
 (١) فى الأصل : خادم .

(٢) كذا فى الأصل ، و قد ورد فيما سبق « أبو بكر بن محمد » (انظر ص ١٧ س ٧) .
 (٣) فى الأصل : أباً . و المقصود طبعاً جوهر الصقلّى فاتح مصر للدولة الفاطمية
 فى سنة ٣٥٦ هـ = ٩٦٩ م .

(٤) ربما كان المقصود هنا المنصور أبو طاهر اسماعيل خليفة المهديّ أبى محمد
 عبيد الله بالمهديّة و كان خلفه المعز لدين الله الفاطمى (٣٤١ - ٣٥٦ هـ = ٩٥٢ -
 ٩٧٦ م) الذى غزيت مصر فى عهده .

(٥) فى الأصل : فوافى .

و ذلك أنه اختلت أمورها بعد وفاة كافور الأخشيدى ، و وقع بها الغلاء العظيم و الوباء اللذان قتلا الخلق حتى أحصى من مات في أيام يسيرة فكانوا ستمائة ألف ، و اشتغل صاحب الجيش و التدبير الحسن بن عبيد ابن طغج بقتال القرامطة في الشام . و كان له معهم وقعات مشهودة .
 ه فلما استقرت هذه الأخبار عند المعز أخرج جوهر المذكور في عسكر و معه العدد الهائلة و الجمال عليها مفرغا كالأرحال ليهول ذلك المنظر من رآه ، و في جيش جوهر هذا يقول محمد بن الأندلسي في جملة قصيدة :
 رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع

و قال في أبياتها :

١٠ إذا حل في أرض بناها مدائنا وإن سار عنها أصبحت و هي بلاقع
 [بن ١٦٠ : ب] و كان في مصر قواد تجمع فدافعوا جوهر ففرق جمعهم ، و قتل من ظفر به منهم ، و أرسل إلى سيده المعز برؤسهم ، و من طلب الأمان سيره مكرما إلى إفريقية ، و كان دخول جوهر مصر يوم الثلاثاء الثالث عشر ليلة بقيت من شعبان من سنة ثمان و خمسين
 ١٥ و ثلاثمائة ، و خطب فيها للمعز ، و انقطعت منها الخطبة العباسية ، فلم تعد إلا ثي سنة سبع و ستين و خمسمائة على يد السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب . قال أبو الحسن الشرايى : و لما بلغ هذا الخبر بغداد لم ير أحد أن يطالع به الخليفة المطيع لله ، و تلطففت به حتى أعلمته بأن جيش

(١) في الأصل : دخل . و الأغلب أن الصحيح « حل » كما أوردنا بالنص .
 و يستقيم به وزن البيت .

الآخشيديّة على الهلاك لأن القرامطة أقبلوا إليهم من جهة شرقهم وجنوبهم ، و المغاربة أقبلت إليهم من جهة الغرب . قال : و قد بلغنا أن جيش ابن طنج على الرملة و وافى ^١ المغاربة إلى الرملة ، فقلت يا مولانا ما بقي بينهم و بين المغاربة ^٢ إلا خمسة مراحل ، قال فاستوى قاعدا ، و قد كان متسكنا و قال : فدخلوا إذا الديار المصرية ! قلت : كذا . و نخرج ^٣ من الحديث فأرسل حينئذ إلى عز الدولة بختيار بن نويه يسأله عن ذلك . فقال : أحسن الله عزاء ^٤ أمير المؤمنين في الديار المصرية ، و ما أروع سمع مولانا أمير المؤمنين بهذا لو لا ما سأل عنه ، لكن المطلوب بقاء أمير المؤمنين و بحضرته من اللبس و العدد و الرجال ما يقضى إن شاء الله تعالى بفتحها و بفتح غيرها إلى البحر الأخضر . قال فلما ^٥ رجعت له الرسالة قال : هذا يسمع الخاطر بتعليقه عن الديار المصرية . و قد أمر الخليفة المقتدر ^٦ أن () يجهز لها المستجاس و الدنيا حينئذ يده و قاسى عليها حتى امتلأت منه التواريخ و نحن الآن و قد أخذت منا مصر و ليس في حكمنا إلا هذا القصر الذى نحن فيه و الشيعة قد كثرت في الأقطار من حين رجوع مصر ، ثم قال : اعلم أن بنى نويه شيعة ، ^٧

(١) في الأصل : و وافى .

(٢) الكلمة مكررة بالأصل .

(٣) في الأصل : يخرج . و أغلب الظن أنها خطأ قلمى .

(٤) في الأصل : عزى .

(٥) الخليفة العباسى و حكمه ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ = ٩٠٨ - ٩٣٢ م .

(٦) ناقصة بالأصل و لزومها واضح للسياق .

و هم أول من يشمت بذهاب مصر و الجزيرة و الشام في أبدى بنى حمدان و هم شيعة ، و قد ذهب منهم أهل الوفا و المنا كناصر الدولة و سيف الدولة ، و بقي شبان أعمار لا يعرفون ودا ، و لا يحفظون عهدا ، و كأننا بهم و قد صاروا مع ابن ديسان - يعنى المعز - فكان كما قدره . و سيأتى ه خبر العبيدين المدعين أنهم فاطميون ، و ليس كذلك بل نسبتهم إلى ديسان .

نعود - و كان أحمد بن طولون في دولته عمرّ الجامع المعروف به في مكان يعرف ويشكر بين مصر و القاهرة بسبب رجل صالح ، فكان في المكان ، فحين وصل المعز إلى مصر أمر بأن يؤذن على جامع عمرو ١٠ ابن العاص و جامع ابن طولون بحى على خير العمل ، فاستدام ذلك في الأذان إلى حين انقضاء دولة العبيدين في سنة سبع و ستين و خمسمائة . فانقرض حينئذ ذكر حى على خير العمل بانقراض دولتهم ، أبطل ذلك السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب ، و أمر بالدعاء على المنابر لخلفاء بنى العباس كما كانت أولا بالديار المصرية و الشامية . ١٥ و سبب تسمية القاهرة بالقاهرة لغلبة العبيدين الشيعة على بنى العباس بأخذهم مصر منهم و قهرهم لهم عليها ، فقالوا نسميها القاهرة لقهرنا لهم . و تسمت العبيديون المذكورون بالفاطمين ، و ادعوا أنهم من ذرية فاطمة [بنت ١] النبي صلى الله عليه و سلم . و لما ولي المعز ملك مصر قال

(١) الكلمة سائطة من الأصل ، و لزومها واضح من السياق .

أبو القاسم محمد بن هاني الشيعي قصيدته^١ التي أولها .

تقول بنو^٢ العباس هل^٣ فتحت مصر فقل لبني العباس قضي الأمر
وقد جاوز الإسكندرية جوهر تطالع به البشرى و يقدمه النصر
أو قد أوفدت مصر إليه وفودها^٤ و زيد إلى المعقود من جسر ها جسر [بن ١٦١]
فما جاء هذا اليوم إلا وقد غدت وأيديكما منها ومن غيرها صفر
فلا تكثروا ذكر الزمان الذي خلا فذلك^٥ عصر قد تقضى و ذا عصر
أنى الجيش كنتم تمثرون^٦ رويدكم فهذا القنا^٧ العراض والجحفل المعجر^٨

(١) وردت القصيدة في طبعات ديوان ابن هاني و أقدمها طبعة بيروت ١٣٢٦ هـ = ١٩٠٨ م ، ثم طبعة زاهد على تحت عنوان تبين المعاني في شرح ديوان ابن هاني في القاهرة ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م ، و أحدثها نشرة كرم البستاني بعنوان ديوان ابن هاني الأندلسي في بيروت (دار صادر) ١٩٥٢ م . و قد صححنا النص على هذه الأخيرة كما أدخلنا بالحواشي بعض ما اسقطه الناسخ من الآيات نظرا لأهمية هذه القصيدة التاريخية و هي طويلة .

(٢) في الأصل : بنوا .

(٣) في الأصل : قد . و صحته في الديوان (كرم البستاني) ص ١٣١ .

(٤ - ٤) كذا في ديوان ابن هاني ص ١٢١ . و في الأصل : و قد وفدت إليه وفودها .

(٥) في الأصل : فذاك . و صحتها بالديوان ص ١٢١ .

(٦) في الأصل : تمرون . و صحتها من الديوان ص ١٢١ .

(٧-٧) في الأصل : العراض . و بقية البيت مطموس ، فأكلناه من الديوان ص ١٢١ . و يتلو هذا البيت بيت ساقط من الأصل و هو الآتي :

و قد أشرفت خيل الإله طوالعا على الدين و الدنيا كما طلع الفجر

وذا ابن نبي الله يطلب وتُره وكان حَرِّ أن لا يضيع له وتر
ذروا الورد في ماء الفرات لحيله فلا الضَّحَلُ منه تمنعون ولا الغمر
أفى الشمس شك أنها الشمس بعد ما تجلت عيانا ليس من دونها ستر
وما هي إلا آية بعد آية نذر لكم إن كان يغنيكم النذر
أطيعوا إماما للأئمة فاضلا كما كانت الأعمال يفضلها الر
ردوا ساقيا لا تنزفون حياضه جموماه كما لا تنزف الأبحر الذر
فان تتبعوه فهو مولاكم الذى له برسول الله دونكم الفخر
ولا فبعدا للبعيد^٦ فينه وبينكم ما لا يقربه الدهر
أفى ابن أبي السبطين أم فى طليقكم^٧ تنزلت الآيات و السور الغر؟

(١) فى الأصل : حرا .

(٢) فى الأصل : الضحك . و صحته من الديوان ص ١٣٢ .

(٣) المقصود بكلمة « النذر » الإنذار و إلى هذا البيت فى القصيدة آخر ساقط
من النص (انظر الديوان ص ١٣٢) :

فكونوا حصيدا خامدين أو ازعوا إلى ملك فى كفه الموت و النشر

(٤) فى الأصل : يعرفون . - و صحته من الديوان ص ١٣٢ .

(٥) فى الأصل : جموحا . - و صحته بالديوان ص ١٣٢ . و الجموم الكثير الماء،

و الذر صغار النعل .

(٦-٦) الشطر مطموس أغلبه فى الأصل ، و قد أخذناه عن الديوان ص ١٣٢ .

(٧) فى الأصل : طليعتكم . و صحته من الديوان ص ١٣٢ . و المقصود بابن

أبي السبطين على بن أبي طالب و الطليق هو عباس بن عبد المطلب أصل

العباسيين .

'بني نثلة ما أورث الله نثلة' ١ و ما نسلت^٢ هل يستوى العبد والحر؟
 و أنى بهذا و هي أعدت برقها أباكم فاياكم و دعوى هي الكفر
 ذروا الناس ردوهم إلى من يسوسهم فما لكم في الأمر عُرف و لا نُكر
 أسرتم قروما بالعراق أعزة فقد فكّ من أعناقهم^٣ ذلك الأسر
 و قد بزّكم أيامكم عُصب الهدى و أنصار دين الله و البيض و السمير^٥
 'و مقتبل أيامه متهلل' إليه^٥ الشباب الغض و الزمن المنظر
 أدار كما شاء الورى و تحيّزت على السبعة الأفلاك أنمله العشر
 أتدرون من أزكى البرية منصبا و أفضلها إن عُدد البدو و الحضر؟
 تعالوا إلى حكام^٦ كل قبيلة ففى الأرض أقبال و أندية زهر
 و لا تعدلوا بالصيد من آل هاشم و لا تتركوا^٧ ففرا^٧ و ما جمعت فهر^{١٠}
 فجيئوا بمن ضمت لؤى بن غالب و جيئوا بمن أدت كنانة و النضر
 و لا تذروا عليا معدّ و غيرها ليُعرف منكم من له الحق و الأمر

(١ - ١) فى الأصل : فى نسله ما أورد الله مثله . - و التصحيح من الديوان

ص ١٣٢ . و المقصود بنى نثلة أم عباس بنت جناب بن كليب .

(٢) الكلمة غير واضحة بالأصل فأخذناها عن الديوان ص ١٣٢ .

(٣) فى الأصل : أعناقها .

(٤ - ٤) هذا الشطر مختل بالأصل فأخذناه عن الديوان ص ١٣٣ .

(٥) ساقطة من الأصل و واردة بالديوان .

(٦) فى الأصل : أحاكم . و صحته بالديوان ص ١٣٣ .

(٧) فهر قبيلة من أصول قریش .

او من عَجَب أن اللسان جرى لهم بذكر على حين انقضوا وانقضى الذكر^١
 فبادروا و عفى^٢ الله آثار ملكهم فلا خبر يلقاك عنهم ولا خبر
 ألا تلکم الارض العريضة أصبحت ولا لبني العباس من عرضها شبر^٣
 فقد دانت^٤ الدنيا لآل محمد وقد جرّرت أذيالها الدولة البكر^٥
 ه ورد حقوق الطالبين من زكت صنائعه في آله وزكا الذخر
 معزّ الهدى والدين والرحم التي به اتصلت أسبابها وله الشكر^٦
 من اتناشهم في كل شرق ومغرب^٧ فبدّل أمانا ذلك الخوف والذعر^٨
 فكل إمامي يحى كأنما على يده الشعري وفي وجهه البدر^٩

(١ - ١) البيت ساقط من الأصل و وارد بالقصيدة في الديوان ص ١٣٣ وإيراده بالنص لازم لأحكام السياق .

(٢) في الأصل : و عفا .

(٣ - ٣) بالديوان ص ١٣٣ : وما لبني العباس في عرضها فقر . وكلا الشطرين جائز .
 (٤) بالديوان : دالت .

(٥) كذا بالديوان ، وفي الأصل : الغر .

(٦) ورد هذا البيت في غير موضعه بالأصل فنقلناه إلى هنا عن القصيدة بالديوان .

(٧ - ٧) بهذا الشطر خيل فأخذناه عن الديوان ص ١٣٤ .

(٨) كذا بالديوان ، والكلمة في الأصل : والدهر .

(٩) اختلطت الأبيات التالية في النص ، فأثرنا إعادة تنظيمها على أساس أصل القصيدة بالديوان ص ١٣٤ - ١٣٥ . مع إضافة بيتين في موضعها حتى يكتمل تسلسل المعنى .

ولما تولت دولة الثَّصِبِ عنهم تولى العمى والجهل واللوم والغدر
 حقوق أتت من دونها أعصر خلت فما ردها دهر عليهم ولا عصر
 فجرّد ذوالتاج المقادير دونها كما جردت بيض مضاربها حمر
 فأنقذها من برثن الدهر بعد ما 'تواكلها القرّس المنيب والهضر'
 فأجرى على ما أنزل الله قسمها فلم يُتَحَرَّمْ منه قُلٌّ ولا كثر ٥
 فدونكموها ٤ أهل بيت ٤ محمد صفت بمعز الدين جمّاتها الكدر
 فقد صارت الدنيا اليكم مصيرها و صار له الحمد المضاعف والشكر ٣
 إمام رأيت الدين مرتبطا به فطاعته فوز وعصيانه خسر
 'أرى مدحه كالمُدح لله أنه' قنوت و تسبيح يحط به الوزر ١

[بن ١٦١ : ب] وهى طويلة مذكورة بديوان أبى القاسم محمد بن هانى ١٠
 الأزدي. ولما مات أبو القاسم بن هانى المذكور حزن عليه المعز حزنا
 شديدا وقال: مات رجل كنا نفاخر به أهل المشرق... بمصر قائد جيوشها
 عشرين سنة إلى أن قتله الحاكم العبيدى الآتى ذكره إن شاء الله تعالى.

(١) فى بن : فجرّ .

(٢-٢) فى الأصل : توكلها الفرش المبين والهضر . - والصواب ما أوردناه
 عن الديوان ص ١٣٤ .

(٣) البيت ساقط من الأصل ، فأخذناه عن الديوان ص ١٣٤ .

(٤-٤) فى الأصل : جيت آل - والمقصود « بيت آل » .

(٥) فى بن : أمواها .

(٦-٦) فى الأصل : أرى مدحه من طاعة الله أنه - وقد أخذنا البص عن
 الديوان ص ١٣٥ .

(٧) وللقصيدة بقية طويلة فى خمسة وخمسين بيتا . انظر الديوان ص ١٣٥ - ١٣٩ .

(٨) بياض بالأصل .

و كان العبيديون أولهم أبو محمد عبد الله المهدي^٢ الذي عمر
المهدية بأرض المغرب على ساحل البحر ، وهي مدينة حصينة ليس للفرنج
عليها سبيل لحصانتها . و مولده ببغداد سنة ستين و مائتين ، و وصل إلى
مصر في ذي الحجة سنة تسع و ثمانين و مائتين ، و غدا إلى المغرب تسلطن
ه به ، ثم تسلطن بعده أبو القاسم محمد القائم بأمر الله^٣ ، ثم أبو معد إسماعيل
المنصور بالله^٤ ، ثم أبو تميم معد المعز لدين الله^٥ إسماعيل المنصور ، و هو
الذي أتى من المغرب إلى مصر و عمر له القاهرة جوهر القائد ، و قيل
بينما المعز مارا في موكبه ظاهر القاهرة و إذا بأمر (أ)ة^٦ استقبلته بيدها
طار تطبل به و تقول : يا بني العباس ردوا ملك الدنيا معد . إنها الدنيا
١٠ عوادي و العوادي ترد^٧ . فأعجب المعز قولها بخنن صوتها و تك ...^٨
لهذين البيتين اللذين لاقا بخاطره ، فقال : تعطي هذه الطبالة هذه الأرض
إلى حيث انقطاع حس طلبها . فأعطيتها فسميت أرض الطبالة إلى الآن .
و هذه لغة المغاربة يقولون للرجل الضارب للطلبل طبال و للمرأة الضاربة
بالطار طبالة .

(١) في الأصل : كانت .

(٢) و سلطنته في المهدي ٢٩٧ - ٣٢٢ هـ = ٩٠٩ - ٩٣٤ م .

(٣) حكمة ٣٢٢ - ٣٣٤ هـ = ٩٣٤ - ٩٤٥ م .

(٤) حكمة ٣٣٤ - ٣٤١ هـ = ٩٤٥ - ٩٥٢ م .

(٥) حكمة ٣٤١ - ٣٥٥ هـ = ٩٥٢ - ٩٧٦ م .

(٦) في الأصل : بامرة .

(٧-٧) أثرنا استرسال هذين البيتين في النص لعدم استقامة ميزان الشعر فيها .

(٨) الكلمة مطموسة جزئيا و لم نستطع حلها في السياق .

وكان المعز المذكور خرج بأهله و حاشيته و جنوده من مدينة المنصور من أرض المغرب قاصدا الديار المصرية بعد ما مهد له غلامه جوهر القائد أمرها ، و بنى له القصرين ، فاستخلف المعز على بلاد المغرب و نواحيها و صقلية و أعمالها نوابا من حزبه و أنصاره من أهل تلك البلاد . و دخل المعز إلى الديار المصرية و صحبته توايت آباءه ، فوصل إلى الإسكندرية و قد تلقاه أعيان مصر إليها ، فخطب الناس خطبة بليغة ذكر فيها فضلهم و شرفهم و أن الله تعالى أغاث الرعايا بهم و بدرلهم ، و كان إلى جنبه قاضى مصر فقال له : هل رأيت خليفة أفضل منى ؟ فقال : لم أر من الخلفاء سوى أمير المؤمنين . فقال له : أحججبت ؟ قال : نعم ! قال : زرت قبر رسول صلى الله عليه و سلم ؟ قال : نعم ! قال : ١٠ و قبر أبى بكر و عمر ؟ قال القاضى : فتحيرت ما أقول لأن المعز شيعى المذهب يبغضهما ، ثم نظرت فإذا ابنه قائم مع كبار الأمراء فقلت : أشغلنى عنهما زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم كما أشغلنى أمير المؤمنين عن السلام على ولده و ولى العهد من بعده و نهضت إلى ولده فسلمت عليه و رجعت ، فانفسخ المجلس إلى غيره ، و ذلك أن ١٥ العبيدين الزاعمين أنهم فاطميون كانوا شيعة تقولون فى أذانهم بعد الحيعلتين ٢ حتى على خير العمل ، يقولونها مرتين كما تقولها الزيدية فى أذانهم بمكة و المدينة فى غير أيام الحج و كذلك بصعدة أيضا و غيرها

(١) فى الأصل : و نوابا .

(٢) المراد بجميعلتين «حتى على الصلاة» و «حتى على الفلاح» من كلمات الأذان .

من أرض اليمن ، و لهم مذهب خامس غير المذاهب الأربعة ، و هم يغضون
أبا بكر و عمر رضى الله تعالى عنهما - انتهى .

نعود إلى ذكر بعض أخبار المعز ، و ذلك أنه لما وصل إلى
الإسكندرية تلقته أكابرها ، ثم دخل بها الحمار ، و سار من الإسكندرية
إلى مصر فنزل بالقصرين ، فيقال إن أول دخوله موضع ملكه خرّ
[بن ١٦٢ : الف] ساجدا لله تعالى . ثم كان أول حكومة حكم فيها أنه
تقدمت إليه امرأة محمد الإخشيد فذكرت له أنها كانت أودعت رجلا
من اليهود قبا من لؤلؤ منسوج بالذهب مكلل بأصناف الجواهر في جرة
نحاس حين زال ملكهم و أنه جحد ذلك ، فاستحضره و قرره ، فجحد
اليهودى ذلك و أنكره ، فأمر عند ذلك المعز بأن تحفر داره و يستخرج
ما فيها ، فوجدوا القبا في الجرة مدفونا . فسلمه المعز إليها ، فقدمته المرأة
إليه و قالت : ما بقى هذا يصلح لمثل و إنما يصلح لحظاياك . فأبى أن
يقبله منها ، و قالت : أنت أحق به فاستحسن ذلك منها ، و أخذته
المرأة و انصرفت . فكانت خلافته سنتين و ستة أشهر .

١٥ و ولى ملك مصر بعد المعز ولده العزيز لدين الله نزار ، و كان
يحب اللعب بالحمام ، و كان وزيره يعقوب بن كلس ، و إليه تنسب الحارة

(١) كذا في الأصل ، فاذا أدخلنا النقط على الحاء أصبحت الكلمة « الحمار »
وهو جائز .

(٢) في الأصل : فأبا .

(٣) في الأصل : منه .

(٤) كذا في الأصل ، و التاريخ هنا لا يتفق و التواريخ المعروفة المعتمدة حتى
إذا اعتبرنا أن ما ذكره النويرى قاصر على خلافة المعز بمصر فحسب .

المعروفة بالوزيرية و بساتين الوزير . فكان العزيز له مقاصير حمامات و لوزيره كذلك ، فقال العزيز لوزيره المذكور : أريد المسابقة بحمامي و حمامك . فتسابقا فغلب حمام الوزير حمام العزيز ، فغضب العزيز و شق عليه ذلك ، فخاف الوزير على نفسه منه ، فأنشد يقول :

قل لأمير المؤمنين الذي له العلا و النسب الثاقب
طائرک السابق لکنه لم يأت إلا وله حاجب
فحينئذ سر بمقالته و رضى .

و ولى ملك مصر بعد العزيز بن المعتز منصور الملقب بالحاكم ، و هو الذى بنى جامع الحاكم بالقاهرة ، فحول إليه الجمعة ، و ترك الجامع الأزهر ، فلم تكن تقام فيه الجمعة من حين بنى الحاكم جامعہ الذى هو ١٠ بين بابى الفتوح و النصر إلى زمن دولة الملك الظاهر بيبرس كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى . و كان الحاكم المذكور منع النساء فى دولته من الخروج من المنازل ، و أن لا يتطلعن من الأسطحة و الطاقات ، و منع الخفافين من عمل الاخفاف لهن ، و من الخروج إلى الحمامات ، و قتل خلقا من النساء على مخالفته فى ذلك ، و هدم بعض الحمامات عليهن ، ١٥ و جهز عجائز كثيرة تطفن فى البيوت يستعلنن أحوال النساء بمن تعشق أو يعشق بأسمائهن و أسماء من يتعرضن له ، و أكثر من الدوران فى الليل بالبلد ، و أحرق بيوت من يطلع على فسقه من الرجال و النساء ، فطاق النطاق على الفساق ، و لم يتمكن أحد منهم أن يصل إلى أحد

إلا نادرا، حتى أن امرأة نادت قاضي قضاة مصر و هو مالك بن سعيد الفارقي، و حلفت بحق أمير المؤمنين الحاكم الأمان^١، وقف لها واستمع كلامها، فوقف لها فبكت بكاء شديدا و قالت: إن لي أخا ليس لي غيره و هو في سياق الموت، و أنا أسألك الأمان^٢ و صلتني^٣ إلى منزله لأنظر إليه قبل أن يفارق الدنيا. فرق لها القاضي رقة شديدة، و أمر رجلين معه أن يكونا معها حتى يبلغاها إلى المنزل الذي تريده، فأغلقت بابها و أعطت المفتاح جارتها، و ذهبت حتى وصلت مع الرجلين إلى منزل رجل تهواه و يهواها، فأخبرته بما احتملت به من الحيلة على القاضي و أعجبه، و جاء زوجها من آخر النهار فوجد باب داره مغلقا، فسأل عن زوجته، فذكر له ما صنعت، فاستغاث على القاضي و ذهب إليه و قال: ما أريد زوجتي إلا منك، فانها ليس لها أخ بالكلية، و إنها ذهبت إلى عشيقها. فخاف القاضي من معرفة هذا الأمر، فركب إلى الحاكم و بكى^٤ لديه، فسأله عن شأنه، فأخبره بما اتفق له من الأمر، فأرسل الحاكم مع الرجلين اللذين وصلها من يحضر الرجل و المرأة جميعا على أي حال كانا عليه، فكسروا الباب، [ن ١٦٢: ب] فدخلوا فوجدوهما متعانقين سكارى، فحملوهما إلى الحاكم. فسألها الحاكم فأخذا يعتذران بما لا يجدي

(١) في الأصل: الاما... و التركيب في الجملة إذا تركنا الأصل على ما هو عليه غريب، و اعتقادنا أن بعض الحروف ساقطة من الكلمة و هي «الأمان» فأبرزناها كما في النص.

(٢) في الأصل: و صلتني. و أغلب الظن أن المرأة طلبت من القاضي الأمان و توصيلها لأخيها. (٣) في الأصل: و بكى. (٤) في الأصل: فوجدها.

شيئا، فأمر بتحريق المرأة بالنار فخرقت، وضرب الرجل بالسياط ضربا مبرحا، وازداد احتياط الحاكم العبيدي على النساء إلى أن مات. و كان أمير المؤمنين الحاكم قد عدم، فاستبشر المسلمون بذلك لأنه كان جبارا عنيدا و شيطانا مريدا. و كان كثير التلون في أفعاله و أقواله. و كان يروم أن يدعى الإلهية كما ادعاه فرعون، لأنه كان أمر الرعية إذا ذكره الخطيب على المنبر أن يقوموا على أقدامهم صفوفًا إعظاما لذكره، و احترامًا لاسمه. فكان يفعل هذا في سائر ممالكه حتى في الحرمين الشريفين. و كان أهل مصر على الخصوص إذا قاموا خروا سجدا حتى أنه يسجد بسجودهم كل من في الأسواق، و فعل أشياء قبيحة تركت ذكرها لشناعةها. قال...^١ في تاريخه أن الحاكم العبيدي كفر كفرا لم يكفره فرعون. و مات مقتولا،^{١٠} و صفة قتله أنه اتهم أخته ^٢ست الملك ^٣بالفاحشة و أسمعها غليظ الكلام، فبرمت منه و عملت على قتله و أرسلت إلى أكبر الأمراء الذي يقال له ابن دواس، و توافقت هي و إياه على قتله، فجهر من عنده عبيد أسودين و قال لهما: إذا كان الليلة الفلانية فكونا بالجبل المقطم، ففي تلك الليلة يكون الحاكم هناك في الليل لينظر في النجوم، وليس معه إلا ركابي وصي^{١٥}

(١) في الأصل: بتحقيق. و الكلمة مصححة بنفس القلم إلى تحريق.

(٢) قراءة الاسم هنا أشكلت فالكلمة غير منقوطة و جائز قراءتها «احيان» أو «احسان» أو «اختان» و كل هذه القراءات لا تدل على من يمكن متابعته بين مؤرخي الدولة الفاطمية فتركنا المكان بياضا.

(٣-٣) في الأصل: سب الملوك. و هو تحريف لاسم أخت الحاكم بأمر الله، و قصتها معروفة و كذلك اسمها.

فاقتلاه ، واقتلاه معه ، و اتفق الحال على ذلك . فلما كانت تلك الليلة قال الحاكم لأمه : إن في هذه الليلة على قطعاً ، وإن نجوت منه عمرت أكثر من ثمانين سنة ، ومع هذا فانقلى إليك حواصل ، فاني أخاف ما أخاف من أختي . فنقل حواصله إلى أمه ، وكان له في صناديقه قريب ٥ من ثلاثمائة ألف دينار و جواهر آخر . فقالت له أمه : إذا كان الأمر كما تقول ، فارحمي ، لا تركب في ليلتك هذه إلى موضع . فكانت من كاشفه ٢ أن يدور حول القصر كل ليلة . فدار ثم عاد فنام إلى قريب من ثلث الليل الأخير ، وقال : إن لم أركب الليلة فأمنت نفسي ، فركب فرسا فصحبه صبي و الركابي ، وصعد إلى الجبل المقطم ، فاستقبله ذلك ١٠ العبدان ، فأنزلاه عن مركوبه و قطعاً يديه ٣ و رجله و بقرا بطنه و أتياه مولاها الأمير ابن دواس ، فحمله إلى أخته ، فدفتته في مجلس دارها . و بايع بعده أبا الحسن على ولقبه بالظاهر . ولما بنى الحاكم الجامع المنسوب إليه بالقاهرة ، بنى فيه دار العلم ، و أجلس فيها الفقهاء ، ثم بعد ثلاث سنين من بنائها أهدمها ، و قتل خلقا كثيرا ممن كان بها من الفقهاء والمحدثين ١٥ و أهل الديانة ، و كان يأمر بأن يكتب على حيطان المساجد السب للصحابة ، ثم يأمر بعد مدة بمحوها . و كان يأمر بجمع الأعتاب توضع (١) في الأصل : قطع .

(٢) كذا في الأصل كما أمكننا قراءتها مصححة و مطبوسة جزئيا ، و تركيب الجملة كما هو في الأصل غير محكم و لكن المدلول واضح على كل حال .

(٣) في الأصل : يده .

(٤) في الأصل : بنا .

على شاطئ النيل و تداس بالبقر فيسيل ماؤها فيه . و كان يمنع الناس من أكل الملوخية ١ و لحوم البقر ١ . و كانت أحكامه متناقضة ، يأمر بالشيء ثم يمنع منه . و كان يأمر بهدم الكنائس التي لليهود و النصارى فتهدم ، ثم يأمر بعد مدة ببنائها فبنى ٢ . و له سير غير مرضية لو استقصيتها لرأيت العجائب ، منها أنه قال لكتّابه : كم ادّعى لنا الإلهية في دفترك من رجل ؟ ٥ قال ستة عشر ألف نفر . [بن ١٦٣ : الف] و سلط على أهل مصر عبيده ، فصاروا ٣ يؤذونهم و يهجمون ٣ (على ٤) دورهم حتى اجتمعوا و قالوا له : إن كان أمير المؤمنين (يأمر ٤) بالرحيل من مصر ارتحلنا ، و وطئ عبد من عبيده امرأة رجل من أكابر أهل مصر غصبا ، فقتلت نفسها من فضيحتها من زوجها و أهلها . و كان جماعة من أهل مصر عملوا صورة امرأة من ١٠ أقفاص ، و يزروها بازار ، و نقبوها بنقاب ، بيدها قصة كأنها متظلمة ، و أوقفوها على طريق ممرة ، فلما اجتاز بها قال : آتوني بقصة هذه المرأة . فلما فتحها رأى ما فيها مما سود وجهه من ظلمه و شتمه و لعنه . ففحص عن المرأة ، فإذا هي أقفاص صورت ، فلم أن أهل مصر عملوها . فلذلك سلط عبيده عليهم . و كل ما شكاه أهل مصر له يقول : ما أمرتهم ١٥

(١-١) مكررة بالأصل .

(٢) في الأصل : فبنينا .

(٣-٣) في الأصل : يؤذوهم و يهجموا .

(٤) ساقطة من الأصل و تكتمل الجملة بذكرها .

(٥) في الأصل : شكى .

بشيء مما ذكرتموه . فلما بلغهم قتله كما تقدم ذكره ، فرح الفرح الكامل بذلك . وكانت خلافته خمسة وعشرين سنة .
ولما ولى ولده الظاهر لإعزاز دين الله ، أقام مدة ومات ، فولى بعده المستنصر لدين الله سنة سبع وستين ، فأقام في الملك ستين سنة .
٥ و عمر وزيره الأفضل بن بدر الجمالي أمير الجيوش جامعاً بالإسكندرية بالقرب من سوق العطارين . وكان بدر الجمالي مملوكاً أرمنياً رباه جمال الدولة ابن عمار . وكان سفاكاً للدماء غير مراقب للعواقب . ثم إنه مات على فراشه غير قتيل . وكان ولد ٣ الأفضل بن بدر الجمالي وزيراً للمستعلي على الديار المصرية وهو الملقب تاج الملك . فحصل له من الأموال ١٠ والذخائر ما لم يسمع بمثله . قيل إنه كان له بقصره عشرة ' مجالس ، في كل مجلس عشرة ' مسامير من ذهب ، زنة كل مسمار مائة مثقال ، برسم تعليق عمامته و بُقْجِه . وكان عنده ' صندوقان ملاّنان ' أبر ذهب برسم عصائب حريمه و جواريه . وكان ' من جملة غلاله من يبيع ابن ماشيته في كل يوم بعشرة آلاف درهم . وكان له من الأموال ما لا تحصى ١٥ الأقلام . وكان حسن الرأي ، فحل التدبير ، ولم يكن له قصد في سفك الدم ، فقتلته طائفة من الإسماعيلية الملحدة . قال ابن الهيثارية في كتابه المعروف

(١) خلافته ٤١١ - ٤٢٧ هـ = ١٠٢٠ - ١٠٣٥ م

(٢) خلافته ٤٢٧ - ٤٨٧ هـ = ١٠٣٥ - ١٠٩٤ م

(٣) في الأصل : ولده . وهو خطأ قلبي واضح .

(٤) في الأصل : عشر .

(٥-٥) في الأصل : صندوقين ملاّنين . (٦) في الأصل : كانت .

بالصادح و الباغم و الحازم و العازم و الناسك و الفاتك في بدر الجمالى
و الأفضل ولده : كان بمصر بدر له عليها الأمر بقتل كل ساعة من أهلها
جماعة و يشرب الدماء حتى يخال ما أصلحها بسيفه و جورره و حيفه جزاء
كل فعل لديه سوء القتل لما عصاه ولده ، و بان منه نكده خنقه ييده
ثم رمى بجسده . ثم غزا . . . حماته ، فحين قيد الأسرى قال : اقتلوهم ه
صبرا عشرون ألفا كانوا حتى جرى الميدان في النيل من دمائهم ، و لج
في إفنائهم و هو على ظهر الفرس كضيغم إذا افترس . و مات حتف
أنفه لم يعتسف بعسفه . و التاج تاج الملك كان قليل الفتك حرا قليل
النفس كملك في القدس مهذب الشائل ، مقدس الحصائل ، موطؤ الأكتاف ،
ليس بذى اعتساف ، ما سل قط سيفاً ر لا استجاز حتفا ، مهذب السيرة ١٠
أعدل و ال سيرة ، لا يعرف القساوة ، ليس له تفرق في المنام من شرطة
الحجام ، يرحم من يقصد لشيء ، لا يقصد برفقه ٣٠٠٠٠ و قتل المسكين
و أيما قتل قتل فصل منه ما وصل ، ليعلم اللبيب أن القضاء عجيب ، و أن
للقصاص يوما [بن ١٦٣ : ب] يسوء العاصي ، و أمر هذى الدار للاعتبار
جارء ، ليس له جزاء لكنه ابتلاء .

١٥

- (١) مكان هذا البياض بالأصل كلمتان أو ثلاثة يصعب استيضاحها في سياق
العبارة ، و من الجائز قراءتها : لميراثه إذ ظن . - و بالكلام في هذا القسم ركابة
في التركيب و نغموض في المعنى .
(٢) في الأصل : ليست .
(٣) هنا أيضا كلمة لا تقرأ تركنا مكانها بياضا و السياق مفهوم .
(٤) في الأصل : جارى .

والأفضل هذا هو الذي بنى الجامع بالإسكندرية ، فصار بها جامعان ١
جامع غربى و جامع شرقى ، و الغربى هو العتيق ، و كان موضعه دير
للروم ، فزاد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الآتى ذكره فيه
زيادة كبيرة . و أهل الإسكندرية يحبون السعى إليه و الصلاة فيه .
ه و الجامع الشرقى هو الجديد ، و هو القريب من سوق العطارين . و كان
الفراغ من عمارة بدر الجمالى له فى سنة ست و سبعين و أربعمائة ،
و هو المعروف بالإسكندرية بالجامع الجيوشى ، و كان بانيه المذكور من
الشيعة الذين يقولون فى أذانهم حى على خير العمل ، فدام ذلك فى
الأذان بالجامع المذكور إلى أن انقرضت دولة العبيدين الشيعة ،
١٠ و أقبلت دولة السنيين ، فأبطلوا منه ما كانت الشيعة تقوله فى أذانهم ،
ثم بطلت الخطبة و الجمعة منه و استمرت بالجامع الغربى مدة سنين .
فلم تزل كذلك إلى أن ولى قضاء الإسكندرية نحر الدين أحمد بن مسكين
الشافعى عوضا عن المالكية لأمور يطول شرحها ، و ذلك فى دولة
السلطان الناصر محمد بن المنصور قلاوون ، فأقام به الخطبة و الجمعة
١٥ فاستمرت به إلى الآن .

و فى معنى ما كانت الشيعة تقول فى أذانهم من قولهم حى على
خير العمل نظم الشيخ الفاضل بهاء الدين عبد الله بن تاج الدين محمد
الدامينى فى شاب جميل رافضى أحياتا و هى :

ما سل سيف لحظة إلا قتل و طرفه أنفذ من وقع الأسل

(١) فى الأصل : جامعين .

فارس حسن لا يبالي أن سطا بلحظه في دهره بمن حمل
قلت وقد فرق حاجباه لي ما أضعف القوس و أقوى البطل
مذهب الرفض فما أحسبه ينفر من حى على خير العمل
و في ربيع الأول من سنة اثنتين و سبعين و سبعمائة ولى معين الدين
محمد ابن الشيخ بهاء الدين عبدالله المذكور نظر الإسكندرية، فشرع
في ترميم الجامع الغربى بها فرمه و جدد بياضه، فشكر على ذلك و صار له
به تذكّار على عمر الدهر بما نقش على الرخامة التى فيها تاريخ ذلك
واسمه أيضا بأعلى بابيه الشرقى و القبلى من أبواب الجامع، و كانت
الرخامة مزخرفة بالذهب و اللازورد. ثم فى سنة ست و سبعين
و سبعمائة، و سيأتى سبب قلعها و بياض مكانها إن شاء الله تعالى . ١٠

ولما كان فى وقت العصر من يوم الثلاثاء الحادى عشر من ذى
القعدة سنة اثنتين و سبعين و سبعمائة سقط عمود من الجامع الشرقى
فتكسر قطعاً، و لم يحصل بوقوعه لأحد ضرر . و كان ناظره إذ ذاك
قاضى القضاة كمال الدين ابن قاضى القضاة جمال الدين ابن قاضى القضاة
شمس الدين سبط النبى، فقال الشيخ بهاء الدين عبد الله والد الناظر ١٥
المذكور فى تجديد والده معين الدين محمد فى بياض الجامع الغربى، سقوط
العمود من الجامع الشرقى :

بين ٣٠٠٠٠ هما الجامع الشرقى صنع محمد

بجامعنا الغربى لما تضعضعا

- (١) فى الأصل قراءة الكلمة أقرب إلى « ثم » و لكن السياق يقتضى « تم » .
(٢) كذا ظهرت بالأصل و أو أنها مشكوكة فى قراءتها .
(٣) كلمة أو بعض كلمة مطموسة .

تميز غيظا واستشاط تنمراً

وخر 'عمود غيره' فتقطعا

فقلع قاضى القضاة كمال الدين عمودا من الجانب البحرى من الجامع

المذكور ووضعه مكان العمود الساقط ، وأخذ عمودا من فندق الموز

ه الذى بشارع المرجانيين المنهدم [بن ١٦٤ : الف] بعمل الفرنج حين

الوقعة ووضعه مكان العمود بسرعة . ثم أن الشيخ الفاضل شهاب الدين

أحمد سليل الشيخ الصالح أبى العباس أحمد الشهير بالشاطر الدمنهورى

لما بلغه ٣ البيتان المذكوران ٣ نظم ثلاثة أبيات ردا على قائليهما فقال :

أنزّه بيت الله عن قول من هجا لجامعنا الشرقى تدعدعا

١٠ أيزعم جملا أنه اغتاظ إذ رأى إخاه بأبواب اليباض تلعبا

و حاشا من غيظ به غير أنه من الذكر أضفى خاشعا متصدعا

فلما وقف الشيخ بهاء الدين عبد الله عليها أجابه بأبيات وهى :

أضحك أم يبكى من الحزن جامع به الدين و الذكر المبين تجمعا

و لم لا نبكيه و نبكى تأسفا و صوت فيه اليوم جهرا و رجعا

(١ - ١) فى الأصل تصحيح جائز أن يكون بنفس القلم دون شطب : عموده

غيظا - و الغالب أن الكلمة الثانية « غيظا » لكن الوزن يقتضى استعمال الأصل

الغير المصحح

(٢) و ربما كانت الكلمة « الموزة » .

(٣ - ٣) فى الأصل : البيتين المذكورين - بدون نقط .

و عممه

و عمه جيش البلاد و اميره^١ مدا^٢ الدهر حزنا بالسواد تبرقا
 تهدم منه بعضه فجميه على الكل يكي حسرة و تفجعا
 فمن يك^٣ هذا وصفه و صفاته أفرح أم يبدى أسي و توجعا
 و لم أتخذ عجزا سوى أن مقصدي أذكر جهدي أو أصادف موقعا
 و قصدي به و الله يعلم أنني أريد به خيرا و صاحبه معا^٥
 فكيف و إنى باعتذارك خاطئا يخفّض جهلا حاله الله يرفعا
 و كيف به و الأفضلية فرقت مكانيهما شخصا و ذاتا و موضعا
 فأنت بنا تبسدي و عيشك عالم و ذلك يا منقذى بعلم تشيعا
 و أنى لك الذكرى و لو شاء مقولى لشرمط أو صال العريض و قطعا^٦
 و لكن تقوى الله عن ذا تصدنى و شية إيماني و راعيت مارعا^{١٠}
 و حسبك أن تشي عنانك مقلعا و إلا فاتنى عنك عنقاء و أجدعا
 و حسبك تركى أو أصادف مقتلا و إن ليس للانسان إلا ما سعا
 قال المؤلف رحمه الله تعالى : و لما وقفت على الآيات الأولى و الثانية نظمت

(١) اقرأ الكلمة « و اميره » يستقيم بها ميزان الشعر .

(٢) في الأصل : مد .

(٣) في الأصل : يكن .

(٤) في الأصل : و بضعا . - و لا بد أن تكون الكلمة « و قطعا » لانسجامها
 مع كلمة « لشرمط » في نفس البيت و هى لفظة من العربى المصرى الدارج
 و تحمل نفس المعنى الذى تؤديه لفظة « و قطعا » و الآيات فى مجموعها من نوع
 المناظرة و الأدب الشعبى السكندرى فى القرن الرابع عشر الميلادى .

أياتا في الجامعين المذكورين ساويت بينهما في الأفضلية والعمارة
وهي :

رأى الجامع الشرقي ترميم جامع بغربي ثغر بالبياض تلفعا
فسر له الشرقي عند سماءه لذاك فأضحى خاشعا متصدعا
ه فأكرم به من خشية ومرة لحسن صنيع من معين به سعا
فجرده حتى لقد صار روضة لكل رفيع القدر زال تورعا
وُسِّرَ به الغربي عند إقامة به لعمود بالعمارة أسرعا
فُسِّرَ جميعا بالعمارة فيها فطوبى لمن بالجامعين تركعا
فيرجا له الغفران من فضل ربه ليبلغ بالغفران بالخلد موضعا
١٠ لسان التويرى بالمديح مقصر بما قاله في الجامعين وأودعا
وفي المحرم سنة ثلاث و سبعين و سبعمائة رَمَمَ الجامع الشرقي وكسى
بالبياض فقلت فيه :

غدا الجامع الشرقي بالحسن مبدعا له بهجة يصبوا له كل من سعا
بياض له كالياسمين تخاله كدُرّ على حيطانه مترصعا
١٥ حوى روضة خضراء في وسط صحنه فأصبح ذاك الروض ريانا مترعا
تمايل في بيض الثياب و حسننها وخير الثياب البيض لونا منصعا
رأى الجامع الغربي حسن بياضه فصار الناس حسنهما معا
سور على الغربي (عا) د' ضياؤه ونور على الشرقي ضاء مشعشا

(١) في الأصل : صور .

(٢) الكلمة مطبوعة جزئيا .

لسان النورى ا بالمدايح فيهما كشد وكافور و مسك تضوعا

[بن ١٦٤ : ب] - انتهى .

ثم ان معين الدين الناظر المتقدم ذكره أقام ناظرا بالإسكندرية نحو سنة
و عزل منها ، فأقام مدة بطلا ، فسعى بالقاهرة أن يكون الجامع الغربى
تحت نظره ، فحسب تجديد عبارته عوضا عن عزله عن نظارته و عوضا
عن ناظره موفق الدين العوفى الذى هو من ذرية عبد الرحمن بن عوف
رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان موفق الدين
المذكور هو الذى جدوده لهم النظر خلفا عن سلف على الجامع المذكور .
فلما بلغ موفق الدين السعى عليه فى نظر الجامع توجه إلى القاهرة و قدم
للسلطان الملك الأشرف شعبان تواقع الملوك السالفة بتواتر النظر له .
و لأجداده ، فرسم السلطان الملك الأشرف شعبان باستمراره على جارى
عادته من غير معارض له و لا منازع . فلما قدم إلى الإسكندرية قاع
الرخامة التى نقش عليها معين الدين الدمامينى الناظر كان اسمه بها ، فقلعها
من أعلا الباب و بيّض مكان الرخامة المذكورة بعد البناء حتى لم يصر لها
أثر ، وكانت هذه الرخامة مزخرفة بورق الذهب و اللازورد أيضا ،
ففسخ حكمها و ذهب رسمها ، و استمر موفق الدين العوفى على جارى عادته
فى النظر على الجامع المذكور .

و قد تغلغل بناء الكلام و تشعب إلى أن خرجنا عما كنا فيه من أخبار

(١) من الأمثلة المعدودة التى يذكر المؤلف اسمه فيها بصلب الكتاب . وهذا
طبعاً مثل من شعره و لا يعتبر من الأدب الرفيع ، و لكنه من أمثلة الأدب
السكندرى بهذا العصر .

العبيدين و هم أربعة عشر خليفة ، فانقرضت دولتهم ب وفاة العاضد ،
و ذلك في سنة ست و ستين و خمسمائة ، و أول دولتهم بمصر سنة ثمان و خمسين
و ثلاثمائة ٢ ، فكان ملكهم بمصر مائتين و سبعين سنة ، فصاروا كما قال
الشاعر :

و أناس قعبد الدهر بهم زالت الأيام عنهم و الليالي
و كان الناس في قلق شديد في زمن دولتهم ، و قتل المعز في دولته الشيخ
الصالح أبا بكر النابلسي ، و كان بلغه عنه أنه قال : لو كان معي عشرة أسهم
قاتلت الروم بتسعة و قاتلت العبيدين بواحد . فأحضره و قال له : أنت
القائل كذا و كذا . فقال : لم أقل ذلك ، و لكني قلت : لو كان معي
١٠ عشرة أسهم قاتلت الروم بواحد و قاتلت العبيدين بتسعة . قال : و لم ؟
قال : لأنكم عثرتم الرعية و قتلتم الصالحين . فأمر به فضرب بالسياط ضربا
شديدا ، ثم أمر به فسلخ و هو حي . و ذلك أنه جي يهودي ، فجعل
اليهودي يسلخه و أبو بكر يقرأ القرآن . قال اليهودي فأخذتني رافة ،
فلما بلغت تلاقى قلبه طعنت بالسكين فمات تخفيفا له من عذاب السلخ .
١٥ فقيل أبو بكر الشهيد ، و اشتهر بالشهيد و إليه ينسب بنو الشهيد من أهل
نابلس إلى الآن . فينبغي للأنسان أن لا يتعرض لذي سلطان بالكلام

(١) في الأصل : فانقرت . و هو خطأ قلبي واضح .

(٢) التاريخ المضبوط لحكم الفاطميين في مصر يوم دخول المعز بها سنة ٣٦٢ هـ =

٩٧٣ م و سبقه دخول جوهر سنة ٣٥٦ هـ = ٩٦٩ م . أما نهاية الدولة فكان في

سنة ٥٦٧ هـ = ١١٧١ م .

الحاد و خاصة المغاربة فانهم يتكبرون من الكلام الفاضح ، فيكون قد ألقى نفسه إلى الهلاك . قال الله تعالى : ” و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة “ . و في المثل السائر : اللسان سيف الإنسان ، إن حسن الضرب به نجا ، و إلا مات موت الفجأ - انتهى .

قال المؤلف رحمه الله تعالى وقفت على بعض التواريخ فرأيت فيه ٥ نسخة محضر كتب في جملة محاضر يتضمن الطعن و القدح في نسب الخلفاء العبيديين الذين يزعمون أنهم فاطميون و ليسوا كذلك بل نسبتهم إلى ديسان بن سعيد الحرمي في الدين ، و كتب في ذلك [بن ١٦٥ : الف] جماعة من العلماء و الفضلة و الفقهاء و الأشراف و الأماثل و المعدلين و الصالحين . و سأذكر نص المحضر و هو : شهدوا شهوده الواضعون ١٠ خطوطهم آخره ، شهدوا جميعا أن الناجم بمصر و هو المنصور بن نزار الملقب بالحاكم ، حكم الله عليه بالبوار و الدمار و الخزي و النكال و الاستئصال ، ابن العزيز بن المعز معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد لا أسعده الله ، فانه لما صار إلى المغرب تسمى بعبيد الله و تلقب بالمهدي ، و من تقدم من سلفه من الأراجس و الأنجاس عليه و عليهم لعنة الله و لعنة اللاعنين ، ١٥ إذ هم خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب ، و لا يتعلقون منه بسبب ، و أنه منزّه عن باطلهم و زورهم ، و أنه لا يعلمون أن أحدا من أهل بيوتات الطالبين توقف عن إطلاق القول في هؤلاء الخوارج أنهم أدعياء ، و قد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعا في الحرمين و في ٣٠٠٠ و له (١) في الأصل : يفتكوا . (٢) قرآن كريم ٢ : ١٩٥ .

(٣) هنا سقوط واضح من بن رغم استمرار الكلام فتركنا بيضا للدلالة عليه .

أمرهم بالمغرب ينتشر انتشار المنع من أن يدلس على أحد كذبهم أو يذهب
وهم إلى تصديقهم ، و أن هذا الناجم بمصر هو و سلفه دار فساق فجار
و ملحدون و زنادقة معطلون و للاسلام جاحدون و لمذهب الثويبة
و المجوسية معتقدون ، قد عطلوا الحدود و أباحوا الفروج و أحلوا الخمر
و سفكوا الدماء و سبوا الأنبياء و ادعوا الربوبية ، و ذلك أن الحاكم
العبيدي قال لكاتبه : كم ادعى لنا الآن الربوبية من رجل في حسابك ؟ فقال :
ستة عشر ألف رجل - انتهى .

نعود إلى ذكر المعز جد الحاكم ، قيل إن المعز معد لما دخل مصر ،
و جلس على سرير الملك قال له الشريف طباطبا : يعرض علينا الملك
١٠ نسبه . فلما قال له ذلك كشف عن دنائير في منديل و جرد عن بعض
سيفه - و كان أعدهما لذلك لأنه علم أنهم لا يد أن يسألوه عن نسبه .
فقال المعز ١ في جوابه : هذا حسي - و أشار إلى الذهب ، و قال :
هذا نسي - و أشار إلى السيف . فمن رضى فله هذا و أشار إلى الذهب ،
و من سخط فله هذا . أشار إلى السيف . فلما قال المعز ذلك قال جميع
١٥ الحاضرين بمجلسه : سمعنا و أطعنا رغبة و رهبة . قال بعضهم في المعز علقوا
صارما ، و قالوا صدقنا ، فأجبنا معا سمعنا و أطعنا . فهذا يدل على كذبهم
في أنسابهم الذين ادعوها ، إذ ليس لدعواهم صحة في قولهم نحن ٢ عبيديون
فاطميون ٢ .

(١) في الأصل : الشريف . و هو خطأ واضح صححناه في النص .

(٢-٢) في الأصل : عبيدين ، فاطميين .

[الدولة الأيوبية]

ولما انقرضت دولتهم بموت العاضد، تسلطن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب، فأمر بالدعاء في الخطبة لـ بنى العباس كما كانت أولا، وخطب الخليفة المستضيء^١ بنور الله أحد خلفاء بنى العباس، و قطع من الأذان حتى على خير العمل من الديار المصرية ه كلها. و صنف الشيخ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي كتابا سماه السراج المضيء في خلافة المستضيء. و صار السلطان صلاح الدين يوسف^٢ نائبا له بمصر على ما كانت عليه خلفاء بنى العباس الأول. و هرب نزار العاضد و الأمير كنز الدولة إلى ناحية أسوان خوفا من السلطان، فجهز إليهما جيشا مقدمه أبو بكر القائم بعده فقتل ١٠ نزار بن العاضد و الأمير كنز الدولة، و صارت ذرية كنز الدولة إلى الآن بأسوان يعرفون بأولاد كنز الدولة. ثم أن السلطان صلاح الدين يوسف أقطع الفيوم لأخيه تقي الدين بن أيوب، فسكن به و عمر على خليج المنهى دوره، و هو الخليج المنسوب حفره انبي الله يوسف الصديق عليه السلام. فأقام بالفيوم سنين ثم نقله السلطان من الفيوم إلى مدينة ١٥ حماة، فوقف داره الكبيرة مدرسة على طائفة الفقهاء المالكية. و بناؤها على رتبة ديار الأسكندرية بمجلس مطوى الأبواب [بن ١٦٥ : ب] بيادهنج

(١) خلافته ببغداد ٥٦٦ - ٥٧٥ هـ = ١١٧٠ - ١١٨٠ م.

(٢) سلطنته بمصر ٥٦٤ - ٥٨٩ هـ = ١١٦٩ - ١١٩٣ م.

في صدره يلقي الهواء فيه و أحكام بجانب المجلس و قاعة و صفتين متقابلتين و بيت عرضي في صدره شبايك مشرفة على خليج. المنهى ، و جعل حرمة الدار المذكورة (و) قفاً على طائفة فقهاء الشافعية ، و وقف داراً أخرى مجاورة لها على طائفة فقهاء الصوفية ، و أقام بها محاريب و تركها ٢ على ذلك على بنائها الأول ، و محراب الدار الكبيرة بصدر مجلسها . و وقف على المدرستين و الخانقاه و قوفاً كثيرة من أملاك "تجار أراضى" تزرع ، و مقاسم مياه تقسم على تلك الأراضى الموقوفة تسقيها ، و هى مستمرة جارية عليها إلى الآن ، جزاه الله تعالى عن فعله خيراً .

[المؤلف و ظفر القبرسى بالإسكندرية]

١٠ قال المؤلف رحمه الله تعالى : و لما ظفر القبرسى بالإسكندرية فى آخر المحرم سنة سبع و ستين و سبعمائة ، و شرد غالب أهلها منها ، خرجت بعيالى معهم ، فقصدت بلدة النويرة بالصعيد الأدنى من مصر ، إذ ذاك مدرس المدرسة المالكية بمدينة الفيوم الشيخ الإمام العالم

(١) فى الأصل : قفا - و واضح خطأها القلمى للفظه « وقفا » .

(٢) فى الأصل : بهم .

(٣) فى الأصل : و تركهم .

(٤) فى الأصل : بنائهم .

(٥-٥) يجوز قراءة الكلمتين : تجا و أراضى - و لا تفيد معنى ، و القراءة

الأخرى تفيد معنى أخذنا به رغم غرابته .

(٦) من القرى البوصيرية بالصعيد الأوسط - ذكرها ابن مائى (كتاب قوانين

الدواوين) ص ١٠٣ و قد نسب إليها المؤلف .

شرف الدين أبو حفص عمر ابن الشيخ الإمام العالم تاج المدرس بها قبله
ابن الشيخ الإمام العالم شرف الدين الشهير بابن سعيد الناس ، فصار متشوقا
لرؤيتي ، و ذلك للصحة التي بيني وبينه ببلد النورية من المكتب و بالاشتغال
بالقاهرة بالمدرسة المنصورية لأخبره بما اتفق بالإسكندرية ، فمدحته
بآيات ذكرت فيها ما اتفق بها ، و سرت بها إليه فسلمت عليه ، فسر بقدمي ه
و ورودي عليه ، فقرأتها بين يديه بمجلسه العام ، فتعجب من ذلك ، تألم
لما جرى للمسلمين . و سأذكر هنا بعض تلك الآيات و هي :

يا سيد العلماء لا يخفأك ما	قد شاع في و علا و في الديماس
بمصيبة نزلت بأهل مدينة	محروسة بالجيش و الأحراس
نهبت بأيدي كل عالج كافر	متعطّل متجسم خناس ١٠
من قبرس جاء بسفن خلقتها	بقلوعها تزهو على القرطاس
أعنى بها إسكندرية أنها	بلد العلوم وقاعة الإناس
أتت الفرنج إلى محل ديارها	بالمرهفات تجلبوا بلباس
من أعين الزرد النفيد تسربلوا	و تنكبوا بوقارة الأقواس
والبيض فوق رؤسهم مصقولة	موضوعة كالوزن بالقسطاس ١٥
لاقتهم جمع المغاربة التي	من تونس أو ضيفم مكناسي
رمت الفرنج عليهم فتراجعوا	عنهم فقروا مع رعاك الناس
فسعى العدو وراءهم بسلاحه	ضربوا الحسوم و سفقوا للراس
فروا لعلّة جمعهم ولو انهم	جمعا كبيرا من مدينة فاس

(١) و جائز أن تكون : تجلبوا .

كانوا يحوا كل الفرنج بأسرهم بحصيدهم لجميعهم و الراس
 قصدوا المدينة أحرقوا بابا لها يدعا بباب الورد بين الناس
 بابا صغير القد منه بضايعا تباع في الديوان بالأكياس
 هجموا من الباب المعين ذكره دخلوا و كروا كرة في الناس
 ه فسمعوا ورا من فر عند دخولهم سفكوا الدماء بكل قلب قاس
 أسروا الأسارى قبل نهب ديارها جالوا كجولة لعبنة البرجاس
 شردت أناس مسلمون تشتتوا من بعد عز في بلاد الناس
 حيرى تراهم في البلاد بذلة من كثرة الإعدام و الإفلاس
 فشردت معهم بالعيال مشتتا و لهان من دعر و جرى ٣ الناس
 ١٠ و تركت كتبى و الأثاث جميعه حيران أضرب أخسى أسداسى
 بلد النويرة (قد) قصدت بعلى عندما بها وطنى و كناسى
 و تشوقت نفسى لرؤية سيد يدعا جهارا بابن سيد الناس
 ومنها فى المدح :

يا من غدا بمدينة الفيوم فى عز جليل شائع فى الناس

- (١) فى الأصل جميع . و لفظة « كل » تساويها و يتزن البيت بها فأبدلناها .
- (٢) فى الأصل : تنباع . وهى اللفظة المعروفة بين الشعب فى اللهجة المصرية الدارجة .
- (٣) فى الأصل : جرى - بدون واو العطف وهى لازمة للسياق ووزن البيت .
- (٤) غير موجودة بالأصل ، و بزيادتها يتزن الشطر الأول من هذا البيت .
- (٥) الشطر الثانى من البيت مكسور ، وهو كذلك بالأصل ، و جائز أن تكون كلمة « كناسى » بالشين بدل السين لاستقامة المعنى وليس القافية .

يا من لدرس المالكية شاده بفضائل مأسوسة بأساس
 يا سيدا يا ماجدا بمدينة قد أسست فيما مضى بأساس
 من حين وضع حجارة اللاهون بالمنهى^١ كالجبل الشديد الراسي
 ان ابن قاسم مخلصالك بالدعا يرجو الإجابة من إله الناس
 / لازلت محروس الجناح بغبطة في نعمة مشوتة الأغراس^٥ [بن ١٦٦: ١٠]
 ما رجعت في الأيك شجع حمامة و تجللت^٢ من ريشها بلباس
 والله يمتع من فوايدك الوري حتى يصيروا من حلاك كؤاسي^٣

[ذكر الصوفية]

نعود - و لما حبس تقى الدين بن أيوب مدرسته و خانقته على العلماء
 و الصوفية؛ ابتغاء مرضاة الله، حصل له بذلك الأجر الكبير عند الله، لأن ١٠
 المدارس بنيت للاشتغال بالعلوم الشرعية، لأنها أركان من المعادن
 الجواهر. قال بعضهم: العلم صحبته مهابة و جلالة، و العلم من كنوز
 الجواهر. و قال: العلم بحر و الفهم جواهره، و الفكر غواصه، و عن
 الأنبياء مأخذه، و العقل مدركه، و اللسان ترجمانه، و أهله تجاره، و الله

(١) لابد من تشديد ياء « بالمنهى » لضبط ميزان البيت .

(٢) في الأصل : تجللت .

(٣) في الأصل « كؤاس » و يقتضى وزن الشعر جعلها « كؤاسي » .

(٤) في الأصل : و الصوفة .

(٥) في الأصل : مرضات .

(٦) في الأصل : و أهل . به نسخناها « أهله » أى أهل العلم .

المكافئ عليه في الدنيا والآخرة . وكذلك الخوانق بنيت للتجرد عما سوى الله ، المشتغل بتزكية نفسه بالأخلاق الجميلة ، العاكف على عبادة الله المشتغل بالآخرة عن الدنيا ، المجرد عن الأسباب ، المتزهي بزى الصوفية ، الذى قد ترك الدنيا ، و لبس المرقع و تزيا بزى لباس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام و غيرهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٠٠٠ آدم ٢ عليه السلام لما تطايرت عنه في الجنة أثوابه ، و حلته و تاجه و جلبابه ، و طال منه مدته و انتحابه ، عدل هو و حواء بالمسكنة و الذلة ، و هما تحت هون المعصية و الزلة ، إلى ورق الشجر فقد رآه على ما تناسب القدر . و ألقيا طولاً لعرض و عرضاً لطول ، و خصفا كلاهما ذلك الورق بعضه إلى بعض تلميحاً و ترقيعاً ، و سترابه عورتهما . و إن نوحاً عليه السلام كان له قميص مطرف الذيل ، و كان الكفار يقصدون كعبه بالأحجار فيتمزق فيزيله و يعمل عوضه . و إن شعياً عليه السلام كان يلبس قميصاً من جلود ، و كان اسمه في زمانه الرهط ، فقال في قصته " لو لا رهطك

(١) في الأصل : المتربا .

(٢) كلمة مطموسة بالأصل و المقروء : و في .

(٣) الكلمة مطموسة جزئياً .

(٤) جازئ قراءة الكلمة « عنه » .

(٥) كذا في الأصل و لعل الكلمة « عديده » من السياق .

(٦) في الأصل : و حوى .

لرجلك و ما انت علينا بعزیز ' ' . و إن إبراهيم عليه السلام اتخذه جبة و طوقها جيبا من أديم . و إن يحيى بن زكريا عليهما السلام كان لباسه مدة حياته مرقعة ، و كان أبوه زكريا يأتيه بأثواب غيرها فلا يلبسها ، فلما علم قصده تركه . و إن المسيح عليه السلام كان يلبس الصوف ، و يركب الحمار ، و يجعل كلتا رجله إلى جانب واحد ركوب المتذللين . و كان نبينا محمدا صلى الله عليه و سلم أزهد الناس في الدنيا مع القدرة على تحصيلها ، و لكن نظر إليها بعين البصيرة ، فلم أنها حقيرة . و الإجماع على أن أبا بكر رضي الله عنه تحلل بالعباءة ، و أن عمر رضي الله تعالى عنه كانت عليه مرقعة فيها أربع عشرة رقعة . و سأذكر هنا حكاية اتفقت له في أيام الجاهلية . روى أنه رضي الله عنه ٣ مضى في أيام الجاهلية ١٠ إلى دمشق في تجار قریش ، فلما خرجوا من دمشق تخلف عمر لبعض حاجته ، فبينما هو بالبلد إذا بطريق أخذ بعنقه ، فذهب عمر ينازعه فلم يقدر ، فأخذه البطريق و أدخله دارا فيها تراب و مجرقة أو فأس و زنبيل فقال له : حوّل هذا من هنا إلى هنا . و أغلق عليه الباب و انصرف ، فلم يجرى إلى نصف النهار . قال عمر و جلست مفكرا و لم أفعل مما قال لي شيئا . ١٥ فلما جاء قال : ما لك لم تفعل ؟ و ضربني في رأسي يده . قال : فأخذت الفأس و ضربته به فقتلته و خرجت على وجهي ، فحُت دبر الراهب فجلست عنده

(١) قرآن كريم ١١ : ٩١ .

(٢) في الأصل : عليهم .

(٣) في الأصل زيد هنا في الجملة لفظه « فيما » و حذفها ضروري لصحة الجملة و انتظام معناها .

فأشرف^١ على فزل و أدخلني الدير وأطعمني وسقاني وجعل يحقق النظر في
وسألتني عن أمري . فقلت : إني أضللت أصحابي ، فقال : إنك لتنظر بعين
خائف . وجعل يتوسمني ثم قال : لقد علم أهل النصرانية أني أعلمهم بكتابهم ،
و إني لأراك الذي تخرجنا من بلادنا هذه ، فهل لك أن تكتب لي
كتاب أمان على ديري هذا ؟ فقلت له : يا هذا لقد ذهبت غير مذهب .
فلم يزل [بن ١٦٦ : ب] بي حتى كتبت له في صحيفة ما طلب مني . فلما
كان وقت الإنصراف أعطاني دابة ، فقال : اركبها ، فاذا وصلت إلى أصحابك
فابعث إلي بها وحدها ، فانها لا تمر بدير في طريقها إلا أكرموها .
ففعلت ما أمرني به . فلما جاء وولى عمر الخلافة قدم بيت المقدس
١٠ بسبب فتحه . أتاه ذلك الراهب بتلك الصحيفة فأمضاها له و اشترط
عليه ضيافة من يمر به من المسلمين و أن يرشده إلى الطريق - انتهى .
نعود - و إن عثمان^٢ رضي الله عنه كان إذا قام لصلاة الليل لبس
مربعة و يختم القرآن في ركعة . و إن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى
عنه مشى في بعض طرقاته و عليه قميص جديد ، فعدل إلى نجار فقطع
١٥ كميته و قال ينسل مع الدهر ، و كتب^٣ [بر ٢١٨ : الف] ' إلى سهل
ابن حنيف فقال : رقعت قميصي حتى استحييت من راقعه . و إن عائشة
رضي الله عنها كانت ذات يوم ترقع قميصا لها و تنشد :
البس جديدك إني لأبس خلقي و لا جديد لمن لا يرقع الخلقا

(١) الكلمة مطموسة في الأصل . (٢) في الأصل : عثمان .

(٣) هنا ينتهي الجزء السابق من بر و ما أخذناه عن بن .

(٤) من هذه الكلمة يستأنف الكلام في بر و بن على السواء .

وإن أهل الصفة وهم أربعمائة نفس منهم عبد الله بن مسعود وأبو هريرة
وسلمان الفارسي وبلال بن حمزة وابن أم مكتوم وغيرهم، كانوا يأوون
إلى صفة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم^١. وكان لهم مرقعات
لجمالهم، فمن عن^٢ له حاجة إلى ظاهر الصفة لبسها وقضى حاجته وإذا
عاد نزعها. وقد أجمع الناس في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم على
أن لا لبسها ما رآه أحد في مقام الفاسقين، بل هو من الطالبين المحبتين.
قال الله تعالى: "وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ"^٣ والآخيات من أوائل مقام الطهانية.
[بن ١٦٦: ب] ^١ وينبغي للريد أن يلبس ما يليق به كالأزرق
والبرانس الخشنة، ففي الأزرق إشارة إلى القلب سماوي، وفي الخشن حث
على القناعة. و اختلف لما سميت الصوفية بهذا الاسم، فذهب قوم إلى
أنهم سموا صوفية نسبة لهم إلى ظاهر اللبسة لأنهم اختاروا لبس الصوف
لكونه لبس الأنبياء عليهم السلام. و روى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال: مر بالصخرة من الروحا سبعون نبيا عليهم العبا يؤمون^٤

(١) في هامش بر: عدة أهل الصفة.

(٢-٢) العبارة ساقطة من بن [١٦٦: ب].

(٣) في بن: عم.

(٤) قرآن كريم ٢٢: ٣٣.

(٥) في بن: اول.

(٦) ابتداء من هنا قسم ساقط من بر و وارد في بن [١٦٦: ب إلى ١٦٧: ب]

و يستأنف الكلام في كل من بر و بن من «نعود إلى أخبار السلطان صلاح الدين».

(٧) في الأصل: يامون.

البيت الحرام . و قيل إن عيسى عليه السلام كان يلبس الصوف و الشعر
و يأكل من و بيت حيث أمسى . و قال النبي صلى الله عليه و سلم :
ثلاث خصال يحبها الله عز و جل في عباده . من تواضع لله و خشع
قلبه و رضى بالفقر و لبس الدون من الثياب . قيل : يا رسول الله و ما الدون
من الثياب ؟ قال : الصوف . و قال : الحسن البصرى : لقد أدركت سبعين
بدريا كان لباسهم الصوف . و كان اختيارهم لبس الصوف . و قيل سموا
صوفية لأنهم أهل الصف الأول في عالم الأرواح . فقد روى أن الأرواح
كانت في أربع صفوف ، الصف الأول هم الأنبياء و خواص الأولياء ،
و الصف الثاني هم المؤمنون ، و الصف الثالث هم المسلمون ، و الصف الرابع
هم الكفار و المنافقون . و ورد في الخبر أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام
من ثمانية أشياء ، من طين و من ماء و من شمس و من سحاب و من نور
و من حجر و من بحر و من روح القدس ؛ فجعل من الطين لحمه ،
و من الحجر عظمه ، و من البحر دمه ، و من السحاب همومه . و من
النور قلبه . و من روح القدس إيمانه ، ثم جعل الله تعالى لكل واحدة
١٥ من هذه الخصال الثمانية دولة عند وقع الماء الدافق في الأرحام . فمعنى
ذلك أنه إذا وافق الإفضاء دولة الطين جاء الولد أحق لا عقل له .
و إذا وافق دولة الحجر جاء الولد جهم الوجه فاسق القلب ، و إذا وافق
الإفضاء دولة الشمس جاء الولد صبيح الوجه ، و إذا وافق الإفضاء
[بن ١٦٧ : الف] دولة السحاب جاء الولد طائشا كثير اللوم يسافر من
موضع إلى موضع لا يستقر في مكان أبدا ، و إذا وافق الإفضاء دولة الريح جاء
(١) هنا سقوط واضح من بن رغم استمرار الكلام تركنا فيه بعض بياض .
الولد

الولد قويا لا استطاع عليه لشدته ، و إذا وافق الإفضاء دولة النور جاء
الولد عالما بعيد الغضب ، و إذا وافق الإفضاء دولة القدس جاء الولد
جيذا تقيا ذا دين و أمانة .

و قال ابن عباس إن الله عز و جل . . . ١٠٠٠ في يوم ثلاثة عساكر ،
عسكر من أصلاب الرجال إلى بطون النساء ، و عسكر من بطون النساء ه
إلى دار الدنيا ، و عسكر من دار الدنيا إلى طباق الأرض . قال الشاعر :
رأيت بني الدنيا كوفدين كل ما ترحل وفد حل في إثره وفد
فكل ترجى السير فيها و دونها يروح بذي نعش و يغدو بذي مهد - انتهى
نعود ، و قيل سميت الصوفية بهذا الاسم إلى الصفة التي كانت الفقراء
المهاجرين على رسول الله صلى الله عليه و سلم . قال الله تعالى في حقهم للفقراء ١٠
الذين أحصروا في سبيل الله هذا ، و إن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق
اللغوي ، و لكن صحيح من حيث المعنى لأن الصوفية ٣ تشاكل حالهم
حال أولئك لكونهم مجتمعين متألفين مصاحبين لله في الله كأصحاب الصفة
و كانوا نحو من أربعائة رجل و لم يكن لهم مساكن بالدنيا و لا عشائر ،
جعلوا أنفسهم في المسجد كاجتماع الصوفية قديما و حديثا في الزوايا ١٥
و الربط ، و كانوا لا يرجعون إلى زرع و لا زرع و لا إلى تجارة ، و كانوا
يخطبون الخطب و يرضخون النوى بالنهار و بالليل يشتغلون بالعبادة و تعلم
العلم و قراءة القرآن . و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يواسيهم
و يحض الناس على مواساتهم ، و يجلس معهم ، و يأكل معهم ، و فيهم

(١) هنا سقط واضح في النص رغم استمرار العبارة في الأصل فتركنا بيضا
للدلالة عليه . (٢) في الأصل : بذا .

(٣) الكلمة مطموسة بالأصل و لكن قراءتها واضحة من النص و السياق .

نزل قوله تعالى: "ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي يريدون" وجهه "و نزل في أم مكتوم الأعمى: "عبس و تولى ه ان جاءه الأعمى ه ٣" وكان من أهل الصفة. عن ابن عباس قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على أهل الصفة، فرأى فقرهم و جهادهم و طيب قلوبهم فقال: ه أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقي منكم على النعت الذي أنتم عليه راضيا بما هو فيه فانه من رفقائي يوم القيامة ٢. ولم يكن هذا الاسم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أعنى الصوفي - وكان في زمن التابعين. و نقل عن الحسن البصري أنه قال: رأيت صوفيا في الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه و قال: معي أربع دنانق يكفيني ما معي، و الدانق درهم ١ و ثلثاه درهم. فيكون ما معه ستة دراهم و ثلثاه درهم، وهو يعد نفسه غنيا. و قيل إن الصوفية لما آثروا الذبول و الخمول و التواضع و الانكسار و التخفي و التوارى، كانوا كالخرقة المرماة، و الصوفة المرمية التي لا يرغب فيها و لا يلتفت إليها، فيقال صوفي بالنسبة إلى الصوفة، كما يقال كوفي بالنسبة إلى الكوفة. و قيل الصوفية كانوا يخدمون الكعبة، و قيل سموا بذلك لأنهم تشبكوا تشبك الصوف بما ثبت عليه، فالصوفي منسوب إلى الصوفية لاشتغالهم ببعضهم ببعض. أتى الحسن البصري يوما فرقد

(١) قرآن كريم ٦: ٥٢.

(٢) في الأصل: يردون، وهو خطأ.

(٣) قرآن كريم ٨٠: ١ - ٢.

(٤) في الأصل: القيمة.

(٥) في الأصل: و ثلثي.

للسوفي و عليه جبة صوف مرقعة ، فأخذ^١ بأطرافه و قال : يا ابن أم
فريقد ليس التقوى بأكل القيط و لا بلبس العبا ، إنما التقوى بما وقر
في الصدر و صدقة العمل . و قيل في المعنى :

ليس التصوف لبس الصوف تلبسه و لا بكاؤك ان غنى المغنونا
و لا صياح و لا رقص و لا طرف و (لا) تغاش^٢ كان قد صار مجنونا ه
بل التصوف أن تصفو بلا كدر و تتبع الحق و القرآن و الدينا
و أن تُرى خاشعا مكتئبا على ذنوبك طول الدهر محزوننا
[بن ١٦٧ : ب] قال أحمد بن مقابل : كنت مع الشعبي في مسجده في
شهور رمضان و هو يصلي خلف إمام و أنا بجانبه قال : فقرأ الإمام
” و ائن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا إليك^٣ “ . قال فزق الشبلى زعقة ، ١٠
قلت طارت روحه معها ، هو يرتعد و يقول : بمثل هذا يخاطب الأحباب .
و قيل السماع فيه نصيب لكل عضو . فما وقع إلى العين تبكى ، و ما وقع إلى
اللسان يصيح ، و ما يقع على اليد يمزق الثياب و يلطم الوجه . و ما يقع
على الرجل يرقص . و قيل أوحى إلى موسى عليه السلام اني قد جعلت
فيك عشرة آلاف سمع حتى أحببتني . و في معناه :

١٥

لا تـنـسـاني ، فاذا الفاني ما يلقياني ، حتى يفننا

(١) الكلمة مطموسة جزئيا .

(٢) في الأصل : و تغاش . - و الظاهر من سياق البيت الأول و وزن الشطر
الثاني وجوب كونها « و لا تغاش » .

(٣) قرآن كريم ١٧ : ٨٦ .

فك المعجم ، فاعزم تغنم و افهم و افهم ، سر المعنا
و اسمع مني ، و افهم عني سرا تنظر ، اذنا اذنا
سافر وحدك ، و ابذل جهدك واجعل قصيدك ، ذاك المعنا
و احصر عقلك ، و اجمع شمالك عليك عليك ، يوما تدنا
ه عبي عبي ، احفظ عهدي و افهم قصدي ، فيما يعنا
فارق دارك ، و اهجرج جارك و ارقب نارك ، تبدوا وهنا
فارغب و اطمع ، و اقلب اجمع عليك تسمع ، يوما منا
لا لا تهرب ، ما لك يهرب ، هذا المشرب ، أحلا و اهنا
روح علقت ، لما عتقت ، إذ قد سبقت ، منا الحسنی - انتهى^١.

[من أخبار صلاح الدين الأيوبي]

١٠

نعود^٢ إلى أخبار السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين
أيوب و خبر بيت المقدس حين أخذ الفرنج له و فتح السلطان صلاح الدين
يوسف المذكور له و نزعه هو و غيره من الحصون التي كانت بأيدي
الفرنج^٣ إن شاء الله تعالى ٣ .

١٥ قال بعض المؤرخين : و في بضع و تسعين و أربعائة من الهجرة
النبوية أخذت الإفرنج بيت المقدس من أيدي المسلمين ؛ و قتلوا^٤ أزيد

(١) إلى هنا ينتهي هذا القسم الساقط من بر و قد أخذناه عن بن .
(٢) من هنا يبدأ الكلام في بر و بن علي السواء . و في هامش بر : مطلب ، أخبار
صلاح الدين و بيت المقدس .

(٣-٣) ساقطة من بن .
(٤) في بن [١٦٧ : ب] : بعد أن قتلوا . و في هامش بر : مطلب ، ولاية
الإفرنج على بيت المقدس سنة ٤٩٠ .

من سبعين ألف قتيل من^١ المسلمين ، وأخذوا من حول الصخرة^٢ اثنين وأربعين^٣ قنديلا من فضة زنة كل قنديل منها ثلاثة آلاف وستمائة درهم ، و تنّور من فضة زنته أربعون^٤ رطلا بالدمشق ، و ذلك مائة وستون^٥ رطلا بالمصرى ، و ثلاثة وعشرين^٦ قنديلا^٧ من ذهب . و هربت الناس إلى العراق قاصدين الخليفة المستظهر بالله^٨ . فلما سمع^٩ أهل بغداد ذلك تباكوا . و كان أبو سعيد الهروى نظم قصيدة فقرئت على المنابر ببغداد فعظم بكاء الناس و أمر الخليفة الفقهاء إلى الخروج ليحرضوا الملوك على الجهاد^{١٠} ، فساروا فلم يفد ذلك شيئا . و بيت المقدس هو بيت الأنبياء و مهبط الوحي قديما .

حكى^١ أن رجلا من الصوفية بينما هو نائم فى الحرم بالمدينة إذ رأى^{١٠} النبي صلى الله عليه وسلم فى منامه فقال له : اذهب إلى صلاح الدين يوسف

(١) زيد فى بن ايدى .

(٢-٢) فى بر : اثنان و أربعون . و صحته فى بن كما أوردنا بالنص .

(٣) فى بن : أربعين .

(٤) فى بر : وستين . و صحته فى بن كما أوردناه بالنص .

(٥) فى بن : وعشرين . و فى بر : و ثلاثة وعشرون .

(٦) كذا فى بن ، و فى بر : قنديل .

(٧) الخليفة العباسى و خلافته ٤٨٧ - ٥١٢ هـ = ١٠٩٤ - ١١١٨ م .

(٨) و يلاحظ فى هذه المناسبة ان بيت المقدس كانت فى حكم الدولة الفاطمية وقتئذ .

(٩) فى بن : و حكى .

ملك مصر فقل له إن رسول الله 'صلى [٢١٨ : ب] الله عليه وسلم' يقول لك : قم من وقتك هذا فانزل على بيت المقدس^١ فانك تفتحه إن شاء الله تعالى ٣ ، واعلم بذلك سرا ، وقل له بأمانة صلاتك على في كل ليلة ألف مرة . قال فذهب الرجل حتى وصل إلى صلاح الدين وقال :
 ٥ يا مولاي عندي بشارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وما هي ؟ قال : إنه يقول لك قم من وقتك هذا فانزل على بيت المقدس فانك تفتحه^٤ إن شاء الله تعالى . قال : الحمد لله أعطوه خمسمائة درهم . فقال بعض الحاضرين كالمستهزئ : وأنا والله أحب أن أرى مثلها . فقال الرجل أما أنا فلا آخذ شيئا ، لكن عندي حديث أقوله . قيل له : ما هو ؟
 ١٠ قال : ما أقوله إلا للسلطان سرا . فأدناه السلطان إليه فقال^٥ : يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمانة صلاتك عليه في كل ليلة ألف مرة . ففرح السلطان بذلك و عرض عليه الذهب^٦ فلم يأخذه . وبعد مدة دخل السلطان صلاح الدين إلى دمشق فرأى الفقير في الجامع ،

(١-١) العبارة ساقطة من بن وهو الأصح لأن الكلام صادر عن الرسول .

(٢) الكلمة مكررة في بن .

(٣) الكلمة ساقطة من بن .

(٤) في بن : ستفتحه .

(٥) في بن : وما .

(٦) زيد في بن : له .

(٧) في بن : ذهباً .

فعرفه فصاح به فأتاه ، فقال له : أسألك ^١ أن تأخذ الخمس مائة دينار عوضا
عن الخمس مائة درهم ^٢ التي تركتها ولم تأخذها . فقال : نعم ، على أن
نعطيها هؤلاء ^٣ الفقراء . فقال : اصنع ما شئت . فدفعها له ففرقها فيهم ،
وحصل له دينار واحد . فتحقق السلطان صدق منامه ^٤ بتعففه وأمارته ^٥ .
و كان رجل من أهل المغرب بالمدينة فيبكي ^٦ عند قبر رسول الله ^٧
صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله بلدي ^٨ بعيد و أنا فقير و ضعيف ،
و أنا أحب أن أرجع إلى بلادي . قال فنام ^٩ فرأى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له : امض إلى صلاح الدين يوسف فانه يعطيك مائة دينار ^{١٠} سافر بها
إلى بلادك . قال : فمضى الرجل إلى أن وصل إلى الشام . و قدم على
صلاح الدين ، فلما رآه قال : أنت صاحب المائة دينار ؟ ^{١١} قال : نعم . ١٠
قال : اعطوها له . فأخذها و انصرف .

و يقال إن رجلا أتى إلى صلاح الدين يوسف قبل أن يلى

(١) كذا في بن ، و الكلمة في بر : أسئلك .

(٢) ساقطة من بر و واردة في بن [١٦٨ : الف] .

(٣-٣) في بن : بفضل أمارته .

(٤) في بن : فيبكا .

(٥) في بن : يرسل .

(٦) في بن : بلد .

(٧) في بن : و نام .

(٨-٨) العبارة بكاملها ساقطة من بن .

الملك ' قال : رأيت ' فيما يرى النائم كان قائلاً يقول لي في المنام
و أشار إليك :

ملك الصياصي و النواصي ناصر ٣ للدين بعد إياسه أن ينصرا
و يستفتح البيت المقدس بعد ما يطوى الطراز له و يهلك قيصر
٥ [٢١٩ : الف] الصياصي الحصون . قال الله تعالى : " و انزل الذين ظاهروهم
من اهل الكتب من صياصيتهم " .

فبعد قليل أخذ صلاح الدين يوسف الملك ، و فتح قلعة طبرية ،
و فتح عكا صلحا ، و خلّص منها أربعة آلاف أسير من المسلمين ، و فتح
صيدا و بيروت و غزة و عسقلان و نابلس و بيسان ، و فتح بيت المقدس
١٠ و كان فيها ستون^٦ ألف مقاتل أو يزيدون من الإفرنج^٧ . و قاتل^٨
المسلمون معه قتالا شديدا ، و لم يزالوا كذلك حتى فتحوه . و هو أن
ملك الروم أرسل إلى السلطان صلاح الدين على أن يبدل كل رجل

(١) في بن : المملكة .

(٢) في بن : فرأيت .

(٣) في بن : تارا .

(٤) في بن : و سيفتح .

(٥) قرآن كريم ٢٦ : ٢٣ . و في هامش بر : مطلب ، فتوحات صلاح الدين .

(٦) في الأصليين : ستين .

(٧) في بن : الفرنج .

(٨) في الأصليين : قاتلت .

منهم عن نفسه عشرة دنانير و على المرأة خمسة دنانير و على كل صغير و صغيرة دينارين ، و أن تكون الغلات و الأسلحة يؤدونها ' للمسلمين ، و يتحولوا من القدس إلى مدينة صور . فأجاب الملك صلاح الدين إلى ذلك ، و دخلوا بيت المقدس يوم الجمعة ، و كان يوما مشهودا خنس فيه الناقوس ، و حضر المؤذنون و غاب القسوس ، و تلى التنزيل ، عوضا عما كانوا يقرأون ' من التحريف في الإنجيل ، و لله الحمد و المنة على ذلك . ثم أنه فتح ٣ الكرك ' و صفد و حصن كوكب و غيرها من الحصون . و كان سبب أخذ الإفرنج ' للقدس من أيدي المسلمين لأنهم كسروا الأفضل ' ابن أمير الجيوش على الرملة و استولوا على القدس سنة تسعين و أربعمائة . و قتل الأفضل سنة ست عشرة و خمسمائة من غير أن ١٠ يقتل أحدا ، و أما أبوه بدر الجمالي ' فكان سفاكا للدماء ، و مع ذلك مات على فراشه . و كان الأفضل فحل التدبير حسن الرأي ، و لم يكن للخليفة المستعلي ٨ أحد خلفاء العبيدين معه كلام ' .

(١) في الأصلين : يؤدوا .

(٢) في الأصلين : يقرون .

(٣) في بن : افتتح .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : القرنج .

(٦) انظر ما سبق في موضوع الفاطميين .

(٧) في بن : الجمال .

(٨) الخليفة الفاطمي و حكمه ٤٨٧ - ٤٩٥ = ١٠٩٤ - ١١٠١ م .

(٩) في الأصلين : كلاما .

ثم أن الإفرنج^١ أقاموا بالقدس تسعين سنة ، ففتحها السلطان صلاح الدين يوسف سنة ثمانين^٢ وخمسمائة^٣ . وتوفي السلطان صلاح الدين يوسف المذكور وعمره سبعة^٤ وخمسون سنة . فعز على المسلمين فقده . وكان من خيار الملوك وأحسنهم سيرة ، وتشبه بالملك العادل نور الدين هـ العادل عمه ، ودفن بترتبه عند مدرسة أنشأها بالموصل^٥ رحمه الله تعالى .
^٦ وكان قبل ملكه السلطان صلاح الدين يوسف سار أسد الدين شيركوه بعد أن كسر الفرنج والمصريين إلى الإسكندرية فملكها ، ورجى بأموال ، واستناب عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف ، وعاد إلى الصعيد فملكه وجمع منه أموالا كثيرة جزيلة ، ثم أن الفرنج والمصريين اجتمعوا على حصار الإسكندرية ثلاثة أشهر ، اقتزعوها من يد صلاح [الدين] يوسف في غيبة عمه شيركوه في الصعيد . وامتنع بها صلاح الدين ومن معه أشد امتناع ، ولكن ضاقت عليهم الأقوات وضاق الحال جدا . فسار إليهم شيركوه أيداه الله تعالى ، فصالحه شاور الوزير عن الإسكندرية بخمسين ألف دينار ، فأبى عليه^٨ ذلك . وخرج صلاح الدين منها وسلمها

(١) في بن : الفرنج (٢) في بن : ثمان .
(٣) في هامش بر : مطلب ، مدة استيلاء الإفرنج على بيت المقدس تسعون سنة .
(٤) لفظة « الدين » ساقطة من بن .
(٥) في بن : تسعة . وفي هامش بر : توفي صلاح الدين وعمره ٥٧ سنة .
(٦) كذا في بروين ، وهو خطأ لأن صلاح الدين مدفون في دمشق .
(٧) من هنا إلى قوله « والله الحمد » ساقط من بر ، وأخذناه عن بن [١٦٨ : الف ، ب] .
(٨) في الأصل : إلى . وأغلب الظن أنه خطأ قلبي .

للمصريين و عاد إلى الشام . و قرر على شاور الفرنج^١ كل سنة مائة ألف دينار ، و أن يكون لهم شحنة بالقاهرة . و عادوا إلى بلادهم بعد أن كان الملك نور الدين قد عقبهم في البلاد ، و فتح كثيرا من بلادهم ، و قتل خلقا من رجالهم ، و أسر أمما من نسايتهم و أطفالهم ، و غنم شيئا كثيرا من أمتعتهم و أموالهم ، و لله الحمد^٢ .

٣ و كان السلطان صلاح الدين يوسف المذكور^٤ في دولته^٥ يجلس جلوسا عاما لإزالة المظالم . فجلس يوما جلوسا عاما ، و قضى حوائج الناس ، و نظر في المظالم ، و نادى [٢١٩ : ب] مناديه^٥ : من كانت له حاجة و مظلمة فليأت ! فتقدم شيخ له هيئة حسنة فقال : إن الفقر يقدمني و الحياء يؤخرني . فقال : قل . قال : أنا رجل كنت من أمراء الدولة المصرية ممن كان لله على أسلافه نعمة و سلبها و أحتاج إلى الناس و أنعمت عليّ بخمسة دنانير في كل شهر و عاملك يمطلني فيها مدة^٦ ستة أشهر . فغضب صلاح الدين و قال : عليّ بالعامل . و قال : تعطى له ما منعه إياه أو لأفعلن بك و لأصنعن . قال : فلما رأى العامل الجدة^٧ ،

(١) زيد هنا لفظة « علي » و لكن النسخ صحيح مكانها كما أوردناه في النص ، و لكنه لم يشطب الزيادة .

(٢) انتهى الساقط من بر .

(٣) من هنا يستأنف الكلام في كل من بن و بر معا .

(٤-٤) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٥) في هامش بر : مطلب ، واقعة .

(٦) في بن [١٦٨ : ب] : منذ .

(٧) ساقطة من بن .

و كان صلاح الدين رجلا حليما قليل الغضب ، فقال العامل : لو لا غضب مولانا السلطان لأخبرته بالعدو الذي منعى^١ الاطلاق والعدو الذي منعى^٢ الكلام . قال ٣ : قل فاني لا أغضب . قال : العلامة التي على توقيعك مزورة ، فامتنعت من الدفع ، وأردت الستر وما أردت أن أفضحه ، هـ والأمر لمولانا السلطان . فقال صلاح الدين : أرنى التوقيع . فنظر إليه وقال : صدقت والله ما هو خطي ولا كتبه ٣ . ثم التفت إلى الرجل وسبه واتهره وقال : النفاق باق^٤ فيكم ، وإلا أنا فما أمنع رزق^٥ الله أحدا على ، وعلى^٦ لا قطع يدك . وكان بالجلس رجل وله عقل وأدب ، والجلساء متشابهون لللك - المرء^٧ على دين خليله - فقال ذلك ١٠ الرجل الحاضر : إن مولانا السلطان لا يمنع خطه من أحد ، ويكتب في كل وقت قائما وجالسا وراكبا ، يكتب مولانا السلطان علامة بجانبها ، وننظر إلى الخطين ، فإن اختلفا فالسلطان يفعل^٨ ما يريد وإن

(١) في بن : بمنعى .

(٢-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) في الأصلين : باق .

(٥) في بن : الرزق .

(٦) في بن : وصلى .

(٧) في بن : والمرء .

(٨) في بن : يحكم .

اتفقا فلا كلام . فقال : نِعَمَ ما قلت . فكتب السلطان علامة أخرى ، فقال الرجل : غلبنا و الحمد لله . قال : و كيف ؟ قال : إن كانت الأولى ما هي خطك ييقن فهذه العلامة الثانية خطك ييقن . فضحك السلطان و عفى عن الرجل و أمر برزقه ^١ .

و كان أول دولة بني أيوب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن هـ أيوب بن شاذي ، ولى ^١ سنة أربع و ستين و خمسمائة ٢ ، و استقل بالملك سنة ست و ستين و خمسمائة ، و بنى ^٢ قلعة الجبل بالقاهرة في سنة خمس و سبعين و خمسمائة . و لما توفي السلطان صلاح الدين يوسف المذكور قام ^٣ بملك مصر بعده ولده الملك العزيز عثمان ^١ . ثم بعده الملك الأفضل قطب الدين ^٤ عثمان بن صلاح الدين المذكور ^١ . ثم بعده الملك ^{١٠}

(١) زيد في بن : قال الأصمعي قيل لشيخ من الأعراب قمت مقاما خفنا عليك منه . فقال الموت خفتم علي و كيف يخاف الموت شيخ كبير و رب غفور و لا كين و لا بنات و لا صبية أطفال .

(٢) في بن : في .

(٣) في هامش بر : «مدة توليته سنة ٥٦٦ . بناء قلعة الجبل سنة ٥٧٥» . و سلطنته

٥٦٤ - ٥٨٩ هـ = ١١٦٩ - ١١٩٢ م .

(٤) في بر : بنا ، و هي في بن : بني .

(٥-٥) في بن : بالملك من .

(٦) و هو العزيز عماد الدين عثمان و سلطنته ٥٨٩ - ٥٩٥ هـ = ١١٩٣ - ١١٩٨ م .

(٧) هذا خطأ صحته أن الذي خلف العزيز عثمان هو المنصور ناصر الدين محمد و سلطنته ٥٩٥ - ٥٩٦ هـ = ١١٩٨ - ١١٩٩ م .

(٨) ساقطة من بن .

(٩) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

العادل^١ أبو بكر بن أيوب . ثم بعده الملك [٢٢٠ : الف] الكامل محمد^٢ بن أبي بكر العادل ، وهو الذي بنى^٣ المدرسة الكاملية^٤ بين القصرين المسماة بدار الحديث . وانكسرت الإفرنج في اليوم الذي ولي الملك الكامل فيه بكسر الجسور عليهم في وقعة الفرنسيس بدمياط ، هـ و كانت كسرتهم بالمنصورة بالقرب من أشمون الرمان ، وقد تقدم ذكر ذلك فأغنى عن إعادته . وقيل كان الملك العادل ظالما . ولده الكامل عادلا ، فقال بعضهم قصيدة منها :

يا ظالما سميت بالعادل لا عدل إلا للملك الكامل

وقيل أقام الكامل ملكا نحو ثلاثين سنة ، والله أعلم .

١٠ و ولي ملك مصر بعد الكامل ولده نجم الدين^٥ الملك الصالح أيوب

(١) وهو الملك العادل سيف الدين أبو بكر المشهور عند الفرنج باسم

(Saphadin) وحكمه ٥٩٦ - ٦١٥ هـ = ١١٩٩ - ١٢١٨ م .

(٢) سلطنته ٦١٥ - ٦٣٥ هـ = ١٢١٨ - ١٢٣٨ م .

(٣) في بر : بنا ، وهي في بن : بنى .

(٤) في هامش بر : المدرسة الكاملية . وفي بن لفظة « الكاملية » ساقطة .

(٥) سلطنته ٦٣٧ - ٦٤٧ هـ = ١٢٤٠ - ١٢٤٩ م . ويلاحظ هنا أن المؤلف

أخطأ بتولية الصالح نجم الدين بعد الكامل مجد ، وبذلك يكون قد تجاوز

عن حكم العادل سيف الدين أبي بكر وهو ابن الكامل مجد وقد جاء حكمه

بينهما .

ابن الملك الكامل ، وهو الذى بنى ١ المدرسة الصالحية ٢ بين القصرين بالقاهرة ، وهو أستاذ الترك ، و قلاوون الصالحى أحد مائيكه . ثم ولى ملك مصر بعده الملك المعظم طرنشاه ٣ بن أيوب . ثم بعده الملك الأشرف موسى بن أقيس . ثم بعده الملك المعز أيك ٤ التركانى مملوك الصالح نجم الدين ، وهو الذى عمر المدرسة المعزية ٥ برحبة الخروب ٦ بمصر . ثم ولى ٥ الملك ٧ بعده الملك المنصور ٨ على بن أيك . ثم ملك مصر بعده الملك المظفر قطز ٩

(١) فى بر : بنا ، وهى كذلك فى بن .

(٢) فى هامش بر : باني الصالحية ، أستاذ الترك .

(٣) كذا فى الأصلين و صحته : المعظم توران شاه - و سلطنته ٦٤٧ - ٦٤٨ هـ =

١٢٤٩ - ١٢٥٠ م .

(٤) فى الأصلين : افس (بدون نقط) و صحته فى المقرئى (كتاب

السلوك لمعرفة دول الملوك . نشر محمد مصطفى زياده . القاهرة ١٩٥٧ ج ١

قسم ١ ص ٣٦٩) و شاركه فى الحكم بعض الوقت المعز أيك مؤسس دولة المماليك البحرية .

(٥) أول المماليك البحرية المعز عماد الدين أيك و حكمه ٦٤٨ - ٦٥٠ هـ =

١٢٥٠ - ١٢٥٧ م .

(٦-٦) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٧) فى بن : ملك مصر .

(٨) المنصور نور الدين على أيك ٦٥٠ - ٦٥٧ هـ = ١٢٥٧ - ١٢٥٩ م .

(٩) حكمه ٦٥٧ - ٦٥٨ هـ = ١٢٥٩ - ١٢٦٠ م .

مملوك المعزاً فقتلته زوجته شجر الدر وأخفته أربعة أشهر وأظهرت للناس أنه ضعيف ، فلما تحقق أمره ولى الملك بعده ولده على الصالح ، فرمى زوجة أبيه شجر الدر من أعلى القلعة إلى أسفل فهلكت ، ومضى إلى الشام ورجع منه طالبا القاهرة ، فقتله ٢ الأمراء في الطريق .

٥ . وولى الملك بعده الملك الظاهر بيبرس ٣ مملوك بندقدار الصالحى ، وهو الذى عمر المدرسة الظاهرية بين القصرين بالقاهرة ، وصلى بالجامع الأزهر الجمعة ، ولم تكن الجمعة تقام فيه من زمن نقل الحاكم منصور العبيدى الجامع منه إلى جامع المعروف به بالقاهرة بين باب النصر و باب الفتوح فصار الجامع الأزهر بغير خطبة فى المدة المذكورة ، فتشعث ١٠ حاله و تغيرت رسومه ، فأمر الملك الظاهر بعمارتة و يياضه وإقامة الخطبة فيه فاستمرت إلى الآن ٤ .

[أبواب القاهرة]

وللقاهرة ٥ أبواب عدة ، منها باب زويلة و باب القنطرة و باب

(١) فى هامش بر بغير قلم الناسخ : هذا خبط زائد فان الذى قتله زوجته أيبك التركمانى وأما قطز فعند عودته من قتال التتر قتله الظاهر بيبرس باتفاق الأمراء .

(٢) فى الأصلين : فقتلته .

(٣) حكمه ٦٥٨ - ٦٧٦ = ١٢٦٠ - ١٢٧٧ م .

(٤-٤) ساقطة من بر و واردة فى بن [١٦٩ : الف] .

(٥) فى هامش بر : عدة أبواب القاهرة .

النصر و باب سعادة و باب الفتوح و باب الفرج ١ ، فقال [٢٢٠ : ب]
بعضهم في باب الفتوح و باب الفرج بيتين تورية ٢ و هما :

لا بد أن يرضى الزمان و ينصلح بعد الحرج
رب فتح باب الفتوح يفتح لنا باب الفرج

[أخبار الظاهر بيبرس] ٣

٥

ثم أن الملك الظاهر بيبرس فتح فتوحات كثيرة ، منها أرصوف
و الطبور ٤ و صفد و مرج بن عامر و الشقيف و بانياس و الصبيبة و حصن
عكا ٥ و حصن ابن الأحمر و حصن الأكراد ، و نزل على طرابلس بعساكره
و حاصرها ، فأرسلت الإفرنج التي بها يقولون ٦ لملك الإفرنج بأنطاكية :
انجدنا ٧ سرعة فان الملك الظاهر قد حاصرنا ، فأنت جواسيس الملك ٨
الظاهر أخبروه بذلك فأمر النقباء أن تعلم الجيش بالرحيل بعد فراغ
الخيل من عليها و أن يتركوا الخيام على حالها و النيران تقد ، و أخذوا

(١) زيد في بن : و غيرها . و الأبواب فيها وردت على غير هذا الترتيب في بر .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) في هامش بر : فتوحات الملك الظاهر بيبرس .

(٤) في الأصلين : و الطور .

(٥) في الأصل : حصن عكار .

(٦) في بن : تقول .

(٧) في بن : أدركنا .

ما يحتاجونه وتركوا الفاضل . وأمر الأدلاء في الليل أن يقصدوا به أنطاكية ، فساروا^١ حتى أتى قريبا من أنطاكية قبل الفجر من غير حس ولا خبر . فلما أصبح الصباح وفتحت أهل أنطاكية أبوابها رحل من منزلته التي نزل بها ، وحرك و هجم بعسكره دخلها^٢ فللكها بكل ما فيها ه من مال ورجال و حريم و ذراري - هذا ما كان منه .

وأما ما كان من أهل طرابلس النصاري^٣ فانهم عند صباح رحيل الملك الظاهر ، نظروا من أعلا السور فلم يروا بوطاقه أحدا ، فقرحوا و عطعوا وقالوا: رحل^٤ المسلمون عنا خوفا منا^٥ وتركوا خيامهم و أثقالهم من شدة الخوف الذي جعل لهم^٦ . ففتحوا أبواب البلد و نهبوا الوطاق بما ترك فيه من الأثقال . و وافاهم صاحب أنطاكية الكافر من البحر^٧ فدخل طرابلسي بمن معه من الجيش ، فمدوا له الأطعمة^٨ فأكل و أحضروا الخمر فشرب^٩ ، و صاروا يغنون و يرقصون

(١) في بن : فسار .

(٢) في بن : و دخلها .

(٣) في بن : الإفرنج .

(٤) في الأصليون : رحلت .

(٥ - ٥) الجملة ساقطة من بر و واردة في بن [١٦٩ : الف ، ب] .

(٦) في بن [١٦٩ : ب] : في مراكبه في البحر .

(٧) في بن : أطعمة .

(٨) في بن : فشربوا .

على حس آلات الطرب^١ و يقولون : الظاهر من مخافتنا هرب . فينما هم
 في زهوهم و لهوهم و إذا الخبر^٢ قد ورد عليهم بالعطب ، فلحقتهم الكربة^٣ ،
 فأنقلب فرح أهل طرابلس ترحا^٤ ، و صار صاحب أنطاكية من القهر^٥
 شبعا ، و قال^٦ لأهل طرابلس : لا كانت ساعتكم ، قطع المسيح جادرتكم ،
 أتم تفرحون و ترقصون ، و بلدى ملكها^٧ المسلمون ، و نهبوا أموالى^٥
 و بلادى ، و أسروا حريمى و أولادى . فصارت النصارى بما^٨ سمعوا منه
 يائسين ، و من^٩ سوء أحوالهم^٩ آئسين . و استعظموا أمر الملك الظاهر ،
 إذ صار على النصارى مظفرا^{١٠} ظاهرا^{١١} ، [٢٢١ : الف] نخاف منه
 كل علسج كافر ، و قالوا : ما بقى لنا معه حليف و لا ناصر ، و إذ هو^{١٢}

(١) فى بن : الملاهى .

(٢) فى بن : بالخبر .

(٣) فى بن : المرض و الكرب .

(٤ - ٤) فى بن : و انقلب فرحهم ترحا .

(٥) فى بن : الهم .

(٦) فى بن : فقال .

(٧) فى الأصلين : ملكتها .

(٨) فى بن : بما .

(٩ - ٩) فى بن : سواحلهم .

(١٠) ساقطة من بن .

(١١) صوابها « ظاهرا » و لكن تركناها بحكم السجع .

(١٢) فى بن : إذ .

قد فتح أنطاكية فلم يبق^١ لنا معه باقية ، و ستصير طرابلس مناخاويه^٢ ،
لا شكوى إلا للمسيح^٣ ولألمه ماريه^٤ . قيل إن دور سور مدينة أنطاكية
اثنا عشر ميلا ، وعدد بروجها مائة وستة و ثلاثون برجاً ، وعدد
شرفات^٥ سورها أربعة وعشرون ألف شرافة .

وقيل : كان الملك الظاهر^٦ في بدايته مملوكا للامير بندقدار
الصالحى ، وأن بندقدار عدى يوما من مصر إلى الجيزة يسرح بأرضها ،
فوجد في طريقه جميزة ، وكان الحر^٧ فقصده أن يقبل تحتها ويستظل
بظلها ، و كان يبرس المذكور بشمقدار يحمل شرموزة^٨ أستاذة الامير
المذكور ، فادعى به يلبسه^٩ مشايته^{١٠} لينزل عن فرسه فأتى إليه ومعه^{١١}

(١) في بر : يبق . وصحتها في بن .

(٢) في بن : خاليه .

(٣-٣) في بن : و ماريه .

(٤) في الأصول : اثني .

(٥) في بن : شرفات .

(٦) في هامش بر : مطلب ، واقعة لطيفة .

(٧) في بن : وقت القايلة .

(٨) في بن : زرموزة .

(٩) في بن : ليلبسه .

(١٠) كذا في بن ، ومكانها بياض في بر .

(١١) الكلمة مقطوعة في بر بالتجديد ، ولكنها واردة في بن .

واحدة^١ وقد وقعت منه الثانية^٢ من غير عليه بوقوعها ، فغضب الأمير عليه
وأخذ منه تلك الفردة ضربه بها على رأسه حتى تقطعت ، ثم ضرب
الدهر ضرباته ، فأعتقه أستاذه المذكور ، و كان من أمره في التقدم
ما كان إلى أن ولي ملك مصر ، فعدى يوما إلى الجيزة في عساكره^٣ ،
و مر بتلك الجيزة نفسها ، فوقف^٤ و ادعى^٥ بالأمير بندقدار معتقه^٦ ،
فأتى إليه^٧ ، فقال له : تعرف هذه الجيزة ؟ قال : نعم أيها الملك بصبرك
على ذلك القهر صرت ملك مصر . فأعجب الملك الظاهر كلامه و خلع
عليه و زاده في اقطاعه و قال : صدق فيما قال ، لو لا فعل اخوة يوسف
يوسف^٨ ما فعلوا ما صار^٩ ملك مصر^{١٠} ، فمن صبر ظفر و البلايا مفاتيح
الأرزاق^{١١} - انتهى .

١٠

- (١) في بن : فردة .
- (٢) في بن : الأخرى .
- (٣) زيد في بن : المبرحة .
- (٤) زيد في بن : بازائها .
- (٥-٥) في بن : بمعتقه الأمير بندقدار .
- (٦-٦) ساقطة من بن .
- (٧) في بن : به .
- (٨-٨) في بن : ملكا بمصر .
- (٩-٩) ساقطة من بر و واردة في بن .

[الإقطاع]

قال المؤلف اغفر الله له وللمسلمين أجمعين^١، وإذ قد ذكر الإقطاع^٢ فساذكر ما قيل في إجارته إذا خرج عن مؤجره^٣ عقيب إجارته^٤.
سئل بعض العلماء في مؤجر^٥ أجر إقطاعه مدة معلومة، فخرج الإقطاع منه إلى غيره قبل انقضاء المدة، فقصد المقطع الثاني تسليم الناحية إليه فامتنع المستأجر عن تسليم ذلك، فهل للمقطع الثاني نزع الناحية من يد المستأجر أو يطالبه بالأجرة أو يطالب المقطع الأول بالأجرة إذا كان قد التمسها من المستأجر أو شيئاً منها؟ فأجاب: إذا أجر الإقطاع مدة ثم انقطع حق المؤجر في أثناء المدة بموت أو إخراج السلطان له فإن المقطع^{١٠} الثاني مخير بين إمضاء الإجارة و بين فسخها، فإن فسخها كان للمستأجر من المنفعة ما للمقطع الأول [٢٢١: ب^٤] و عليه من الأجرة بقدر ذلك، فإذا كان خروج الإقطاع في أثناء السنة مثلاً و نصف المنفعة للمقطع الأول و نصفها للثاني، كان للمستأجر نصف المنفعة و عليه للمؤجر الأول نصف الأجرة و النصف الثاني يرجع به عليه إن كان سلفه إياه، ثم إن^{١٥} أمضى المقطع الثاني الإيجار كان له نصف الأجرة يطالب بها المستأجر، و إن أحاله على المقطع الأول فأسلفه إياه فله أن يقبل الحوالة و له أن لا يقبل، و الله أعلم.

(١-١) في بن: رحمه الله تعالى. (٢) في هامش بر: إجارة الأنقطاع.

(٣-٣) ساقطة من بن. (٤) في بن: مؤاجر.

(٥) زيد في بن [١٧٠: الف]: انتهى نعود.

[وقعة بيارس و محيي الدين النووي]

وقيل إن الملك الظاهر بيارس لما توجه بعساكره إلى الشام بسبب الترحين تحركت عليه أخذ فتاوى الفقهاء ٢ بأن يجوزوا ٢ له أن يأخذ من الرعية مالا يستعين به على قتال العدو ، فكتب له فقهاء الشام بذلك . فقال هل بقي عندكم أحد من الفقهاء ؟ قالوا : نعم ، بقي الشيخ الصالح ٣ . محيي الدين النووي . فطلبه فحضر ٤ فأوقفه على الفتاوى ٥ . قال ٥ : اكتب خطك مع خطوط الفقهاء . فامتنع من ذلك ، فقال له : ما سبب امتناعك ؟ قال : أعفني من ذلك . قال : ما السبب في ذلك اذكره لي . قال : أعرف أنك كنت مملوكا ٦ للأمير بندقدار و ليس لك مال ، ثم يتر الله لك أمرا على المسلمين ٧ فوليت الملك ٨ ، و سمعت أن عندك كذا ٩ ألف ١٠ مملوك ، كل مملوك منهم حياصته بألف ١١ دينار ، وعندك مائتي جارية

(١) زيد في بن : السلطان .

(٢-٢) في بن : أنه يجوز .

(٣) زيد في بن : الورع - و بهامش بر : واقعة النووي مع الظاهر بيارس .

(٤-٤) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٥) كذا في بن ، و هي في بر : فقال .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧) في بن : في الرق .

(٨-٨) الكلمتان ساقطتان من بن .

(٩) الكلمة ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(١٠) في بن : بمائة .

كل ١ جارية ٢ عندها حق ٢ حلى يزيد على عشرة آلاف دينار ، فاذا
أنفقت ذلك كله و بقيت ممالكك بنود الصوف بدلا من تلك الخوايص
و بقيت جواريك بثيابهن دون الحلى حينئذ أقتى لك بجواز أخذك المال
من الرعية . فغضب الملك الظاهر من كلامه و قال : اخرج من بلدى ،
٥ يعنى دمشق . قال : سمعا و طاعة ٣ . و انتقل ٤ منها إلى بلده ٥ نوى ، و هى
ضبعة بأرض حوران . فقالت الفقهاء للملك الظاهر بعد ذلك : إن هذا
٦ الذى أمرت بخروجه من دمشق ٦ الفقيه من كبار ٧ العلماء و الصلحاء
و ممن ٧ يقتدى به فأعده إلى دمشق ، فرسم برجوعه إليها ، فساروا إليه
و رغبوه فى الرجوع إلى دمشق ، ٦ و قالوا قد رسم السلطان برجوعك
١٠ إليها ٦ فامتنع و قال : لا أدخلنها و الملك الظاهر بالحياة أبدا . فلما كان
بعد شهر كان الملك الظاهر فى نفسه شيء من بعض أمرائه ، فصنع له شربة
مسمومة و دسها بين شربات غير مسمومة ، فلما قصد ٨ أن يسقى الأمير

(١) فى بن : لكل .

(٢-٢) الكلمتان ساقطتان من بن .

(٣) فى بن : و طاء .

(٤) فى بن : فانتقل .

(٥) فى بن : بلد .

(٦-٦) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٧-٧) فى بن : علمائنا و صلحائنا و من .

(٨) فى بن : اراد .

تلك الشربة المسمومة غلط فيها ١ فشرب هو المسمومة ١ . [٢٢٢ : الف]
 فمات و شرب الأمير غير المسمومة فسلم ٢ . فلما سمع ٣ الشيخ محي الدين
 بموت ٤ الملك الظاهر دخل دمشق . و هو محي الدين يحيى ٥ بن شرف
 ابن موسى بن حسن بن حسين بن جمعة الجذامي أبو زكريا العالم العلامة
 الشافعي شيخ المذهب و كبير الفقهاء في زمانه . ولد سنة إحدى و ثلاثين ٥
 و ستائة بنوى ، و قدم دمشق سنة تسع و أربعين ، فقرأ التنبيه في
 أربعة أشهر و نصف . ثم لزم المشايخ تصحيحا و شرحا ، ثم غنى^٦
 بالتصنيف^٧ فشرح كتاب مسلم في الحديث ، و صنف الروضة و المنهاج
 و الرياض و الأذكار و تحرير التنبيه و تصحيحه و تهذيب الأسماء و اللغات
 و طبقات الفقهاء و كتاب الإيضاح في مناسك الحج و كتاب الإيجاز في المناسك ١٠
 و غير ذلك . و كان رحمه الله ٨ من الزهاد و العباد ٩ و التجرد و الورع ٩

(١-١) في بن : فشربها هو .

(٢) زيد في بن : هكذا قيل و الله تعالى أعلم .

(٣) في بن : بالغ .

(٤) في بن : وفاة .

(٥) بهامش بر : محي الدين النووي .

(٦) في بن : اعتنى .

(٧) بهامش بر : مؤلفاته .

(٨) زيد في بن : تعالى .

(٩) الكلمة ساقطة من بن .

والانجماع عن الناس و التخلي لطلب العلم^١ ، و كان يصوم الدهر^٢ و لا يجمع بين إدامين . حكى^٣ أنه كان يدفع لبواب المدرسة الذي^٤ هو ساكن بها فلسين يشتري له بهما^٥ حمصا مصلوقا يفطر عليه فيشتريه بهما له . فلما كان في بعض الليالي قال البواب : لا بد لي الليلة أن أقتن الشيخ فاشتري له حمصا ، و جعل^٦ عليه زيتا و طحينة و خلا و كونا و ملحا . فأتى^٧ به إليه^٨ ، فنظر إلى ذلك^٩ فاستغربه و قال^{١٠} : ما هذا ؟ فقال : يا سيدي هكذا تأكل الناس الحمص بجوائجه . فقال : قال النبي صلى الله عليه و سلم « نعم الإدام الخل » و لم يجمع رسول الله صلى الله عليه و سلم بين إدامين قط ، فالحمص وحده إدام و الزيت إدام

(١) زيد في بن : على جانب .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) بهامش بر : مطلب يذكر فيه أخبار الإمام العلامة شيخ الإسلام

محبي الدين النووي .

(٤) في بن : التي .

(٥) زيد في بن : له .

(٦) في بن : و أتى .

(٧) في بن : له به .

(٨) في بن : إليه .

(٩) في بن : فقال .

(١٠) في بن : قال .

و الطحينة إدام و الخل إدام و الكمون إدام ، فانا لا نأكل غير إدام واحد ، كله أنت ولا تعد لمثل ذلك . ٢ فأخذته و اشتريت له حمصا وحده ، ٣ و أتيت به إليه فقبله ٢ . و كان ٤ الناس يأتون إليه يقرأون ٥ القرآن عليه ، و كان فيهم صبي يقرأ عليه و الشيخ لا ينظر إليه لصغر سنه و حسن وجهه ، فلما كان بعد سنة من حين قراءته عليه قال : من أبوك ؟ ٥ قال : فلان الحلوى فأتى الصبي إلى والده ذكر له ذلك ، ففرح بسؤال الشيخ عنه ، فصنع ٦ الرجل من السكر حلاوة مطيبة بماء الورد و المسك و العنبر ٦ و لوّنها ألوانا ٣ و ملأ طبقا كبيرا ٣ و غطاه و أتى به إلى الشيخ ، ٣ فدق بابه دقا خفيفا فقال : من ٣ ؟ ٧ و قال له ٧ : عبدك الحلواني ٨ أبو الصبي الذي سأله بالأمس ٩ بعد قراءته ٩ غنى ، و قد أتيتك بما معي أرجو بركتك ١٠ فاقبله مني . ٣ فأمره بالدخول فدخل و وضع الطبق بين يديه ٣ ، و رفع

(١) في بن : إلا .

(٢) زيد في بن : قال .

(٣-٣) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٤) عن بن ، و في بر : وكانت .

(٥) في الأصلين : يقرون .

(٦-٦) في بن : حلوى طيبة من سكر و وضع فيها المسك و الماء و العنبر الحام .

(٧-٧) في بن : قال .

(٨) في بن : الحلوى .

(٩-٩) ساقطة من بن .

الغطاء عن الطبق ، فنظر الشيخ لتلك الحلوى [٢٢٢ : ب] اوهى ما بين
أصفر وأحمر وأخضر وأبيض ^١ ، ورأى منها ما هو متطاوily و ملوى
ومدور ومشوب ومبسوط ، وقد سعطت ^٢ تلك الروائح الطيبة العبقة
إلى خياشيمه فقال : هذا طعام الجبابة ، ارفعه عنى عافاك الله . فرفعه
الخلوانى ورجع به إلى حانوته مكسور الخاطر على عدم قبوله منه - انتهى .
وكان الشيخ محي الدين المذكور على جانب كبير من الورع والزهد فى
الدنيا . وكانت وفاته فى ليلة الجمعة ثانى عشر ربيع الأول سنة ست
وستين ^٣ وستمائة - انتهى .

نعود إلى من ولى مصر بعد وفاة الملك الظاهر بيبرس - ولى ^٤ ملك مصر
١٠ بعده ^٥ الملك السعيد ^٦ . ثم ولى بعد الملك السعيد الملك العادل شلامش ^٧
ابن بيبرس وأتابك عسكره الأمير سيف الدين قلاون الصالحى . نخلعه
قلاون من الملك ونفاه ، كما قيل إلى بلاد الإفرنج ، والله ^٨ أعلم .

- (١ - ١) فى بن : التى منها الأصفر والأحمر والأخضر والأبيض .
(٢) فى بن : سطعت .
(٣) وربما كانت صحة التاريخ «وسبعين» كما ورد فى دائرة المعارف الإسلامية .
(٤) فى بن : ثم .
(٥) فى بن : بعد وفاته .
(٦) وهو الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان بن الظاهر بيبرس و سلطنته
٦٧٦ - ٦٧٨ هـ = ١٢٧٧ - ١٢٧٩ م .
(٧) وهو الملك العادل بدر الدين شلامش و كانت سلطنته قصيرة فى ٦٧٨ هـ =
١٢٧٩ م .
(٨) زيد فى بن : تعالى .

[أخبار السلطان قلاون]

و ولي^١ قلاون^٢ ملك مصر و لقب بالمنصور . و أتى في دولته منكوتر التتري ابن خال الملك ابغا ابن الملك هلاون^٣ طامعا في الشام . فنفق الملك المنصور قلاون في جيوش مصر و خرج بهم للقائه ، فكان اجتماعهم في حمص ، و عضده في الملك^٤ الأميران الكبيران^٥ البيسرى و الحلبي ، و جاءه الأمير^٦ سنقر الأشقر من قلعة صهيون بعد أن كان امتنع من مبايعته له ، ففرح^٧ السلطان به و قال له : يا خشداش^٨ أرسلت^٩ لك كتابي فلم تأت^{١٠} و جئتني الآن بغير^{١١} طلب . فقال : ما أتيت إلا^{١٢} نصرة للمسلمين ، و الموافقة على لقاء العدو اللعين . ففرح السلطان و المسلمون به^{١٣} ، و قاتلوا منكوتر التتري ، فكانت كسرة التتر على يد الأمير سيف الدين أزدمر ،^{١٤}

(١) في بن : ثم ولي .

(٢) وهو الملك المنصور سيف الدين قلاون و سلطنته ٦٧٨ - ٦٨٩ هـ / ١٢٧٩ - ١٢٩٠ م .

(٣) في بن : هلاكو .

(٤ - ٤) في الأصل بر : الأميرين الكبيرين - و صحته في بن .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) في بن : ففرع .

(٧) في بن : يا خشد .

(٨ - ٨) في بن : إليك لتأت إلى فلم تأتني .

(٩) في بن : من غير .

(١٠ - ١٠) في بن : لنصرة المسلمين .

فدا^١ المسلمين بنفسه، فمات شهيدا بحيلته التي دبرها، فحصل لهم به النصر،
وحصل له جنة المأوى بالشهادة التي رزقها، وصار له جميل الذكر بما
خيل له فهمه من الفكر. وذلك أن الأمير أزدمر المذكور جمع حاشيته
بجماعته^٢ وماليكه وغلماه في الليل وقال لهم: إني غدا فاعل أمرا
ه أرجو به أجرا ولست أكرهكم عليه إلا من رضى. ثم عمد إلى بماليكه
أعتقهم وأعطى كل واحد منهم مالا، وفرق على غلماه وحفدته المال
من خزائنه وذلك في الليل^٣، ثم قال لهم: إني^٤ في غداة^٥ أفدى المسلمين
بنفسى، أخرج إلى العدو في صفة رسول، فاذا قربت من الملك منكوثمر
قتلته فأقتل حينئذ، فمن أراد الجنة فليتبعن^٦، [٢٢٣ : الف] فتبعه مملوك
١٠ واحد ورجل كان عنده جمالا يسمى^٧ عليا السيروان. فكان الجمال^٨
المذكور بين يدي أزدمر ومملوكه على فرس خلفه، وأزدمر راكبا على
فرس قد ربط كتابا مطويا في عقب رحله، وجعل سنان رحله خلف
ظهره^٩ وودع السلطان والأمراء^{١٠}، وبرز بين الصفين وصرخ قائلا:
أنا رسول إلى الملك. فلما سمعوا تكرار مقاتله تلك أفرجوا^{١١} له طريقا،

(١) في بن: فدى.

(٢) ساقطة من بن.

(٣ - ٢) ساقطة من بر واردة في بن.

(٤) في بن: وقال.

(٥) زيد في بن: غد.

(٦) في الأصل: فيتبعنى. والأصح في بن كما أوردنا بالنص.

(٧) في بن [١٧١ : الف] : المال - وهو خطأ قلبي واضح.

(٨) في بن: أفرجت التمر.

فلما قرب من الملك منكوتمرا ، قلب رمحہ و طعنه بسنانه طعنة ألقاه عن فرسه قتيلا . فترجل جيشه عند وقوعه ، فداستهم عند ذلك عساكر المسلمين . و قتل الأمير أزدمر و مملوكه و السيروان باختطاف سيوف التتر لهم حين وقوع الملك منكوتمرا . و انتصر المسلمون على العدو المخذول قتلوه و غنموه . فبينما الملك المنصور بالنصر مسرورا ، إذ نادى مناد^٥ في ذلك النادى : نصيحة لمولانا السلطان . فسمعه السلطان فطلبه فحضر فقيل له : ما نصيحتك ؟ فقال : إن نصارى أهل الذمة يلدقارا صاروا يتخطفون المسلمين من الطرق^٦ يكبلونهم بالقيود و يرسلونهم إلى طرابلس يبيعونهم بها للفرنج^٧ ، و قد صار^٨ المسلمون بفعلهم ذلك معهم في العذاب و الهوان ، و قد فعلوا بى ذلك و باعوني بها فتحييت و هربت ، و قد أتيت^٩ مستغيثا بالله و بمولانا السلطان ، فأغث المسلمين المأسورين بفعل نصارى قارا الذميين . فلما سمع السلطان مقالته أمر بالحفظ به و رحل طالبا دمشق . فبينما هو سائر^{١٠} إذ رأى بلدا^{١١} على طريقه^{١٢} ، فسأل^{١٣} عنها ، فقيل^{١٤} :

- (١) فى بر : ابغا . وفى بن : التتر . والواضح من السياق ما أوردناه بالنص .
- (٢) فى بن : بسرعة .
- (٣) فى الأصل : ابغا ، وهى ساقطة من بن ، وصوابها واضح كما فى النص .
- (٤-٤) فى بن : منادى ينادى . و زيد بعدها : بأعلا صوته . وفى بر : منادى .
- (٥) فى بن : الطرقات .
- (٦) فى بن : للفرنج .
- (٧) فى الأصلين : صارت .
- (٨-٨) الجملة ساقطة من بن .
- (٩) كذا فى بن وهى فى بر : فسئل .
- (١٠) فى بن : قيل .

هي قارا . فنزل عليها فخرجت أهلها النصارى له بالإقامات ، و كان بها ألف نصراني ليس بينهم مسلم واحد . فلما وقع نظر السلطان على القسيسين و الرهبان مع تلك الإقامات^١ ، أمر بكل نصراني بقارا^٢ أن يخرج منها^٣ إلى العرض ، فدخلها^٤ الجند أخرجوا^٥ كل نصراني كان بها في الجبال ، ه فقدموا إلى السلطان فقال لهم : أتم^٦ أهل قارا الذميون^٧ . قالوا : نعم . قال : بلغ من أمركم و أتم تحت الذمة إلى أن صرتم تتخطفون المسلمين من الطرق تبيعونهم للفرنج^٨ بطرابلس . فقالوا : حاشا لله أن نفعل^٩ ذلك ، و إنما نحن تحت الذلة و المسكنة و الطاعة . فادعى السلطان حينئذ باحضار المسلم المختطف^{١٠} به فحضر . فقال له : إنك ادعيت أن نصارى ١٠ قارا أسروك [٢٢٣ : ب] و باعوك بطرابلس ، و أنهم صاروا يتخطفون المسلمين و يبيعونهم بها^{١١} ، و قد أنكروا ما ذكرت عنهم^{١٢} ، فما حجتك عليهم^{١٣}

(١) في بن : الإقامة .

(٢) في بن : بها .

(٣) عن بن ، وهي ساقطة من بر .

(٤) ساقطة من بن

(٥) في الأصلين : فدخلتها .

(٦) ساقطة من بر و وارة في بن .

(٧) في بن : انت .

(٨) في الأصلين : الذميين .

(٩) في بن : للفرنج .

(١٠) في بن : نكون نفعل .

(١١) في بن : المختطف

(١٢ - ١٣) ساقطة من بر و واردة في بن .

فصار الرجل يذكر لهم فعلهم بأدلة ذكرها لهم^١ و أمائر^٢ حققها وأظهرها،
 فقويت حجته عليهم، فسقط ما بأيديهم،^٣ فعند ذلك دحضت حجتهم
 و ظهرت فضيحتهم^٤، فأمر السلطان بقتلهم، فقتلوا عن آخرهم، وأخذت
 أموالهم، و سبيت نسوانهم^٥ و أطفالهم، و سكن المسلمون قارا بعد هلاك
 النصارى، و جعلت كنائسهم مساجد^٥، فكثرت بها الراكع و الساجد،^٥
 و بدل الناقوس بالآذان، و الكفر بالإيمان، فله الحمد و الشكر على ذلك.
 و اعلم أن أهل الذمة إذا خرجوا قاطعين لطريق المسلمين مخيفين
 لهم^٦، فهل يكون ذلك نقضا للعهد أو لا^٧؟ مذهب ابن قاسم^٨ -
 و هو المشهور - أنه لا يكون نقضا. و قال ابن مسلمة هو نقض للعهد،
 و رجحه بعض الشيوخ بمسألة إكراه المسلمة على الزنا، فذهب ابن القاسم^٩
 بأن الذي^{١٠} أكره المسلمة على الزنا^{١١} يقتل - انتهى .

نعود ١٢ - ثم ان السلطان الملك المنصور قلاوون بقى فى نفسه من

(١) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٢) جمع « أماراة » فى اللغة المصرية الدارجة بمعنى إشارة أو علامة أو دليل .

(٣-٤) الجملة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٤) فى بن : نسائهم . (٥) فى بن : مساجدا . (٦) فى الأصلين : لها .

(٧-٧) فى بن : نقض العهد أم لا .

(٨) فى بن : القاسم . (٩) فى بن : القسم .

(١٠) فى بن : المسلم إذا - و بهامش بر : ط الذمى .

(١١) زيد فى بن : انه .

(١٢) الكلمة ساقطة من بن .

طرابلس الشام^١ شيء^٢، فرحل من قارا ونزل على^٣ دمشق، ففرح^٤ به أهلها^٥، وزينوا البلد لقدمه ونصره على التتر^٦ بالحلى والحلل والستور والكلل^٧. فأقام حتى استراحت العساكر، وارتحل منها طالبا مصر بالغنائم التي اكتسبها. ثم بعد ذلك بمدة^٨ عزم على فتح طرابلس، فجهز لها العساكر وقصدها في عام ثمان^٩ وثمانين وستمائة، فحاصرها^{١٠} ونصب عليها تسعة عشر منجنيقا، ورمها بالحجارة^{١١}، في الليل والنهار، إلى أن أخرج منها الديار. فكان مدة حصاره لها أربعة و ثلاثين يوما، وقيل أربعة وخمسون^{١٢} يوما. فحينئذ طلعت الصناجق^{١٣} المنصورة إلى المدينة، فقتلوا وأسروا وغنموا الغنائم الكثيرة، وهرب بعض الإفرنج^{١٤} من البلد في المراكب دخلوا الجزائر، فحصل في قبضة السلطان منها ألف ومائتا^{١٥} أسير. وكانت الإفرنج^{١٦} ملكتها من المسلمين في سنة

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢-٣) في بن : فرجع من قارا إلى .

(٣) في الأصلين : ففرحت .

(٤) زيد في بن [١٧١ : ب] : المسلمون .

(٥-٥) الجملة ساقطة من بن .

(٦) الكلمة ساقطة من بر، و واردة في بن .

(٧) في بن : ثمانية . (٨) في بن : وحاصرها .

(٩) في بن : بالحجارة . - وهو الأصح ولكن تركناها كما في بر لضمان السجع .

(١٠) في بن : ونمسين . (١١) في بن : الصناجق . (١٢) في بن : الفرنج .

(١٣) في الأصلين : ومائتي .

ثلاث وخمسة بعد أن حوصرت سبع سنين ، و صاحبها يومئذ أبو علي
عمار بن محمد بن عمار . فلما فتحها الملك المنصور قلاون ، أمر بخرابها
وهدم أسوارها ، فأخربت ديارها ، ورميت أسوارها . و أمر ببناء
طرابلس التي هي الآن بعيدة من الساحل عوضها . ورحل السلطان إلى
مصر مسرورا مؤيدا منصورا ، فأقام بقلعة الجبل إلى أن توفي ٢ سنة ٥
تسع وثمانين وستمائة ، ودفن [٢٢٤ : الف] بقبة المنصورية التي عمرها
له بأمره الأمير علم الدين الشجاعى ، و المدرسة و المدارس أيضا بين
القصرين بالقاهرة ، فكانت مدة مملكته إحدى عشرة ٣ سنة و ثلاثة أشهر
فولى ملك مصر بعده الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن الملك
المنصور قلاون .

١٠

[سلطنة الأشرف خليل]

و فى شهر شعبان سنة تسع وثمانين وستمائة ثار جماعة من الإفرنج^١
بعكا^٢ و قتلوا جماعة كثيرة من المسلمين بها^٣ ، كانوا دخلوها بسبب التجارة ،
و أرسل^٤ أهل عكا يعتذرون للسلطان الملك الأشرف أن ما^٥ فعله

(١) فى بن : باخرا بها . (٢) زيد فى بن : فى . (٣) فى بن : احد عشر .

(٤) وسلطنته ٦٨٩ - ٦٩٣ هـ = ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م .

(٥) فى بن : الفرنج .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧) كذا فى بن و الكلمة فى بر : و أرسلوا .

(٨) فى الأصحاب : إنما .

إلا جماعة من الإفرنج^١ الغرباء الذين أتوا عكا في هذه الأيام ، و إنه لم يكن عن رضائهم^٢ و لا أرادوه^٣ ، و كان ذلك من أقوى الأسباب في تجهيز السلطان الملك الأشرف بالعساكر و خروجه لحصار عكا في السنة المذكورة ، و زحفت العساكر على عكا ، و نصب عليها المجانيق . و قيل كان في أسرى المسلمين بعكا رجل بواق طالت إقامته عندهم و لم يقدر على الهرب ، فجعلوه بواقا لهم على السور ، فلما رمى منجنيق المسلمين على عكا لم يصل الحجر إلى السور ، بل بقي من وصوله نحو ذراع أو ذراعين ، فصار المسلم المبوق على السور يقول في بوقه : قدموا قدموا . و تكرر هذا اللفظ بصوته فيه ، ففهم مبوقوا^٤ المسلمين قوله ذلك ، فأعلموا السلطان به ، فقال لأصحاب المنجنيق : قدموا ! فقدموه و رموا به رميا مترادفا فأخربوا جانبا من السور . و زحف المسلمون فدخلوها^٥ و ملكوها^٦ بعون الله تعالى ، فقتلوا و أسروا و غنموا غنائم كثيرة . و كان مدة حصارها أربعة و أربعين يوما و كان عليها نحو سبعين منجنيقا كبارا و صغارا . و أمر بأخربها^٧ فتواتر الرمي عليها بالمجانيق^٨

(١) في بن : الإفرنج . (٢) في بن : رضا منهم . (٣) في بن : ارادة .
(٤-٤) هذه العبارة بكاملها ساقطة من بر و واردة في بن و يكتمل الكلام بها ،
وهي في بن [١٧١ : ب] .

(٥) في بن : مبوقين .

(٦) في بن : زحفت .

(٧) كذا في بن ، وهي في بر : فملكوها .

(٨-٨) الجملة ساقطة من بر و واردة في بن .

فأخربت ، و هي الآن ا خراب يباب^١ ، و إلى جانبها طائفة من المسلمين
سكانا^٢ ، . و في جبلها مقطع^٣ الأرحية التي للطواحين^٤ . و وصل إلى
الملك الأشرف بعد فتحه لعكا مفاتيح صور و صيدا و بيروت و انطرسوس
و عدة قلاع أختها^٥ النصارى عليهم أنهم بعد فتح السلطان صلاح الدين
يوسف بن أيوب لبيت المقدس و فتح السلطان الملك الظاهر لأنطاكية^٥
و فتح السلطان الملك المنصور قلاون طرابلس و فتح السلطان الملك
الأشرف لعكا^٥ لم يبق لهم في برهم سكنى معهم^٥ ، فصاروا إذ ليس لهم
طاقة بالسكنى بين المسلمين ، فأخلوها و دخلوا جزير البحر سكنوها ،
و وصلت البشارة إلى القاهرة بفتح عكا و إخراجها ، فزينت القاهرة أحسن
زينة ، و حصل عند العالم مسرة عظيمة بأخذ ثار قتلى^٦ التجار المسلمين^{١٠}
بها ، و بخرابها و طهارة سواحل المسلمين من الإفرنج^٧ الكافرين . و رحل
الملك الأشرف ، أتى إلى القاهرة فدخلها^٨ من باب النصر و أسارى أهل

(١-١) في بر : خرابا بيابا . . . و لفظة « يبابا » ساقطة من بن ، و ربما كانت
الكلمة « يباب » .

(٢-٢) في بن : و في جانبها قرى للمسلمين .

(٣-٣) في بن : الرحى و هي حجارة الطواحين .

(٤) في بن : احتلها .

(٥-٥) الجملة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٦) كذا في بن [١٧٢ : الف] ، و هي في بر : قتلا .

(٧) في بن [١٧٢ : الف] : الفرنج .

(٨) عن بن ، و في بر : دخلها .

عكا قدامه ، و شق المدينة و هي مزخرقة بالزينة ، فدعوا ١ الناس له و هتّوه بالنصر إلى أن وصل إلى القصر .

٢ قال بعض العلماء: تكره التجارة إلى أرض العدو لأن فيه تغيرا للانسان بنفسه و ماله و إذلالا للدين و اعزازا للشرك أن تجرى أحكامهم عليه ، و يرى الكفر جهارا و لا يأمن على نفسه من الفتنة ، و تكره على ... ٣. أو يغدروه ، و كل ذلك منعه الشرع و له في بلد المسلمين مندوحة عن التعرض لهذه الأمور ، و قد قال النبي صلى الله عليه و سلم : " السفر قطعة من العذاب ، يمنع أحداكم نومه و طعامه و شرابه " ٤ .

١٠ و كان الملك الظاهر يبرس في دولته بلغه أن صاحب جزيرة قبرس أتى بجيشه إلى عكا لينصر أهلها خوفا من إتيان الملك الظاهر إليها . فأراد الملك الظاهر [٣٢٤ : ب] اغتنام هذه الفرصة ، فبعث جيشا كثيفا في سبعة عشر شينى ليأخذوا ٥ جزيرة قبرس ٦ ، فسارت الشوانى سرعة

(١) في بن : فدعا .

(٢-٢) هذا القسم ساقط من بر و وارد في بن [١٧٢ : الف] .

(٣) مطموسة بالأصل .

(٤) الكلمة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٥) في بر : ياخذوا - و في بن : يفتحوا .

(٦) في بن : قبرص .

إليها ، فلما قربت من الجزيرة جاءتها ريح عاصف تصادمت بعضها لبعض فتحطم منها أحد عشر مركبا وغرق خلق ، و أسر من الصنائع و الرجال قريبا من ألف و ثمانمائة ، فانا لله و إنا إليه راجعون . فسار الملك الظاهر و نصب المجانيق على عكا ، فقال أهلها الأمان الأمان ، فأجابهم إلى ذلك ، و دخل عكا يوم عيد الفطر فتسلم حصنها . و كان هذا الحصن شديد الضرر على المسلمين ، و هو في واد بين جبال . و قد كان الملك الظاهر سار ٢ إلى طرابلس الشام ١ ، فأرسل إليه صاحبها يقول : ما مرادك أيها الملك ؟ فقال : جئت لأرعى زرعكم ٣ و أخرب بلادكم و أعود إلى حصاركم في العام الآتي . فأرسل يستعطفه و يطلب منه المصالحة ، و وضع الحرب بينهم عشر سنين ، فأجابه إلى ذلك .

١٠

ثم أن السلطان الملك الظاهر مات ، فلما كان في دولة الملك المنصور قلاون فتحها و فتح ولده الملك الأشرف عكا كما تقدم ذكره ، و في رجب سنة إحدى و تسعين و ستمائة ملك المسلمون قلعة الروم ، و أخذوا منها ألف أسير ، و كانت مدة حصارها ثلاثة و ثلاثين يوما .

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) كذا في بن ، و هي في بر : صار .

(٣) في بن : زرعكم .

(٤-٤) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٥) في بن : ذكر ذلك .

(٦) في الأصلين : كان .

او كانت الروم أسرت عبد الرحمن الأعشى الشاعر ، و بقى في أيديهم مدة ، ثم أن بنت العليج الذي أسره هويته^٢ فكنته من نفسها فواقعها في ليلة ثمان مرات ، فقالت : يا معاشر المسلمين أهكذا تفعلون بنسائكم؟ فقال : هكذا تفعل و أكثر من ذلك . فقالت : بهذا العمل نصرتم علينا ، أفرأيت إن^٣ نصرتك و خلصتك تصطفيني لنفسك؟ قال : نعم ! فلما كان الليل حلت قيوده و أخذت به طريقا نجيا فيها و سارا إلى أن دخلا أرض المسلمين . كان المهلب بن أبي صفرة كثير النكاح . قال ابن قتيبة : يقال إنه وقع من صلبه إلى الأرض ثلاثمائة ولد ، و كان ميمون النقيبة لم يكن في جيش . وكسر ذلك الجيش أصلا ، و كان يقول : الحياة خير من الموت ، و الثناء الحسن خير من الحياة ، و لو أعطيت ما لم يعط أحد لأحببت أن أكون أذنا أسمع بها ما يقال في غد إذا مت . انتهى .

و قبض السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل^٤ ابن الملك المنصور

(١-١) هذا الجزء بأكمله ساقط من برو و وارد في بن [١٧٢ : الف - ب] .

(٢) في الأصل : هويت .

(٣) في الأصل : انى .

(٤) سلطنته ٦٨٩ - ٦٩٢ هـ = ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م .

قلاون على الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة المنصورية ، و رسم
 للأمر حسام الدين استادار^٢ و الطواشي بلال بأن ينزلوا إلى دار طرنطاي
 و يطلعوا للقلعة بكل ما فيها ، فذكر بأن الذي أخرجوه منها
 ستمائة ألف دينار مصرية و مائة و إحدى و سبعين قنطارا دراهم و جميع
 قاشه و عدته و سلاحه ، و لم يتركوا بالدار شيئا . و كان شيئا كثيرا ،
 و أخذ جميع خيله^٣ و جماله و مواشيه و ممالكه ، فأخذ السلطان بعض
 ممالكه^٤ و فرق الباقي على الأمراء ، و أحيط على جميع موجوده^٥ بمصر
 و الشام ، و عوقب بعد ذلك ، و عسر بالمعاصير ، و بقي في العقوبة إلى
 أن مات ، و بقي بعد موته أياما^٦ مرميا^٧ في المكان الذي مات فيه ، ثم
 أنزلوه من القلعة إلى زاوية الشيخ أبي السعود^٨ بالقراقة ، فغسلوه و كفنوه^٩
 و صلوا عليه و دفنوه قبلى الزاوية من ظاهرها . فلما كان في أيام السلطان
 الملك العادل كتبغا رسم بنقله إلى تربته التى أنشأها بجوار داره و مدرسته
 [٢٢٥ : الف] بالقاهرة فدفن بها .

- (١) فى بن [١٧٢ : ب] : نائب نائب للسلطنة .
 (٢) كذا فى بن ، و هى فى بر : استادارا .
 (٣) فى بن : خيامه .
 (٤-٤) العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن .
 (٥) فى الأصل بر : موجوده - و صحته فى بن كما أوردنا بالنص .
 (٦) فى بر : مرمى . و صحته فى بن .
 (٧) فى بر : مرمى . و فى بن : مومى .
 (٨) فى بن : مسعود .

و في ١ المحرم سنة ثلاث و تسعين و ستمائة توجه السلطان الملك
الاشرف صلاح الدين خليل إلى الصيد ، و عدى نزل الأهرام ، و رحل
يوم السبت خامسه و نزل على تروجه يوم الخميس . و يوم ٢ السبت
ثاني عشره قتل السلطان الملك ٣ الاشرف المذكور على تروجه ، قتله
الأمير بدر الدين بيدرا نائب السلطان ٤ و جماعة من أكابر الأمراء
المتفقين معه ، و كان ابن السلعوس من أعيان دمشق ، و كان الملك
الاشرف في دولة أبيه الملك المنصور قلاون سافر إلى دمشق ، فخدمه
ابن السلعوس خدمة بالغة و أكرمه إكراما جزيلا ، فلما توفي الملك
المنصور قلاون ، و ولي الملك الاشرف استوزره . فتمكن ابن السلعوس
١٠ في الوزارة و شمع بأنفه على الأمراء ، و كان علم الدين الشجاع نائبا
للسلطان الملك المنصور قلاون و نائبا أيضا لولده الملك الاشرف بعده ، فركب
ابن السلعوس المذكور ٢ بحمقه ٣ رقاب الأمراء حتى الشجاع أيضا ،
و استطال عليهم بتقديمه عند السلطان ٧ و قربه منه ٨ فكرهته الأمراء

(١) في بن : في ؛ بسقوط واو العطف مع استمرار الكلام السابق فيتغير معنى العبارة .

(٢) في بن : و في يوم .

(٣) الكلمة ساقطة من بن .

(٤) في بن : السلطنة .

(٥) في بن : الأكابر .

(٦) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٧-٧) الكلمتان ساقطتان من الأصل بر و واردتان في بن .

و تمت

(٢٥)

١٠٠

و تمت ١ له العثرات ، فقال بعضهم في المعنى :
تبصر يا وزير الملك واعلم بأنك قد وطأت على الأفاعى
فان تك سالما منهم فاني أخاف عليك من لدع الشجاعى
فلما نزل السلطان الملك الأشرف على تروجه بسبب الصيد و القنص ٢ ،
ترجه ابن السلعوس إلى الإسكندرية ، و قد استصحب معه حملين مقارع ٥
بسبب مصادرة ٣ كبار أهلها ٣ ، فدخلها آخر النهار ، و كان المتولى بها
إذ ذاك الأمير حسام الدين بن باخل ، فعنفه الوزير المذكور و شتمه ٢
و قال له : غدا أضربك بالمقارع . فخاف منه و خافت أهل الإسكندرية
منه أيضا خوفا شديدا بسبب إتيانه لهم بالمقارع لآخذ أموالهم منهم
بظلمه و عنفه ، فباتت الناس في كرب شديد لما يصبح يفعل ٤ بهم . فلما ١٠
قتل الأمير بيدرا الملك الأشرف ٥ بعد العصر ٥ و بعد دخول ابن السلعوس
إلى الإسكندرية ٦ وقت العصر ٦ ، أتى بدوى في الليل إلى الطاق التى بدار
الإمارة فى السور . صاح ففتح الأمير الطاق و قال : ما الخبر ؟ فقال :
أيها الأمير تعيش و تبقى ٧ فى السلطان فانه قتل وقت ٨ العصر و قد

(١) فى بن : و تصفوا . (٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣-٣) فى بن : أعيانها .

(٤) فى بن : يفعل .

(٥-٥) الكلمتان ساقطتان من بر و واردتان فى بن .

(٦-٦) الكلمتان ساقطتان من بن .

(٧) فى بن : و تبقا .

(٨) فى بر : بعد .

أتيت^١ مطردا بخبر قتله فانظر لنفسك . فمضى الأمير إلى منزل الوزير
ابن السلعوس^٢ ودق الباب ، فخرج [٢٢٥ : ب] له الطواشي فقال : من
أنت ؟ قال^٣ : أنا الأمير^٤ ابن باخل ، فقال : ما تريد ؟ قال^٥ : أريد الاجتماع
بمولانا الوزير . فأخبره الطواشي بذلك ، فقال : قل له يا شيخ النحاس
جئت^٥ في هذا الوقت^٥ تبرطلني ، غدا أضربك^٦ بالمقارع . فبلغه
الطواشي^٧ الرسالة ، فقال^٨ للطواشي : قل له جاءك^٩ في أمر أهم^{١٠} من البرطلة^{١١}
وفي مصلحتك لا مصلحتي . فأعلمه الطواشي بذلك فخرج إليه فقال له :
ما الذي أتى^{١٢} بك في هذا الوقت ؟ فقال له :^{١٣} أمر مهم . فقال : وما هو ؟
قال^{١٤} : يا مولانا الوزير انظر في أمرك فان مولانا السلطان قتل بالأمس

(١) في بن : اتيتك .

(٢) في بن : سلعوس .

(٣) في بن : فقال .

(٤-٤) العبارة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٥-٥) الكلمات ساقطة من بن [١٧٢ : الف] .

(٦) كذا في بن ، وهي في بر : يضربك .

(٧) الكلمة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٨) زيد في بر : قل . والكلمة لا محل لها في السياق فأسقطناها لاستقامة العبارة .

(٩) في بن : اتاك .

(١٠-١٠) في بن : مما ذكرت .

(١١) في بن : أتا .

بعد^١ العصر ، و نفذ حكم الله فيه ، و قد أتاني الخبر مع نجاب الآن
بذلك . فلما سمع الوزير كلامه^٢ كشف رأسه وانكب على رجل^٣
الأمير يقبلهما^٤ و قال : يا أمير الجيرة^٥ أخرجني في هذه الساعة لئلا
يقتلني أهل الإسكندرية غدا بالحجارة . فعند ذلك طلب الأمير الأجناد
و الجبلية سلمه لهم^٦ و قال : احتفظوا به إلى أن توصلوه^٧ و طاق السلطان^٨
بتروجه . فلما وصل الوزير إلى^٩ الوطاق ، ظفر به الأمير علم الدين
الشجاعى ، فلم يزل يضربه بالمقارع إلى أن مات^٩ . و كانت مدة مملكته^{١٠}
الأشرف ثلاث سنين و شهرين و ستة أيام . و لما وصل خبر قتله^{١١} إلى
الوطاق ركب الأمير حسام الدين استادار الأمير زين الدين كتبغا و المماليك
السلطانية و التقوا مع الأمير بيدرا قتلوه و هرب من كان معه . و وصل^{١٠}

(١) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٢) في بن : كلامك .

(٣) في بن : أقدام .

(٤) في بن : قبلها .

(٥) زيد في بن [١٧٣ : الف] : يا أمير .

(٦) في بن : إليهم .

(٧) زيد في بن : الى .

(٨) الكلمة ساقطة من بن .

(٩) في بن : هلك .

(١٠) في بن : مقتل السلطان .

الخبر إلى القاهرة بقتل السلطان ' وهو يتصيد ' فغلقت القاهرة و مصر
' وفي يوم الإثنين رابع عشر المحرم أحضروا رأس بيدرا على رمح
و طافوا به مصر و القاهرة ، ثم علقوها على باب داره ' .

[سلطنة الناصر محمد الأولى]

٥ وفي يوم الثلاثاء خامس عشر المحرم سنة ثلاث و تسعين و ستمائة
شرعوا في تحليف العساكر المنصورة للسلطان الملك الناصر محمد^٢ بن الملك
المنصور قلاوون و عمره يومئذ تسع سنين كاملة . وفي هذا النهار قبض
على الأمير بهاء^٣ الدين رأس نوبة و على اقوش الموصلی الحاجب . و كانا^٤
من جملة الأمراء المخامرين ، و طلعوا بهم القلعة ، فعند وصولهم إلى
١٠ القلعة قامت إليهم الممالك السلطانية قتلوهم و قطعوا رؤسهم و علقوها
على أبواب دورهم . ثم أن الحرافيش^٥ سحبوا جثثهم و أحرقوهم في أقمنة
الجير . وفي هذا اليوم وقع الاتفاق على أن يكون الأمير زين الدين
كتبغا نائب السلطنة المعظمة و الأمير علم الدين الشجاعی و زيرا^٦ ، فقتل
الشجاعی وقت العصر من يوم السبت تاسع عشر المحرم [٢٢٦ : الف]

(١-١) ساقطة من برو واردة في بن .

(٢-٢) العبارة بأكملها ساقطة من بن .

(٣) و سلطنته الأولى ٦٩٣ - ٦٩٤ هـ = ١٢٩٣ - ١٢٩٤ م .

(٤) كذا في بن ، وهي في بر : بهای .

(٥) في بن : و كان .

(٦) في الأصل : وزير .

من السنة المذكورة ، و طيف برأسه على رمح .

و فى ليلة الثلاثاء عاشر المحرم سنة أربع و تسعين و ستمائة ركبت^١ الممالك السلطانية المقيمون^٢ بالكبش أحرقوا باب سعادة - أحد أبواب القاهرة - و دخلت الممالك المذكورون^٣ منه إلى سوق السلاح كسروا الدكاكين و أخذوا ما احتاجوا إليه من جواشن و خوذ و طوارق و سيوف ، ه ثم خرجوا إلى ظاهر^٤ باب زويلة كسروا دكاكين برّبع الأمير زين الدين كتبغا و هو يومئذ نائب السلطنة المعظمة . و أخذوا منها سرورجا^٥ مذهبة و عددا^٥ ، ثم ركبوا و اجتمعوا تحت القلعة إلى بكرة يوم الثلاثاء ، فلم يتم لهم مرادهم ، فنزل إليهم الأمراء من القلعة حملوا عليهم فكسروهم ، و قتل منهم جماعة و أسروا الباقين ، و مسك مقدميهم قطع^٦ أيديهم و أرجلهم ، ١٠ و كل^٧ بعضهم بالنار ، و قطعت السنة بعضهم على باب زويلة .

[سلطنة العادل زين الدين كتبغا]

و فى يوم الأربعاء حادى عشر المحرم سنة أربع و تسعين و ستمائة

- (١) فى بن : ركب .
- (٢) فى الأصليين : المقيمين .
- (٣) فى الأصليين : المذكورين .
- (٤) الكلمة ساقطة من بن .
- (٥) وردت الكلمة فى الأصليين بدون ألف التنوين .
- (٦) فى بن : قطعت .
- (٧) كذا فى بن ، و هى فى بر : كحلوا .

ركب الأمير زين الدين كتبغا نائب السلطنة من دار النيابة فرسا بالرقبة^١
والكنبوش، و حملوا^٢ الغاشية^٣ قدامه، و مشى الأمراء في خدمته،
و دخل الإيوان الكبير، و جلس على كرسى المملكة، و تقلد السلطنة،
و تلقب بالملك العادل^٤. و أخلع على الأمير لاجين، و ولاه نيابة
السلطنة بالديار المصرية، و أخلع على الأمير عز الدين الأفرم و جعله
جان دار. و في شهر شوال سنة أربع و تسعين و ستمائة ابتداء الوخم
و الموت، و كان أكثره في الصعاليك بسبب الغلاء. و كان القمح في هذا
الوقت بخمسة و سبعين درهما نقرة الأردب بالكيل المصرى. و في تلك
السنة بلغ النيل ستة عشر ذراعا و سبعة عشر أصبعا. ثم زاد^٥ السعر^٦ فبلغ
١٠ القمح^٦ مائة^٧ و عشرة دراهم نقرة الأردب بالكيل المصرى. و بلغ رطل
اللحم المصرى درهمين^٨ نقرة. و في ذى الحجة^٩ من السنة المذكورة^٩

(١) في بن : بالرقية .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) في بن : و الغاشية .

(٤) سلطنة العادل زين الدين كتبغا ٦٩٤ - ٦٩٦ هـ = ١٢٩٤ - ١٢٩٦ م .

(٥) في بن [١٧٣ : ب] : ازداد .

(٦-٦) في بن : في القمح فبلغ .

(٧) زيد في بن : درهم .

(٨) في بر : درهمان . و في بن : بدرهمين .

(٩-٩) في بن : و هي سنة أربع و تسعين و ستمائة .

ازدادت الأسعار ، فبلغ القمح مائة و ثلاثين^١ درهما^٢ نقرة الأردب
بالكيل المصرى . ٣ وفى صفر سنة خمس و تسعين و ستمائة بلغ القمح
بالكيل المصرى ٣ مائة و خمسين درهما نقرة الأردب ، و الخبز رطل و نصف
مصرى بدرهم نقرة . و كان كل ترأس يحمل فى زمن النخصب أردبا
على كتفه ، فصار يحمل ربع أردب لضعفه بسبب الجوع . و بلغ ٥
الرطل اللحم الجردى و هو رطلان^٤ و سـدس رطل بالمصرى تسعة
دراهم [٢٢٦ : ب] نقرة بالإسكندرية . و كانت^٥ العربان بها تلعق^٦
عند ذبح الخرفان دمها^٦ . و مات من الصعاليك بسبب الجوع خلق
كثير ، و حفرت لهم الحفائر ، فدفن فى كل حفرة جماعة كثيرة . ثم
اشتد الغلاء بمصر ، فهلك كثير^٧ من الفقراء و الأغنياء . ثم عقبه فناء ١٠
عظيم حتى قيل إن السلطان الملك العادل كتبغا كفن من ماله فى مدة
يسيرة نحو^٨ من^٩ مائتى ألف ميت و عشرين ألف ميت . و أكلت

(١) كذا فى بن ، و هى فى بر : و ثلاثون .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣-٣) العبارة ساقطة من بن .

(٤) فى الأصلين : رطلين .

(٥) عن بن ، و فى بر : و كان .

(٦-٦) فى بن : دم الخراف حين ذبحها بالمجازر .

(٧) كذا فى بن ، و هى فى بر : كثيرا .

(٨) فى الأصلين : نحو .

الناس الكلاب و' المتات ، و أكلت الناس ' من الأطفال ' شينا كثيرا ' ،
 يشوى ٣ الوالدان ولدهما ٣ و يأكلانه . و كثر ' هذا في الناس حتى صار
 لا ينكر بينهم حتى صاروا يحتالون على بعضهم البعض ، و يأكلون من
 يقدرين عليه . و كان الرجل يضيف صاحبه ، فاذا خلا به ذبحه و أكله .
 ٥ و وجد عند رجل نحو من أربعمائة رأس أكل هو و عياله أجسادها .
 و هلك كثير من الأطباء الذين يستدعون إلى المرضى فيذبحون و يؤكلون .
 ٥ و قد استدعى ٦ رجل طبيبا فذهب معه على وجل ، فجعل الرجل يتصدق
 على من رجده في الطريق و يذكر و يسبح و يكبر ، فارتاب الطبيب ،
 و مع هذا حملة الطمع على الاستمرار معه . فلما وصل الدار إذا هي
 ١٠ خربة ، فاشتد خوف الطبيب ، فخرج رجل من الدار فقال لصاحبه :
 ما هذا البطء ٧ ، جئتنا بصيد ؟ فلما سمع الطبيب هرب ٨ .

[سلطنة حسام الدين لاجين]

و في المحرم سنة ست و تسعين رستمائة كان الملك العادل كتبنا

(١-١) العبارة ساقطة من بن .

(٢-٢) في بر : تسمى . كثير . و في بن : خلق كثير .

(٣-٣) في بر : الوالد ولده . و في بن : الوالدين ولدهما .

(٤) في بن : و كثير .

(٥-٥) هذه العبارة بكاملها ساقطة من بر و واردة في بن .

(٦) في الأصل : استدعا .

(٧) في الأصل : البطو .

بدمشق ، فخرج طالبا الديار المصرية ، فركب الأمير حسام الدين لاجين نائب السلطان بمصر و الأمراء في خدمته ، و قصدوا الملك العادل كتبغا و هو بالدهليز ، فلما قربوا و علم منهم أنهم قد عملوا عليه ، خرج و ركب في نفر يسير من مماليكه و طلب نحو دمشق ، فخلعوه من الملك ، و تسلطن الأمير حسام الدين لاجين^١ و لقب بالملك المنصور . و توجه الملك العادل كتبغا من قلعة دمشق إلى صرخد يقيم بها . و ركب الملك المنصور لاجين ، و هو أول يوم ركوبه إلى الميدان ، فبينما هو يلعب الكرة و إذا به تقطر من على فرسه ، فانكسرت يده ، و أقام مدة أربعين يوما لم يركب .

قال الشيخ تاج الدين بن عطاء : و لما اجتمعت ' بالسلطان الملك ' ١٠ المنصور لاجين حين توجه للعافية قلت له : يجب عليكم الشكر لله تعالى^٢ على العافية و أن الله سبحانه قد قرن دولتكم بالرخاء فانشرحت قلوب الرعايا لكم ، و الرخاء أمر لا يستطيع تكسبه و لا استجلابه^٣ كما يتكسبون العدل و الجود و العطاء . فقال : و ما هو الشكر ؟ قلت : الشكر على ثلاثة أقسام ، شكر اللسان ، و شكر الأركان ، و شكر الجنان ؛ فشكر^٤

(١) سلطنته ٦٩٦ - ٦٩٨ هـ = ١٢٩٦ - ١٢٩٨ م .

(٢-٢) في بن : بالملك .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : استجلابه . و هو خطأ فلهي واضح .

اللسان التحدث بنعم الله ، قال الله سبحانه ” و أما بنعمة ربك فحدث “ ؛
و شكر الأركان العمل بطاعة الله ، قال [٢٢٧ : الف] الله سبحانه ” اعملوا
ال داود شكرا “ ؛ و شكر الجنان الاعتراف بأن كل نعمة بك أو بأحد
من العباد من الله سبحانه ٣ ، قال الله سبحانه ” وما بكم من نعمة
ه فمن الله “ .

و وصل السلطان * الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاون *
إلى الكرك من القاهرة ، و كان الملك المنصور لاجين سيّره إلى الكرك
من العشر الأخير من ربيع الأول سنة ست و تسعين و ستمائة ليقم بها ،
و توجه به في خدمته ، منهم الأمير سيف الدين سلار و هو يومئذ استاداره ،
١٠ فأوصله إلى الكرك و عاد إلى القاهرة . و في ربيع الأول سنة ثمان
و تسعين و ستمائة قتل السلطان الملك المنصور لاجين . قتله الأمير سيف الدين
كرجى مقدم الممالك السلطانية و جماعة متفقون ١ معه ، فسكوا الأمير
منكوتمر نائب السلطنة و اعتقلوه ٨ في الحب بالقلعة ، ثم أخرجوه
و ذبحوه .

(١) قرآن كريم ٩٣ : ١١ .

(٢) قرآن كريم ٣٤ : ١٣ .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) قرآن كريم ١٦ : ٥٣ . و زيد في بن بعد ذلك : انتهى ، نعود .

(٥-٥) في بن [١٧٤ : الف] : عهد بن المنصور

(٦) في بن : استادار .

(٧) في الأصليين : متفقين .

(٨) في بن : و اعتقل .

[سلطنة الناصر محمد الثانية]

ثم اجتمع^١ الأمراء الكبار مثل يبرس ششنگير و سلار
مدبروا^٢ الدولة و اتفقوا على أن يطلبوا السلطان^٣ الملك الناصر محمد^٤ من
الكرك و يولوه السلطنة ثانياً^٥ . و أتت البشار إلى القلعة بخروج الملك
الناصر من الكرك . فوصل إلى القاهرة ليلة السبت من شهر^٦ هـ
سنة ثمان و تسعين و ستمائة ، فبات باقى ليلته فى الإصطبل ، و طلع بكرة
النهار إلى القلعة . و أخلع على الأمير سلار و ولاه نيابة السلطنة^٧ بالديار
المصرية ، و فرق الخلع على الأمراء المقدمين و الأعيان^٨ و القضاة
و الدواوين الكبار و من جرت عادته بالخلع عند جلوس الملك على كرسى
الملك . فمكث السلطان مدة و ششنگير^٩ و سلار حاكمين عليه حتى ١٠
قيل إنه كان يطلب أوزة^{١٠} مشوية لم تعط^{١١} له حتى يشاوروا عليها

(١) عن بن ، و فى بر : اجتمعوا .

(٢) فى الأصلين : مدبرى .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) عن بن ، و الكلمة ساقطة من بر .

(٥) سلطنته الثانية ٦٩٨ - ٧٠٨ هـ = ١٢٩٨ - ١٣٠٨ م .

(٦) بياض بالأصلين .

(٧-٧) العبارة ساقطة من بن .

(٨) فى بن : و شاشنگير .

(٩) فى بر : وزه . و هى كما أوردنا فى بن .

(١٠) كذا فى بن ، و هى فى بر : تعطا .

سلار و ششنگير^١ ، فضجر السلطان من ذلك و طلب ' السفر إلى ' الحجاز الشريف^٢ ، فطلع من التيه إلى الكرك أقام به ، و التيه بين الشام إلى أرض مدين ، فأقام السلطان بالكرك ينتظر الفرج من ربه ، و لسان حاله يقول :

ه اصبر على الضيق إن أصبحت منغمسا
في الضيق من لجج تهوى إلى لجج
فما تجمزع كأس الصبر معتصما
بالله إلا أتاه الله بالفرج

[سلطنة بيبرس ششنگير]

١٠ ثم أن بيبرس ششنگير^١ تسلطن و لقب بالملك المظفر ، و أقام في الملك مدة يسيرة .

[سلطنة الناصر محمد الثالثة]

ثم أن أمراء الشام الكبار أتوا إلى الكرك أخذوا الملك [٢٢٧ : ب] الناصر محمد^٢ و أتوا به إلى مصر ، فهرب بيبرس ششنگير^١ إلى الصعيد ، فأدرسته الأمراء فقلته^٦ . ثم أن السلطان^٧ الملك

(١) في بن : جاشنگير .

(٢-٢) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٣) عن بن ، و هي ساقطة من بر .

(٤) في بن : جاشنگير . و سلطنته ٧٠٨ - ٧٠٩ = ١٣٠٨ - ١٣٠٩ م .

(٥) سلطنته الثالثة ٧٠٩ - ٧٤١ = ١٣٠٩ - ١٣٤٠ م .

(٦) عن بن ، و في بر : قتلته .

(٧) ساقطة من بن .

الناصر محمد حبس سلا ر بين حائطين قائمين أمر بينائهما عليه و منعه
من^١ الطعام في الليل و النهار لمخامرتة مع ششنيكير^٢ عليه ، و لما قصده
أيضا للناس^٣ من الغلاء بخزنه شون القمح يطلب فيه السعر الكثير .
فقيل : إنهم كانوا يأكلون الحشيش بربع درهم نقرة الوقية ، فما يأكلون
الخبز بربع درهم نقرة الرغيف^٤ ، فكان^٥ يصرخ في مجلسه و يقول^٦ : ه
الجوع الجوع . فأرسل السلطان له طبقا فيه دنانير^٧ و قال لحامله :
قل له^٨ يقول لك السلطان كل من هذا الطعام الذي كنت^٩ تحبه
و تحب^{١٠} جمعه و تنميته من الغلاء الذي كنت^{١١} تريده للمسلمين . فقيل :
إنه صار يمزغ^{١٢} أخفافه و ينهش بأسنانه أكتافه من الجوع ، و لم يزل
يصيح : الجوع الجوع ، حتى هلك بالجوع^{١٣} .

١٠

(١) ساقطة من بن .

(٢) في بن : جاشنيكير .

(٣) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٤-٤) العبارة كلها ساقطة من بر و واردة في بن .

(٥) كذا في بن ، و هي في بر : أنه كان .

(٦) في بن : و يصيح .

(٧) في بن : ذهب .

(٨-٨) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٩-٩) في بن : تحب .

(١٠-١٠) في بن : أكتافه و ينهشها بأسنانه من الجوع حتى أهلكه الله تعالى
بالجوع .

و سأذكر الآن ما وقفت عليه من كثرة الأموال التي وجدتُ
لسلار حين القبض عليه ، و حملت إلى القلعة ، و هي قائمة مباركة يعتبر بها
المعتبرون ، و يتفكر فيها المتفكرون ، بالذي وجد للأمير^١ سلار ،
و نقل إلى قلعة الجبل بالقاهرة المعزية^٢ : أول يوم - صناديق جوهر^٣
٥ ثمانية ، صناديق ياقوت أحمر بهرمانى^٤ أربعين رطلا بالرطل المصرى ،
بلخش محكوك ثمانية وستين رطلا ،^٥ زمرد ريحاني ثمانية وستين أرطالا^٦ ،
فصوص ماس و عين هر خمسة آلاف فص ، لؤلؤ كبار كل حبة مثقالين
سته آلاف و خمسين حبة ، ذهب مصرى أربعين ألف دينار ، دراهم
مائة ألف ألف^٧ درهم و عشرين ألف درهم . ثانى يوم -^٨ أواني ذهب^٩
١٠ ثلاثة و عشرين قنطارا ، أواني فضيات مثل أطباق و طاسات^{١٠} و هواوين
و طشوت و غيرها مائة و عشرين^{١١} قنطارا ، عقود و حلق و دمالج

(١) فى هامش بر : تركة سلار .

(٢) زيد فى بن : سيف الدين .

(٣-٣) فى بن : القلعة بالقاهرة .

(٤) فى بن : جواهر .

(٥) فى بن : بهرمان .

(٦-٦) ساقطة من بر و واردة فى بن [١٧٤ : ب] .

(٧) الكلمة ساقطة من بن .

(٨-٨) فى بن : ذهبيات .

(٩) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(١٠) فى بن : و عشرون .

ثلاثمائة وستين^١ رطلا ، دراهم ثمانية آلاف ألف وتسعة آلاف درهم ،
 ذهب مصرى مائة^٢ مآلف دينار . ثالث يوم - زركش عمل الإبرة سبعة
 وسبعين رطلا بالدمشقي والرطل الدمشقي أربعة أرطال مصرية ، ذهب
 مصرى خمسة وسبعين ألف دينار ، دراهم ثمانمائة ألف وخمسة وعشرين
 ألف درهم ، قماش أطلس ألف وسبعمائة بغلطاق ، مزركشات^٣ قبة^٤ ٥
 ونخشاخيش نمرو^٥ وقماقم^٦ سبعمائة قبا . رابع يوم - ذهب مصرى
 مائة ألف وخمسة وأربعين ألف دينار ، دراهم تسعمائة ألف درهم ،
 سروج مذهبة بمجوهرة ثمانمائة سرج ،^٧ سروج زرخونى مذهبة سبعمائة
 سرج^٨ ، سروج زرخونى بفضة مذهبة^٩ [٢٢٨ : ألف] تسعمائة وخمسين
 سرج . ووجد عنده ثمانية^{١٠} صناديق ما يعلم ما فيها ، غير أنه حمل منها إلى
 الخزانة ثانى يوم حوايص وبنود كاشات عليها رنك الملك الأشرف
 صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور قلاون وذلك خمسمائة قطعة ،
 منها حوايص ثلاثمائة ، بنود^{١١} و كاشات مائتين . والذى وجد له بالشوبك :

(١) فى بن : وستون .

(٢) الكلمة ساقطة من بن

(٣) فى بن : مجركسات .

(٤) فى بن : اقبة .

(٥) فى بن : نفرو .

(٦) فى بن : وقايم .

(٧-٧) ساقطة من بر و واردة فى بن [١٧٤ : ب]

(٨) فى الأصاين : ثمان (٩) فى بن : و بنود .

ذهب مصرى خمسة و تسعين ألف دينار ، دراهم ستمائة ألف و تسعين
ألف درهم ، سروج مذهبة بلؤلؤ خمسمائة سرج ، ^١ خلع كنجى طرد
وحش ألف و ستمائة بغلطاق ^٢ ، خيول عربية ألف و سبعمائة و ثمانين
فرس ، أكاديش و حجورة سيسييات ألفين ^٣ و سبعمائة ، بغال للحمل
٥ مائة و عشرين قطارا ^٤ ، هجن بكيران فضة سبعمائة هجين ؛ جمال للحمل
ألف و مائتى جمل . و ذلك خارجا عما هو للنساء من ذهب و فضة و قماش .
و وجد بعد ذلك فى داره أربع ^٥ فساقى من ^٦ ذهب و فضة ^٧ حملت
^٨ ما يعلم ^٩ وزنها . و مات بحسرة كسرة خبز ^{١٠} يسد بها جوعه ^{١١} ، إن فى
ذلك لعبرة لأولى الأبصار . فانظر إلى سعة هذه الدنيا العريضة التى كانت
١٠ لسار ، و مات بحسرة رغييف بارد أو حار .

لما دخل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه مدائن
الأكاسرة بعد أن دارت عليهم الدائرة لينظرها بعد زوال ملكهم
و هلكهم ، تمثل بعض أصحابه يقول :
جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) عن بن ، و فى بر : ألفى .

(٣) فى بن : قنطارا .

(٤) عن بن ، و فى بر : أربعة .

(٥) الكلمة ساقطة من بن .

(٦-٦) فى بن : لم نعلم .

(٧-٧) ساقطة من بر و واردة فى بن .

إن النعيم و كل ما يلهى بهم يوما يصير إلى بلا و نفاق
فقال على : لا تقل هكذا و لكن قل : قال الله تعالى : "كم تركوا من
جنت و عيون و زروع و مقام كريم و نعمة كانوا فيها فكهين" كذلك
اورثنها قوما آخرين" هؤلاء كانوا وارثين فصاروا موروثين .^٢ قال
بعضهم فى المعنى :

٥

قد تلذذت مدة بأمور قدبرتها فكانت خيالا

قال عمر بن ذر : عباد الله لا تغتروا بطول حكم الله و احذروا^٣
فقد سمعتم قوله سبحانه و تعالى : " فلما أسفونا انتقمنا منهم فاغرقنهم " .
و قال بعضهم لحبيب العجمى : ليتنا لم نخلق . قال : قد وقعتم فتحيلا فى
الخلاص بطاعة الله و التمسك بأوامره و النهى بعاصيه ، يا رب غفرانك .^{١٠}
عن مذب أسرف إلا أنه نادم . قال : إن الحكمة فى إخراج آدم من
الجنة بسبب أكله من الشجرة التى نهاه الله عن أكلها فأكل منها ، إنه
كان فى صلبه من لا يستحق الولاية و لا يصلح لحضرة القدس ، فاذا
أخرجهم من صلبه أعاده إليها خالدا فيها . عن عثمان بن منه قال : سمعت
ابن عطاء يذكر أن آدم كان نسلا من نسل الجنة ، فسبانا إبليس بالخطية^{١٥}
إلى الأرض ، فليس ينبغى الفرح فى الدنيا و لكن الحزن و البكاء ما دمتنا

(١) قرآن كريم ٤٤ : ٢٥ - ٢٨ .

(٢ - ٢) من هنا إلى قوله « نعود » ساقط من بر و وارد فى بن [١٧٤ : ب -
١٧٥ : الف] .

(٣) بقية الكلمة مطموسة .

(٤) قرآن كريم ٤٣ : ٥٥ .

في دار الدنيا حتى نردا إلى الدار التي منها سبينا . قال الشاعر :

متك نفسا سبل الرجاء فهنّ غير قواصد
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجى عرف الجنان بها و فوز العابد
ونسيت أن الله أخرج آدم منها إلى الدنيا بذنب واحد
ه نعود ٣ ، ثم أقبلت بعد زوال مملكة الكسروية الدولة الإسلامية
فقهرتها وأفتتها ، و كذلك قهرت الدولة الإسلامية ^١ الدولتين ^٢ الرومية
و القبطية ببركة سيدنا محمد خير البرية ^٣ الذي ذكرته الأخبار المتقدمة
في كتبها كما ^٤ قال عبد المطلب بن هاشم حين حضرته الوفاة يوصي
ولده أبا طالب ^٥ بمحمد صلى الله عليه و سلم ^٦ :

١٠ أوصي أبا طالب خيرا بذى رحم محمدنا و هو بين الناس محمود
هو الذي تزعم الأخبار أن له ، أمرا ^٨ سينصره نصر ^٩ و تأييد
في كتب ^{١٠} عيسى و موسى ^{١١} منه بينة فيما تحدثنا القوم العبايد ^{١٢}

(١) في الأصل : نردا .

(٢) في الأصل « طنه فامحها » ناقصة النقط و غامضة فأثرنا نقلها للهامش و ترك
مكانها بياضا .

(٣) كذا في بن ، و في بر : انتهى .

(٤) الكلمة ساقطة من بن .

(٥) في بن [١٧٥ : الف] : دولتي .

(٦-٦) العبارة ساقطة من بن . (٧-٧) من بن ، و في بر : به .

(٨) في الأصاين : امر (٩) في الأصاين : نصرا .

(١٠-١٠) في بن : موسى و عيسى .

(١١) الكلمة ساقطة من هامش بن غالبا في عملية القص بالتجليد .

يعنى بالعبايد أحبار اليهود و رهبان النصارى المنقطعين فى الديارات
و الكنائس للعبادة ، أحدهم عابد و الجمع عبايد - انتهى .
نعود - ثم استقر ملك الملك الناصر محمد و ثبت أمره بعد سلار
و ششنيكير^١ ، فهرب منه الأمير قراسنقر و الأفرم^٢ و الزرد كاش
الثلاثة أمراء^٣ إلى بغداد و صاحبها يومئذ^٤ السلطان قازان . و كان الأمير
قبيق نائباً للسلطان الملك الناصر محمد بحماة ، ولما^٥ بلغه أمر سلار و ششنيكير^٦
بما فعلاه بالملك الناصر محمد كما تقدم ذكره اغتاض و حلف ليأتين
بالتتر إلى الشام ، فتوجه إلى بغداد حين كان^٧ سلار و ششنيكير^٨
لها^٩ الأمر و النهى عليه^٩ ، فاجتمع بقازان و رغبه فى الشام ، فجمع
قازان^{١٠} الجيوش ؛ و استنجد بالتكفور ملك نصارى الأرمن ، فدخل^{١٠}
قازان الشام فى ثلاثمائة ألف ، فلك الشام و دمشق^{١١} و لم تطعه

(١) فى بن : ششنيكير .

(٢) فى بن : و الأمير الأفرم .

(٣) عن بن ، و فى بر : أمر إلى .

(٤) فى بن : إذ ذاك .

(٥) فى بن : فلها .

(٦) فى بن : ششنيكير .

(٧) زيد فى بن : الأمر و النهى لسلار - الشيخ .

(٨) فى بن : جاشنيكير .

(٩-٩) ساقطة من بن .

(١٠) زيد فى بن : الجموع و جيش .

(١١) ساقطة من بن .

الحصون و لا قلعة دمشق . فقدم الأمير قبجق على فعله ذلك حين بلغه أن السلطان الملك الناصر قد استقل بالملك و انتصر على سلار و ششنگير^١ و قتلها بعد أخذه لأموالها . و كان قازان لما قدم بجيوشه إلى الشام في سنة تسع و تسعين و ستمائة و نزل بظاهر دمشق ، أتاه هـ التكفور ملك الأرمن قال^٢ له : أيها الملك خذ مني ثلاثين حملاً ذهباً^٣ و دعني أدخل دمشق بعسكري من أحد أبوابها و أخرج من الباب الآخر . و كان الشيخ تقي الدين بن التيمية^٤ الفقيه^٥ الحنبلي جالساً بمجلس قازان حينئذ ، فلما سمع مقالة التكفور تلك^٦ قال لقازان : أمسلم أنت ؟ قال : نعم . قال : إن أموالنا و دماءنا عليك حرام ، و نحن نعطيك ستين حملاً^٧ ذهباً و لا تمكن هذا النصراني من المسلمين . فرضى قازان بذلك و منع التكفور من العبور . فاجتمع لقازان من أموال أهل دمشق ستون^٨ حملاً ذهباً . و دبر الأمير^٩ قبجق الحيلة حتى رجع قازان إلى بغداد بعد أن أقام على دمشق خمسة^٩ أشهر - انتهى^٩ .

(١) في بن : جاشنكير .

(٢) في بن : و قال .

(٣) في بن : من الذهب .

(٤) في بن : تيمية . و هو معروف أكثر بغير أداة التعريف .

(٥) في بن : العالم .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) في الأصلين : ستين .

(٨) في بن : للأمير .

(٩-٩) الكلمتان ساقطتان من بن .

و قال^١ الشيخ بهاء^٢ الدين بن سواد صاحب ديوان الإنشاء بحلب في السيرة السلطانية الملكية الناصرية: إن قازان لما وصل إلى دمشق بما جمع من عساكر العجم و خراسان، خرج إليه منها جماعة من الأعيان، و قدموا له التقدّم المفخرة الحسان، و طلبوا منه [٢٢٩: الف] الصفح و الأمان، فحسن الأمير قبجق إلى السلطان قازان قبول تقدمتهم^٣، و إجابة^٤ هـ سؤالهم، و أشار عليه بتحقيق قصدهم و آمالهم. و قصد بذلك سلامة الرعية و حفظ البلاد، و حسن له الرجوع إلى بغداد، فرجع و ترك بالشام نوابه. فأرسل الأمير قبجق إلى السلطان^٥ الملك الناصر محمد^٥ يقول له: **إن الفعل الذي فعلته لم يكن إلا لأجلك بسبب فعل** سلار و ششنيكير^٦ بك، فترسل نجدة إلى الشام لتخرج نواب قازان منه. . ١٠. فأرسل السلطان نجدة أخرجهم منه، فلما بلغ قازان ذلك عزّ عليه، و جهز جيشا أرسله إلى الشام في سنة اثنتين^٧ و سبعمائة، فالتقى^٨ المسلمون و التتر على شقحب، فانكسرت التتر كسرة شنيعة، فقال بعضهم من

(١) في بن: قال.

(٢) كذا في بن، و هي في بر: بهاء.

(٣) في بن: هديتهم.

(٤) ساقطة من بن.

(٥) زيد في بن [١٧٥: ب]: بن قلاون.

(٦) في بن: جاشنيكير. و زيد فيها بعد الكلمة: بما فعلا بك أما الآن.

(٧) عن بن [١٢٥: ب]، و في بر: اثنين.

(٨) في الأصلين: فالتقت.

قصيدة مدح بها الناصر محمد :

في شقحب حزّ الرأس بسيفه قهرا و نصرا من عزيز قاهر
و استقر حينئذ ملك مصر و الشام للملك الناصر محمد ، فاهتم قازان
لذلك ، و حصل له مرض ^١ مات منه ^٢ ، فولى الملك بعده أخوه محمد
ه خدا بنذا . و سأذكر ^٣ فيما يرد من هذا الكتاب خبر 'خدا بنذا في دخوله
الشام و صلحه مع الملك الناصر محمد' إن شاء الله تعالى .

و في ثالث عشر رجب سنة سبعمئة^٤ رسم السلطان الملك الناصر
محمد ابن الملك المنصور قلاوون أن تلبس اليهود العمام الصفر ، و السمرة
العمائم الحمر ، و النصارى العمام الزرق ، ليميزوا بذلك^٥ و يعرفون به^٦ ،
١٠ فاستمروا على لبس ذلك إلى الآن ، فقال أحمد بن أبي المحاسن الطيبي
في ذلك :

تعجبوا للنصارى و اليهود معا و السامريين لما عجموا الخرقا

(١) في بر : مرضا . و في بن : ضعف .

(٢) في بن : فيه .

(٣) في بن : و سياقى .

(٤) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٥) زيد في بن : و غير ذلك من أخباره .

(٦) في هامش بر : لبس اليهود و السمرة و النصارى العمام .

(٧) في بن : بها .

(٨) الكلمة ساقطة من بن .

كأنما بات بالصباغ^١ منسهلا نسر السيماء فأضحى فوقهم درقا^٢
و في يوم الخميس سابع صفر سنة إحدى و سبعمائة وصل كهرداش^٣
و من صحبه من الممالك السلطانية بالمراكب و الشوانى من جزيرة أروى،
و مدة غيبتهم ثلاثة و أربعون يوما . و ذكروا أن عدة القتلى الذين
قتلهم المسلمون بها^٤ ألفان و مائتا نفر من الإفرنج^٥ ، و وجدوا بها من
أسارى المسلمين مائة^٦ و عشرين نفرا . و وصلت أسارى^٧ الفرنج من
جزيرة أروى إلى القلعة المحروسة .

و لما فتح الملك الأشرف خليل^٨ عكا أتته^٩ مفاتيح صور و صيدا
و بيروت و انطرسوس^{١٠} كما تقدم ذكره^{١١} . انتقلت أهل انطرسوس منها
سكنوا جزيرة [٢٢٩ : ب] مقابلها في البحر تدعى^{١٢} جزيرة رواد ، ١٠

- (١) في بن : الصباغ .
- (٢) عن بن ، و في بر : ذرقا . و قد جاءت الكلمة في هذين البيتين بالسيوطى
(حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٥٩) : فرقا .
- (٣) في بن : دمر داش .
- (٤-٤) في بر : الفى و مأتى . و في بن : الفين و مائتى .
- (٥) في بن : الفرنج .
- (٦) في بن : مائتين .
- (٧) الكلمة ساقطة من بر و واردة في بن .
- (٨) سلطنته ٦٨٩ - ٦٩٣ هـ = ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م . و زيد في بن : ابن الملك المنصور
قلاون .
- (٩) في بن : وأتته . (١٠-١٠) ساقطة من بن .
- (١١) في بن : تدعا .

و هي عن البر مقدار سبعة أميال ، فلم يزالوا مقيمين بها إلى أن فتحها
الأمير أسندمر نائب طرابلس و معه الرئيس^١ البطراني^٢ المغربي ، و ذلك
في دولة الملك الناصر محمد^٣ ، نخلت السواحل من الإفرنج^٤ ، ولم يبق
منهم في بر المسلمين أحد^٥ بالشام إلا من هو أسير أو نصراني ذمي .

و في خامس عشر ذي الحجة سنة اثنين و سبعمائة ورد الخبر بوفاة
الأمير زين الدين كتبغا النائب بحماة ، و كان قبل ذلك سلطان مصر .
و تسمى بالملك العادل كما تقدم ذكره .

[الزلازل و الطاعون و الأهوية و الفيضان و الغلاء]

و في يوم الخميس الثالث و العشرين من ذي الحجة سنة اثنين^٦ و سبعمائة
١٠ حصل^٧ بالقاهرة و مصر^٨ زلزلة عظيمة هدمت أماكن^٩ كثيرة ، و كذلك
فعلت بالإسكندرية و بلاد مصر . و أتلقت هذه الزلزلة^٩ شيئا كثيرا^٩ .

(١) في الأصلين : الرايس .

(٢) في بن : البطراني ، و ربما كان هذا هو الصواب .

(٣) زيد في : بن قلاون .

(٤) في بن : الفرنج .

(٥) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٦) في بن : اثنين .

(٧ - ٧) في بن : بمصر و القاهرة .

(٨) في الأصلين : أماكن .

(٩ - ٩) كذا في بن ، و هي في بر : شيء كثير .

و أقامت أياما تزلزل و ترجف رجفا خفيفا ، و لم تزل تعد ١ إلى قريب أربعين يوما . و حصل عند العالم خوف عظيم من ذلك إلى أن خرج أكثر الناس من مصر و القاهرة إلى القرافة ، و بعضهم ضرب له خياما ٢ خارجها و نزل فيها ، و أقاموا أياما على ذلك خوفا على أنفسهم أن تعود ، و أقامت مقدار ٣ ثلاث ساعات عند أول الأمر .

وسأذكر الآن هنا ما وقفت عليه من الزلازل و الخسف و الرجم و الرجفات و الوباء و الأمراض و الغلاء ٥ و غير ذلك ٦ إن شاء الله تعالى ٧ . و ذلك ٨ بعد الهجرة النبوية ٩ إلى سنة خمس و سبعين و سبعمائة ١٠ ، فأقول و بالله التوفيق . إن قال قائل ما سبب ١١ هذه الزلازل؟ قيل إن أصلها

(٥) في الأصلين تعد - و الغالب أنه خطأ قلبي لكلمة « تعد » . كما أثبتناه بالنص .

(٢) كذا في بن ، و هي في بر : خيام .

(٣) في بن [١٧٦ : الف] : تقدير .

(٤) في بن : و إذ قد ذكرت الزلزلة فسأذكره - و بهامش بر : مطلب ، يذكر فيه الزلازل و الخسف و الرجم و الرجفات و الوباء و الأمراض و الغلاء و غير ذلك .

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٦) العبارة ساقطة من بن .

(٧-٧) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٨) زيد في بن : أصل .

جبل قاف له عروق تجري منها المياه في البحور من البياض و السواد
و الحمرة و الصفرة و الكدر و العذب و المالح و المر و الزعاق . فاذا أراد
الله أن يزلزل ١ بقرية أوحى الله إلى ذلك الجبل أن حرك منك عرق
كذا و كذا . فاذا حرك خسف الله ٢ بالقرية مع ما يرسل إليه من
الملائكة - انتهى .

و لما وقع ٣ الوباء بالديار المصرية وغيرها في سنة تسع و أربعين
و سبعمائة تعجب الناس من ذلك الفصل الوخم الذي مات فيه ٤ من
الناس خلق ٥ لا يحصى عددهم إلا °الله تعالى ° ، فكانوا كما قيل ٦ :
هبت عليهم رياح الموت فانتثروا كأنهم كلهم كانوا بميعاد
١ . ٧ فقال قائلهم : ما أظن أن هذا للوباء وقع في عصر من الأعصار ٨ .
و كان سبب موتهم كبة تطلع للانسان في مراقه ٩ فيموت منها بسرعة .

(١) في بن : يزلزله .

(٢) زيد في بن : تعالى .

(٣) ساقطة من بن .

(٤ - ٤) في بن : خلائق .

(٥ - ٥) في بن : الذي خلقهم .

(٦) في بن : قال بعضهم .

(٧ - ٧) العبارة ساقطة من بن .

(٨) في بن : مرقاة .

فرأى [٢٣٠ : الف] بعضهم ا حرفوشا مسطولا وقت الفناء ا فأنشأ يقول :

عائنت في الفصل أخا سطة ٢ يغض عينا منه مسطولة

الناس بالكبة قد قتلوا و كبة المسطول بمقتولة

و في سنة ثلاث و ستين و سبعمائة وقع الفناء بمصر و الإسكندرية

و غيرهما ٣ ، مات من الخلق ٤ كثير ٥ . و في سنة خمس و سبعين ٥

و سبعمائة ٦ قصر النيل عن الوفاء ، فغلت الحبوب بالإسكندرية ٧ و سائر

بلاد مصر ؛ و مات بالإسكندرية خلق كثير أكثرهم أطفال و جوار

و عبيد ٨ ثم رجال و نساء ٩ ، و كان موتهم بالطاعون في شوال و ذي

القعدة من السنة المذكورة ٩ . و فيها مات ملك الأمراء أرغون الأحمدي

١٠ بعد أن أقام بالإسكندرية متوليا بها أربعين يوما من حين دخوله نائبا

(١-١) الكلمتان الأوليان مطموستان في بن ، و الأخيرتان واضحتان به
و لكنهما ساقطتان من بر .

(٢) في بن : ساقطة .

(٣) ساقطة من بن .

(٤-٤) في بن : مات من الناس .

(٥) في الأصلين كثيرا ، و زيد في بن : فيها و في غيرهما .

(٦) ساقطة من بر و واردة في بن - و بهامش بر : حادثة .

(٧) في بن : بمصر و الإسكندرية .

(٨-٨) العبارة ساقطة من بن .

(٩-٩) العبارة ساقطة من بر و واردة في بن .

(١٠) من هنا إلى قوله « انتهى » بأكمله نقلا عن بن [١٧٦ : الف] ، و في برفق
العبارة : وقاضى القضاة الحلبي .

بها إلى حين وفاته . و كذلك مات فيها قاضي القضاة شهاب الدين الحنفي الحلبي ، كان بالإسكندرية قاضي قضاتها مع قاضي قضاتها كمال الدين ابن قاضي القضاة نحر الدين ابن قاضي القضاة شرف القضاة المالكي الريفي ، و توفي قاضي القضاة كمال الدين الريفي المالكي في حدود صفر سنة ثمانين و ستمائة رحمه الله . و مات ولده قاضي القضاة عز الدين بن كمال الدين في ذي القعدة من السنة المذكورة ١ - انتهى .

نعود إلى ذكر ما ٢ قاله ابن الجوزي ٢ و غيره في الطاعون ٣ و الوباء من ذلك الطاعون الذي كان في سنة ثمان عشرة من الهجرة بعمواس ، و هي ٤ على عشرة مراحل من بيت المقدس ، مات بها يومئذ ستة وعشرون ١ ألفا . و فيه مات أبو عبيدة بن الجراح و الحارث بن هشام و سهيل و يزيد ٥ و معاذ بن جبل . و بهذه القوة مات بلال الحبشي ٦ مؤذن النبي صلى الله عليه و سلم و قبر بها . و لما كثر الموت جدا أحدث الناس كيف أصبحت و كيف أمسيت . و في شوال ٧ هلك في ثلاثة أيام سبعون ألفا . و قال رجل رأيت

(١) انتهى ما نقل عن بن .

(٢-٢) كذا في بن ، أما في بر فقط : قيل .

(٣) في هامش بر : الطوائع .

(٤) في بن : و عمواس .

(٥) في بن : و زيد .

(٦) في هامش بر : قبر بلال المؤذن .

(٧) في هامش بر : غريبة .

في المنام أيام الطاعون إني أخرج من داري اثني عشر^١ جنازة و أنا مع عيالي اثنا^٢ عشر، فمات منها إحدى عشر و بقيت وحدي، فقلت في نفسي أنا ثاني عشرة، فخرجت من الدار^٣ ثم رجعت^٤ إليها بالغد، فاذا بلص قد دخل ليسرق فأصابه الطاعون فمات. فكان هو الثاني عشر، و بقيت أنا وحدي^٥. قال و رأى نافع أيام الطاعون رجلا قد هرب^٥ من البصرة على حمار، فجعل نافع يقول: انظروا إليه يهرب من الله على حماره. و في حديث قال الطاعون: أنا لاحق بالشام، قال الخير و الرخاء: إنا معك، و قال الجوع و الشقاء و العرى و البلاء: إنا لاحق بالبادية، فقالت الصحة: و أنا معك - انتهى.

و أما الزلازل فقال ابن الجوزي^٦ في كتاب العقود^٦ في تاريخ^{١٠} العهود إن في سنة أربع و عشرين و مائتين للهجرة زلزلات^٧ فرغانة، فمات بها أكثر من خمسة عشر ألفا. و في سنة خمس و عشرين و مائتين كانت رجفة بالآهواز عظيمة حتى^٨ تصدعت منها الجبال و هرب أهل البلد

(١) في الأصلين: اثنتي. و لفظة «عشر» ساقطة من بن.

(٢) في الأصلين: اثني.

(٣) في بن: داري.

(٤) في بن: عدت.

(٥) الكلمة ساقطة من بن.

(٦-٦) ساقطة من بن.

(٧) في بن [١٧٦: ب]: زلزلة.

(٨) ساقطة من بر و واردة في بن.

إلى البر و إلى السفن ، و سقطت فيها ١ دور كثيرة . و سقط نصف
الجامع ، و مكثت ستة عشر يوما . و في سنة ست و عشرين و مائتين
[٢٣ : ب] مطر أهل تيم مطرا و بردا كالبيض ، فقتل بها ثلاثمائة
و سبعين انسانا ، و سمع في ذلك صوت ٣ يقول : ارحم عبادك ، أعف
عن عبادك . فنظروا إلى أثر قدم طولها ذراع بلا أصابع و عرضها شبران ،
من الخطوة خمسة أذرع أو ست . و اتبعوا الصوت فجعلوا يسمعون
و لا يرون شخصا . و في سنة ثمان و عشرين و مائتين غلا السعر بطريق
مكة . و بلغ رطل خبز بدرهم ، و راوية ماء بأربعين درهما ، و سقطت
قطعة من الجبل عند جمره العقبة فقتلت عدة من الحاج . و في ثلاث
١٠ و ثلاثين و مائتين رجفت دمشق رجفة شديدة من ارتفاع الضحى ،
فانتقضت منها البيوت ، و زالت الحجارة العظيمة ، و سقطت عدة طاقات
في الأسواق على من فيها فقتلت خلقا كثيرا ، و سقطت بعض شرافات
المسجد الجامع ، و انقطع ربع المنارة ، و انكفأت قرية من عمل الغوطة
على أهلها ، فلم ينج منهم إلا رجل واحد . و اشتدت الزلازل على
١٥ أنطاكية و الموصل ، و وقع أكثر من ألفي دار على أهلها فقتلتهم ، و مات
من أهلها عشرين ألفا ، و فقد من بستان أكثر من مائتي نخلة بأصولها

(١) في بن : منها .

(٢) في هامش بر : واقعة .

(٣) في الأصلين : صوتا .

(٤ - ٤) في بن : و طريقه طائفة من الخيل .

فلم يبق لها ، أثر^١ . وفي سنة أربع و ثلاثين و مائتين هبت ريح شديدة لم يعهد مثلها ، و اتصلت نيفا و خمسين ميلا و شملت بغداد و البصرة و الكوفة و واسط و عبادان و الأهواز ثم إلى همدان فأحرقت الزرع ، ثم ذهبت^٢ إلى الموصل فمنعت الناس من الانتشار و عطلت الأسواق^٣ ، و زلزلت هراة حتى سقطت الدور . و في سنة تسع و ثلاثين و مائتين ه غزا بلاد الروم علي بن يحيى الأرمني ، فقتل عشرة آلاف علع^٤ ، و سبي عشرة آلاف رأس ، و من الدواب سبعة آلاف دابة ، و أحرق أكثر من ألف قرية . و رجفت طبرية في الليل حتى مادت الأرض و اصططكت الجبال ، ثم انقطع من الجبل قطعة ذرعها خمسون ذراعا طولا في خمسين ذراعا عرضا ، فمات تحتها خلق كثير . و في سنة أربعين و مائتين سمع^٥ أهل خلاط صيحة من السماء فمات^٦ خلق كثير . و خرجت ريح من بلاد الترك فمرت بمر و فقتلت خلقا كثيرا بالزكام ، و أصاب أهل بغداد حمى و سعال و زكام . قال محمد بن حبيب جاءت الكتب من المغرب^٧ ان ثلاثة عشر قرية من قرى القيروان خسف بها فلم ينج منها [٢٣١ : الف] إلا اثنان و أربعون رجلا سود الوجوه ، فأتوا القيروان^٨ ١٥

(١) كذا في بن ، و هي في بر : أثر .

(٢) في بر : هبت ، و صحتها في بن .

(٣) الكلمة ساقطة من بن .

(٤) زيد في بن : عرض .

(٥) في بن : الغرب .

فأخرجوهم أهلها وقالوا: أتم مسخوط عليكم. فبنى^١ لهم العامل حظيرة خارج المدينة فنزلوها. وفي هذه السنة وهي سنة أربعين ومائتين سئل بطريق عمورية وهو أحد البطريقين اللذين كانا خرجا إلى أمير المؤمنين المعتصم^٢ فمات أحدهما في أيام أمير المؤمنين جعفر المتوكل^٣، وأسلم الآخر على يد المتوكل وكان اسمه ندراقس^٤ فسمى نفسه إسحاق، وكان عاقلا ففهما أديبا، فسئل عن أنساب الروم فقال: الروم ولد روم^٥ بن سملاحين ابن هربا^٦ بن عسفا^٧ بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، ومن ولده^٨ الملك قسطنطين الأكبر ملك الملوك، وهو الذي بنى مدينة قسطنطينية، وأظهر دين النصرانية، وبطرك البطارقة، وسقف الأساقفة، وعمل الهياكل والمذابح، وجمع الأساقفة بمدينة نيقية^٩، وهو الذي بطرق^{١٠}

(١) في بن: فبنا.

(٢) الخليفة العباسي وخلافته ٢١٨ - ٢٢٧ هـ = ٨٣٣ - ٨٤٢ م.

(٣) الخليفة العباسي، وخلافته ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ = ٨٤٧ - ٨٦١ م.

(٤) في بن: بدراقس. - وأغلب الظن أنه اندرونق Andronikos.

(٥) في بن: الروم.

(٦) في بن: هربا.

(٧) في بن: عسفا.

(٨) زيد في بن: الولد.

(٩) مجمع نيقية المسكونى سنة ٣٢٥ م.

(٣٣)

١٣٢

البطارقة و جعلهم رؤس^١ المدن و البلدان ، و قو^٢مس^٣ القوامسة ٣ . هم القواد ، و رسم رسوم المملكة . فأما البطارقة فهم الرؤساء و الوزراء لأنهم أشرف الروم ، و القوامسة^٣ أصحاب الأعمال و الحروب . و سئل أيضا عن بنى إسرائيل و أنسابهم فقال : هم شعوب كثيرة و بطون شتى ، لم تزل علماءهم يعرفونها و يعلمونها ، فأولهم بنو^٤ لاوى بن يعقوب بن ٥ إسحاق بن إبراهيم الخليل ، و هو الثالث من ولد يعقوب ، و من ولد يهودا بن يعقوب أيضا جميع بطون بنى إسرائيل الأنبياء و السكهان ورؤس الجواليت و أئمة اليهود و أخبارهم ، فمن الأنبياء من ولد يهودا داود الذى جعله الله خليفة فى الأرض ، و سليمان^٥ بن داود الذى سخرت له الجن و الرياح و البهائم ، و بعده رحيعم^٦ بن سليمان^٥ و اقترقت أسباط بنى ١٠ إسرائيل فى أيامه ، و من ولد يهودا شمويل بن عزرا ، و من ولده أيضا اليشع^٧ النبى عليه السلام . تناسل أولاد هؤلاء الأنبياء و السكهان ، فهم بطون كثيرة يتعارفها علماءهم . و من سبط يوسف بن يعقوب عليها السلام

(١) فى بن : روسا .

(٩) مأخوذة عن الأصل Comes و جمعها Comites و يقابلها فى العصور الوسطى

لقب Comte بالفرنسية ثم Count بالإنجليزية .

(٣ - ٣) العبارة ساقطة من بن [١٧٧ : الف] .

(٤) فى الأصاين : بنوا .

(٥) فى بن : سليمان .

(٦) فى بن : رحيعم .

(١٤) فى الأصاين : اليسع .

يوشع بن نون خليفة موسى بن عمران عليه السلام ، وهو الذي أخرج
 بني إسرائيل من التيه . قال بعضهم في يهودى 'أحق يهجوهُ':
 لنا صديق يهودى حماقته إذا تكلم يبدو النتن من فيه
 يتيه و الكلب خير منه منزلة كأنه بعد لم يخرج من التيه - انتهى
 ٥ [٢٣١ : ب] نعود - و في سنة إحدى و أربعين و مائتين ماجت النجوم
 في السماء و جعلت تتطير ٢ شرقا و غربا كالجراد من قبل ٣ غروب الشفق
 إلى قريب الفجر ، و لم يكن مثل ذلك إلا عند ظهور رسول الله صلى الله
 عليه و سلم . و في سنة اثنتين و أربعين و مائتين رجعت قرية يقال لها
 السويداء بناحية مصر بخمسة أحجار ، فوق حجر منها على خيمة أعرابي
 ١٠ فاحترقت ، و وزن منها حجر فكان فيه عشرة أرتال ، فحمل منها أربعة
 إلى فسطاط مصر ٤ (و) إلى تنيس ٥ . و زلزلت الرى و جرجان و طبرستان
 و نيسابور ٦ و أصبهان كلها في وقت واحد ، و تقطعت جبال و دنى ٧
 بعضها من بعض ، و سمع للسماء و الأرض أصوات عالية ، و سار جبل
 باليمن عليه مزارع حتى أتى مزارع قوم آخرين فوقف فيها . و زلزلت
 ١٥ الدامغان ٨ فسقط بعضها على أهلها فهلك بذلك خمسة و عشرون ألفا .

(١-١) الكلمتان ساقطتان من بر و واردتان في بن .

(٢) كذا في بن ، و هي في بر : تطير .

(٣) الكلمة ساقطة من بن .

(٤-٤) ساقطة من بن ، و واو العطف ساقطة من بر .

(٥) في الأصلين : نيسابورس .

(٦) في بن : و دنا . (٧) في بن : دامغان .

و سقطت

و سقطت بلدان كثيرة على أهلها . و وقع طائر^١ أبيض دون الرخمة
و فوق الغراب على دابة بحلب لسبع مضين من رمضان فصاح : « يا معشر
الناس اتقوا الله الله الله ، حتى صاح أربعين صوتا ،^٢ ثم طار و جاء من
الغد و صاح أربعين صوتا ، و مات رجل في بعض كور الأهواز ، فسقط
طائر أبيض على جنازته ، فصاح باللغة الفارسية : إن الله قد غفر لهذا
الميت . و في سنة خمس^٣ و أربعين و مائتين زلزلت بلاد المغرب حتى
تهدمت الحصون و الميادن^٤ و القناطر ، فأمر المتوكل^٥ بتفرقة ثلاثة آلاف
درهم في الذين أصيبوا بمنزلهم . وكانت بأنطاكية زلزلة و رجفة قتلت
خلقا و سقط ألف و خمسمائة دار و وقع من سورها نيف و تسعون
برجا ، و سمع أهلها أصواتا هائلة لا يحسنون وصفها من كوى^٦ المنازل ،^{١٠}
و هرب الناس إلى الصحارى . و سمع أهل تنيس صيحة هائلة دامت
فترات منها خلق كثير و ذهبت حلة بأهلها . و في سنة ست و أربعين
و مائتين^٣ زلزلت مدينة ديل بالليل ، فأصبحوا و لم يبق من المدينة

(١) في بن : طير .

(٢ - ٢) العبارة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٣) الكلمة ساقطة من بن .

(٤) في بن : و المآذن . - و هو الأصح على ما يظهر .

(٥) الخليفة العباسي و خلافته ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ = ٨٤٧ - ٨٦١ م .

(٦) في بن : كرى .

إلا اليسير ، فأخرج من تحت الردم خمسون ومائة ألف . وفي سنة أربع
وثمانين ومائتين ظهرت ظلمة بمصر وحمرة في السماء شديدة حتى كان
الرجل ينظر إلى وجه الرجل فيراه أحمر وكذلك الحيطان وغيرها ،
ومكثوا كذلك إلى العشاء ، فخرج الناس يدعون الله ويستغيثون إليه ،
و وعد المنجمون الناس بالغرق ، فغارت المياه واحتاجوا إلى الاستسقاء .
وفي سنة خمس وثمانين ومائتين ارتفعت ريح بالبصرة كذلك ومطروا
بردا في [٢٣٢ : ألف] البردة الواحدة^١ مائة وخمسون درهما . وفي
سنة تسع وثمانين ومائتين صلى الناس العصر يوم عرفة ببغداد في ثياب
الصيف ، ثم هبت ريح فبرد الهواء^٢ إلى أن احتاج^٣ الناس إلى التدفئ
بالنار ، وخمد الهواء^٤ . وفي سنة ثلاثمائة كثرت الأمراض ببغداد في الناس ،
وكلبت الكلاب والذئاب في البادية ، وكانت تطلب الناس والدواب ،
فاذا عضت إنسانا هلك . وفي سنة عشرة وثلاثمائة انبثق بواسط سبعة
عشر بثقا^٥ أصغرها مائتي ذراع وأكبرها ألف ذراع ، وغرق من أمهات
القرى ألف وثلاثمائة قرية . وفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة هجم
١٥ أبو طاهر القرمطي صاحب البحرين على الحاج بمكة يوم التروية وهو

(١) في بن : الغرق .

(٢-٢) في بن [١٧٧ : ب] : ومطر وبرد زنة الواحدة .

(٣) في بر : الهوى .

(٤) كذا في بن ، وهي في بر : احتاجوا .

(٥) في بن : شقا .

يوم الثامن من ذى الحجة قتلهم في المسجد الحرام وفي فجاج مكة وفي البيت ، و قلع الحجر الأسود و باب البيت و قبة زمزم ، و قد تقدم فعل القرمطى بمكة مفصلاً فأغنى عن اعادته^١ . و سمي يوم التروية لأنهم كانوا يرتوون في الماء لما بعده أى يستقون^٢ و يسقون . و قيل سمي يوم التروية لأن إبراهيم عليه السلام تفرط^٣ في الرؤيا ، و في التاسع عرف^٤ فسمى لذلك عرفة . و في سنة أربع و أربعين و أربعمئة غلت^٥ الأسعار ببغداد حتى أكلت الناس الكلاب و وقع الوباء في الناس . و وافى^٥ من الجراد شيء كثير جدا حتى أبيع منه كل خمسين رطل^٦ بدرهم ، فارتفق الناس بأكله في ذلك الغلاء . و الجراد واحدا جرادة ، و تكنى أم عوف ، قال الشاعر :

١٠

و ما صفراء تكنى أم عوف كأن رجيلتاها^٧ منجلان

قال^٨ الأصمعي : يقال الجرادة للذكر و الأثني^٩ كما يقال بطه^{١٠}

(١) زيد في بن : هنا . - انظر ج ٢ ص ١٢ و ما يتلوها .

(٢) في بن : يستقون . - و بهامش بر : لم يسمي يوم التروية .

(٣) في بن : تفكر . - و المعنى غامض في كلا الفرضين على كل حال .

(٤) في بن : علت .

(٥) في بن : و وافا .

(٦) في بن : رطلا .

(٧) في بن : رجيلتاها .

(٨) عن بن ، و في بر : فقال .

(٩) زيد في بن : من الجراد

(١٠) في بن : بطية .

وحية ، و جمعه جراد ، و الرجل من الجراد قطعة منه قدر ما يكون
مائة ذراع في مثلها . و إذا باض الجراد قيل غرز فهو مغرز و يبقى في
الأرض أربعين ليلة ، ثم يثور مثل صغار الدود ، فيقال قد أدبا يرض
الجراد إذا صار دبا - انتهى .

و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ما قيل في الجراد أيضا إن شاء الله
تعالى . نعود - و في سنة سبع و أربعين و أربعائة زادت الأسعار فبلغت
قيمة الكرم من الحنطة بالآهواز ثلاثمائة دينار . و في سنة ثمان
و أربعين و أربعائة وقع الغلاء و الوباء في الناس و فسد الهواء ٢ ، و اشتد
الجوع حتى أكلوا الميتة ، و بلغ المكوك من بذر البقلة سبعة دنائير
١٠ و السفرجلة [٢٣٢ : ب] و الرمانة ديناراً ٣ . و عم الغلاء و الوباء جميع
البلاد ، و ورد كتاب إلى بغداد من مصر أن ثلاثة من اللصوص نقبوا
داراً ، فوجدوا عند الصباح موتى ، أحدهم على باب النقب ، و الآخر
على رأس الدرجة ، و الثالث على الثياب المذكورة . و في سنة تسع
و أربعين و أربعائة بلغت كارة الدقيق الخشكار عشرة دنائير ، و مات
١٥ من الجوع خلق كثير ، و أكلت الكلاب . و ورد كتاب من بخارى
إلى بغداد أنه قد وقع في تلك الديار وباء حتى خرج في يوم ثمانية عشر
ألف جنازة ، و أحصى من مات إلى أن كتب هذا الكتاب فكانوا

(١) من بن ، و في بر : يتور . (٢) في بر : الهوى .

(٣) كذا في بن ، و هي في بر : دينار .

(٤) زيد في بن : منهم .

(٥) في بن : بخارا .

(٦) ساقطة من بر و واردة في بن .

ألف ألف و ستمائة ألف و خمسين ألفا ، و بقيت الطرقات فارغة و الأسواق خالية . و وقع الوباء بأذربيجان و أعمالها و واسط و الكوفة و مصر و طبق الأرض حتى كان يحفر للعشرين و الثلاثين حفرة^١ فيلقون فيها^٢ ، و كان سبب ذلك الجوع . و باع رجل أرضا له بخمسة أرطال خبز ، فأكلها و مات في الحال . و تاب الناس كلهم ، و أراقوا الخمر ، و كسروا^٣ آلات الملاهي ، و تصدقوا بمعظم^٤ أموالهم و لزموا المساجد ، و دخلوا على رجل مريض قد طال نزعه سبعة أيام ، فأشار بأصبعه إلى بيت في الدار ، فاذا خاية خمر فقلبوها فمات من ساعته . و توفي رجل كان مقيما^٥ بمسجد ، فخلف خمسين ألف درهم فلم يقبلها أحد ، فدخل أربعة أنفس ليلا إلى المسجد فأخذوها فماتوا عليها . و دخل رجل على ميت مستجى^٦ بلحاف ، فاجتذبه عنه فمات و طرفه بيده .

^٧ و في سنة تسع و أربعين و ثلاثمائة رأى الخليفة المطيع^٨ كأن مؤذنين قد أقبلوا من مطلع الشمس و هم يؤذنان و في أيديهما^٩ ٧٠٠٠ فذكر^{١٠} صندل الزمام^{١١} هذا المنام لمعبر حاذق فقال : تسلم خلق من سكان مطلع الشمس أولوا بأس شديد ، فوردت الأخبار من خراسان بأنه^{١٢} أسلم من الترك مائتا ألف بيت^{١٣} .

(١) في بن : حفيرة . (٢) ساقطة من برو واردة في بن .

(٣) في بن : بعظم .

(٤) ساقطة من بن .

(٥-٥) هذا القسم ساقط من برو و وارد في بن .

(٦) الخليفة العباسي و خلافته ٣٣٤ - ٣٦٣ هـ = ٩٤٦ - ٩٧٤ م .

(٧) بياض بالأصل . (٨-٨) كذا في الأصلين ، و المعنى غامض .

و في سنة ثمان و خمسين و أربعمائة ولد ببغداد صبية لها رأسان
و رقبتان و أربع أيد على بدن كامل ثم ماتت . و ظهر كوكب له ذؤابة
عرضها نحو ثلاثة أذرع و طولها أربع ، و لبث ليالى كثيرة ثم غاب ،
ثم ظهر و قد اشتد نوره كالقمر ، و بقى عشرة أيام حتى اضمحل .
و ورد الخبر من البحار بأنه في الليلة الأخيرة من طلوع هذا الكوكب
غرق ستة و عشرون مركبا و هلك فيها نحو من ثمانية ٢ عشر ألف ٣
انسان ، و كان من جملة المتاع الذى فيها عشرة آلاف طيلة كافور .
و كانت زلزلة بخراسان لبثت أياما فتصدعت منها الجبال ، و خسف بعد
ذلك بقرى .

١٠ و في سنة ستين و أربعمائة كانت زلزلة بأرض فلسطين ، أهلك
بلد الرملة ، فهلك فيها خمسة عشر ألف ، و وقعت شرافات من مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم . و انشقت صخرة بيت المقدس ، ثم عادت
و التأمّت ، و غار البحر مسيرة [٢٣٣ : ألف] يوم ، و ساح في البر ،
و غرق الدنيا . و دخل الناس إلى أرضه* يلتقطون ، فرجع عليهم فأهلك
١٥ خلقا عظيما منهم ، و بلغ حسّ الزلزلة إلى الرحبة و الكوفة .

(١) في بن : بخارا . و الجملة بعدها مطموسة .

(٢) الكلمة ساقطة من بن . (٣) الكلمة بهامش بر ، و هي في بن : آلاف .

(٤) في الأصلين : ألفا . (٥) كذا في بن (و هو أقرب للفهم) ، و الكلمة في

بر : أهله .

و في سنة ثنتين^١ و ستين و أربعمائة كانت زلزلة بالرملة ، فذهب^٢
 أكثرها ، و عم ذلك بيت المقدس ، و انخسفت أيلة كلها ، و انحفر
 البحر وقت الزلزلة حتى انكشف ثم عاد ، و اشتد الجوع و الوباء بمصر
 حتى أكل الناس^٣ بعضهم بعضا ، و بيع اللوز و السكر بوزن الدراهم ،
 و البيضة بعشرة قراريط درهم . و خرج وزير صاحب مصر إليه ، فنزل^٥
 عن بغلته فدخل ، و شغل المهتار عن البغلة لضعف قوته من الجوع ،
 فأخذها ثلاثة أقوام فذبحوها و أكلوها ، فأخذوا و صلبوا ، فلما كان من
 الغد ، وجدت عظامهم تحت خشبهم و قد أكلوا . و باع رجل بمصر
 دارا كان اشتراها بتسعمائة دينار و سبعين دينارا ، و اشترى بها دون
 الكارة دقيقا .

١٠

^٤ قال ابن عبد السلام المالكي في شرح مختصر ابن الحاجب : اختلف
 المذهب في الحيوان الذي لا يؤكل لحمه إذا بلغ به المرض إلى
 حد الإيأس ، هل يجوز ذبحه لإراحته له مما هو فيه أو لا ؟ على قولين ،
 فأجاز ذلك ابن القاسم ، و منعه بعضهم ، و بعض ما وافق ابن القاسم
 في الإراحة من ألم المرض خالفه في الذبح . قال يعقر عقرا لثلا يكون^{١٥}

(١) في بن : اثنتين .

(٢) في بن : فهدمت .

(٣) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٤) هذا الجزء لآخر الفتوى ساقط من بن - و يستأنف الكلام فيها عند « و في
 سنة سبعين و أربعمائة » .

ذلك تشكيكا^١ للعوام في إباحة أكلها إذا رأوها مذبوحة . قال و لقد أخبرني الشيخ أبو الحسن علي الغضائري ، قال كنت أيام فضائي بيوتة أصاب الناس فيها مجاعة شديدة ، فكانوا (يلقون^٢) قسطهم أحياء لقلة القوت ، و كان المار في الطريق إذا رآها نظر إلى أمر مهول لا سيما ه إن كان رقيق النفس ، فسألني أهل البلد أن آذن لهم في قتلها ، فأذنت لهم ، فقتل الصبيان منها عددا كثيرا . ثم أتت عدت على نفسي بالملامة لأنني أذنت في أمر لم أره لأحد من أهل العلم ، فبينما أنا كذلك إذ دخل عليّ رجل باختصار العتية للبيع . فنظرت فيه فكان أول شيء وقع بصري عليه قول ابن القاسم فيها بالإباحة . يعني ما حكيت عنه ، ١ . فحمدت الله و اشتريت الكتاب بسبب هذه المسألة - انتهى^٣ .

و في سنة سبعين^٤ و أربعمائة ورد الخبر بأنه حوصرت انطاكية^٥ إلى أن^٦ بيع فيها كل رغيف بدينار ، و وقع الوباء بها . و قيل لما حوصرت تلمسان^٧ في بعض السنين^٨ من أرض المغرب^٩ بلغ الفأر

(١) في الأصل : تشكيلا - و الكلمة صححت بقلم آخر إلى « تشكيكا » .

(٢) ناقصة من نص بر و يكتمل بذكرها الكلام .

(٣) هنا ينتهي السقط من بن [١٧٨ : الف] .

(٤) في بن : سبع .

(٥) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٦-٦) في بن : حتى أنه .

(٧-٧) الجملة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٨-٨) ساقطة من بن .

١ فيها ديناراً . وفي سنة ثلاث و تسعين و أربع [٢٣٣ : ب] مائة
امتنع القطر ٢ و كثرت الأمراض و عذمت الأدوية و كثير الموت
حتى رثى ٣ على نعش ستة موتى ، ثم حفر لهم حفرة فألقوا فيها .
و في سنة إحدى عشرة و خمسمائة زلزلت الأرض ببغداد يوم
عرفة ، و كانت الحيطان تمرّ و تجيء ، و بلغ الكر الدقيق ثلاثمائة ٥
دينار حتى أكل الناس الكلاب .

و في سنة ثمان و أربعين و خمسمائة وقعت حيطان منبج ٥ بعضها
على بعض ٦ ، فهلكت أهلها ، و لم يسلم من أهلها غير سبعة عشر نفر ٧
كانوا خارجين عنها . و قد تقدم ذكر خبر الزلزلة التي كانت بالديار
المصرية في ذي الحجة سنة ثنتين ٨ و سبعمائة ، و تقدم أيضا ذكر ٩ الوباء ١٠
الذي كان في سنة تسع و أربعين و سبعمائة بالديار المصرية مع كثرة
لرخاء الذي كان بها . و تقدم أيضا ذكر الوباء الذي كان بالإسكندرية ٩
في سنة خمس و سبعين و سبعمائة .

(١-١) في بن : دينار - و في الأصل بر : دينار .

(٢) في بن : المرض .

(٣) في بر : رثى - و في بن : راي .

(٤) في بن : فلقوا .

(٥) في الأصلين : منبج - و هو خطأ واضح .

(٦-٦) ساقطة من بن .

(٧) في الأصلين : نفرا .

(٨) في بن : اثنتين .

(٩-٩) في بن : الوباء و الغلاء اللذين كان بها و بالإسكندرية .

وذكر أصحاب الإمام مالك أن الناس أصابهم سنة بطريق مكة
سعال، فكان الرجل لا يسعل إلا يسيرا حتى يموت، 'ففقّد ناس من
خرج إلى الحج، فلم يأت لهم خبر حياة ولا موت'، فرأى مالك بقسم^٢
أموالهم ولا يضرب لهم أجل المفقود ولا غيره للذي بلغه من موت
ه الناس من ذلك السعال. قالوا: 'وكذا الشأن في' أهل البوادي في الشدائد
ينتجعون من ديارهم إلى غيرها من البوادي^١، ثم يفقدون أنهم على الموت،
وقد علم ذلك من حالهم - انتهى^٧.

[ذكر محاسن الناصر محمد]

^٨نعود إلى ذكر محاسن السلطان الملك الناصر محمد ابن الملك
١٠ المنصور^٢ قلاون و^٩رفعه الظلامات^٩ كان رحمه الله^{١٠} عادلا في رعيته،

(١) ساقطة من برو واردة في بن .

(٢ - ٢) ساقطة من بن [١٧٨ : ب] .

(٣) في بن : أن تقسم .

(٤) زيد في بن : و تنكح نساؤهم .

(٥ - ٥) في بن : وكذلك .

(٦) في بن : البراري .

(٧) الكلمة ساقطة من بن .

(٨) في هامش بر : ترجمة الملك الناصر محمد بن قلاون .

(٩ - ٩) العبارة ساقطة من برو و واردة في بن .

(١٠) زيد في بن : تعالى .

محسنا في قضيته، أبطل المظالم، و كف أيدي ' كل ظالم'، و كان هيكلا
 حسنا على ظهر فرسه، كبير الوجه أحمر اللون، ٢ ذالحية ٢ كبيرة
 مستديرة ٣، قد وخطه^٤ الشيب. [بن ١٧٨ : ب] ° و كان برجله الواحدة
 قصر لسبب عرض له فيها في صغره، وكان يعرج بها. قيل كان يجلس
 بشباك قصره الذي عمره بقلعة الجبل المسمى بالقصر الأبلق في الليل و العيون ه
 راقدة، و الأصوات خامدة، فيرى النجوم زاهرة، و الكواكب السيارة
 سائرة، و السحاب المسخر بين السماء و الأرض، و النيل الذي فرش
 الأرض بطول أرض مصر^٦..... الله تعالى و يقده و يمجده و يعظمه
 و يشكره و يحمده و يقول: سبحان من أعطى ملكه لأضعف خلقه.
 يعنى بذلك نفسه، فلا عترافه بقدرة الله تعالى و خضوعه و تواضعه لعظم ١٠
 خالقه خو له الله تعالى في الملك نحو الخمسين سنة. و كانت دولته أحسن
 الدول من الأمن الكثير، و الرخاء الغزير. و انقادت له الدول،
 و خضعت له الملوك في السهل و الجبل. فكانت الملوك تهابه، و ليس

(١ - ١) في بن: الظالم.

(٢ - ٢) في بر: ذولحية - و في بن: بلحية.

(٣) ساقطة من بر و واردة في بن.

(٤) كذا في بن، و الكلمة في بر: خطه.

(٥) يبدأ هنا سقط كبير من بر و يستمر في بن إلى ١٨٠ ب ثم يستأنف الكلام
 في كليهما بقصيدة رثاء للناصر مطلعها « فقد الوجود بل الوجود لفقده ».

(٦) العبارة هنا مطموسة بالأصل بن.

أحدا منهم يعاديه ، فعاش عيشا هنيئا ، ومات على فراش^١ سويا .
وسأذكر الآن ما فعله الملك الناصر محمد في دولته من روك البلاد ،
ونفع العباد إن شاء الله تعالى . وذلك أنه برز مرسومه الشريف في سنة
خمس عشرة و سبعمائة بإبطال المظالم التي كانت بالديار المصرية ونصه :
هـ " رسم بالامر الشريف العالي المولوى السلطاني الملكى الناصرى مثال العلامة
الكريمة محمد بن قلاؤن ، لا برج إحسانه يرعى بحسن نظره مصالح الرعية ،
وامتنانه يسعى بانواع السماح والبر إلى البرية ، وتوالى فضله على الأمة
المحمدية ، ينجل بكرمه وسمى^٢ (كذا) وليه أن يخلد هنا المرسوم الشريف في
الأعمال البهنسية^٣ ، بما شمل الرعايا ، وأهل البلاد وكافة البرايا . من صدقاتنا
التي عمت ، ومعداتنا التي نمت وتمت ، وبما ساحناه وأبطلناه عنهم من
المكوس والمظالم والحوادث والرسوم التي كانت تستأدى منسوبة للحقوق
الديوانية بالجهات التي ذكرها في هذا المرسوم المكتب من نسخة المرسوم
..... والمقررات والمراسيم الشريفة التي اقتضتها آراؤنا العلية ، وذلك
عند روك^٤ الديار ، فأول ما ابتدأنا به تعفية آثار مظله قد أذلهم

(١) في بن : فراشا .

(٢) كذا في الأصل ، وجاز قراءة الكلمة « ويسمى » .

(٣) كذا في الأصل ، ولعل الكلمة « البهنساوية » نسبة إلى منطقة البهنسا
بمصر الوسطى ، وقد آثرنا الإبقاء على صيغة المرسوم كما هي دون تعديل أو تصحيح
لفظي إلا في أضيق الحدود التي يقتضيها السياق باعتبار أن النص كما هو يمثل
اللغة الديوانية الشائعة في ذلك العصر .

(٤) هنا كلمة لا يستقيم بها السياق ، ومن الممكن قراءتها « لسامع » أو « بمسامع » .

(٥) إشارة إلى « الروك الناصرى » وهو عبارة عن عملية مسح الأرض وتقدير
الضريبة وتوزيع الأنطاعات على مساحتها . وقد خصص المقرضى في « الخطط » =
ليها

ليلها ، و عم ويلها ، و اندفع سيلها ، و هى المقررات التى كانت تستأدى
منسوبة لحقوق سواحل الغلال ' و العرصات ، و تسقط هذه المظلمة
و تعفا آثارها من القاهرة و مصر المحروستين و الأخصاص و الفروع
المنسوبة إلى ذلك جميعها ، ولا يتعرض إلى تنمية الدرهم الفرد عن الغلة
الواصلة و لا المبيعة و لا شىء من [بن ١٧٩ : الف] الرسوم و لا الوجوه ه
التي كانت تستأدى منسوبة لعلامات سواحل الغلات بالجهتين المذكورتين .
و كذلك رسمنا بإبطال نصف السمسة و ضمانها و هو الكسر الذى
يستأدى من السمسة و المناديين و يساهمون فيه من أجرة بيعهم
و شرائهم و نحو هذه المظلمة و إسقاطها من بطون الأوراق و الدفاتر
و الدراوين و تعفية آثارها نظرا فى حالة الضعفاء الذين امتحنوا بهذه ١٠
المحنة إلى أن يسر الله تعالى لهم هذه المحنة على أيدينا و منّ بإسقاطها ،
و أمنا الرعايا و الضعفاء و المساكين من تناولها منهم و توقّرا لحاظرهم
على كسبهم و معاشهم و الأدعية الصالحة لنا يقبلها الله تعالى من كل داع
مخلص . و كذلك بإبطال المقدمين و مقرراتهم و بدوهم و ما يضم إلى
ذلك من الحوايص و البغال ، و إبطال الرسل و المترددين من البلاد و تعفية ١٥

= (طبعة مصر ١٣٢٤ هـ ج ١ ص ١٤١ - ١٤٧) فصلا لذلك تحت عنوان
« ذكر الروك الأخير الناصرى » و هو الفصل الثانى والعشرون (ج ٢ ص
٢٠ و ما يتلوها) من الطبعة التى بدأ نشرها (Gaston Wiet) جاستون فييت .
(١) أورد المقرئ فى خطه الكثير من هذه الاعفاءات من المكوس
والقرارات المالية التى أصدرها الناصر محمد و المذكورة بهذا المرسوم - انظر
الحاشية السابقة .

آثارهم لتطمئن الرعايا بأمانكم ، وقررنا أن يكون نواب الأمراء الذين يقررونهم ببلادهم نوابا عن مجلس الحرب السعيد واحد من أهلها لحق من الحقوق فيخلصه الوالى ممن يتعين فى جهته و يوصله لمستحقه و يتصدى لإزالة التعدى عن أحد منهم على الآخر ، و إن اتفق فى ه البلاد أمر كبير مثل قتل أو ظهور فساد فيها أو حضور واحد من المفسدين إليها فيكون والى تلك الناحية و مشايخها و خفراؤها ملتزمين بالدرك فى ذلك و إحضار الغرماء و المفسدين إلى والى الحرب ، و لا يمكن أحدا (كذ) من الفساد ، و لا يستحسنوا لأحد فعله عندهم ، و لا يجمعوا أحدا عن شىء يتعين عليه ، و لا يحمى بلد على بلد أخرى ، و من حضر ١٠ إليهم من المقبحين أو المتجدين فلا يؤوه و لا يقربوه بل يمسكوه و يعيدوه إلى بلده و يسلموه إلى أهل تلك البلد و يشهدوا عليه و على شيوخها بتسليمه لهم أو يسلموه لوالى الحرب من غير حماية و لا يمكن من إقامته يوما واحدا عندهم و لا يؤوه ساعة واحدة . و من ارتكب (خرو) جا ٢ عن مرسومنا هذا أو حى أحدا أو مكن أحدا من الإقامة عنده من ١٥ المفسدين أو المسلحين ٣ . . . و فعل ٤ خلافة أو نقض حكما واحدا من

(١) العبارة هنا مطموسة بالأصل .

(٢) الكلمة مطموسة جزئيا و قد أكلناها من السياق .

(٣) فى الأصل : المسجين ، و قد تكون « المساجين » .

(٤) جاءت الكلمة بأول السطر ، وجائز أن يكون مطموسا منها حرف ألف ،

و بهذا تصبح قراءتها « أو فعل » .

أحكامه في أي بلد كان ، فالوالى بتلك البلد و شيوخها و خفراؤها (كذا)
و أرباب الدرك يقومون^١ بحكم سيوفنا بالتوسيط و الشنق و التسمير على
نخيل تلك البلدة . و إن اتفق في سنة من السنين حصول شراقي و قصد بعض
الفلاحين أن ينتجع من بلده إلى بلد رى^٢ ليزرع فيها مؤنته فيتوجه برضى
مقطعى بلده و يكون حظه معهم بالرضى بذلك ، و عند ضم المغل يرجع^٥
إلى بلده و وطنه بحيث لا يحصل في ذلك منازعة و لا يدعى أخذ^٢ فلاح
غيره لكونه زرع عنده ، فيعمل كل منهم بما شمله من إحساننا و صدقاتنا
و معروفنا و برّنا . و كذلك رسمنا بإبطال رسوم الولاية و عدم استيذائها ،
و لا يمكن أحد من الولاة و لا نوابهم و لا المتحدثين (كذا) عندهم من جباية
رسم و لا مشاهرة و لا إحداث حادثة عليه^٣ ، و كذلك كتاب الولاة^{١٠}
و دواوينهم و مباشرهم فلا يتعرض أحد منهم إلى تناول رسم و لا جامكية
على البلاد ، فقد رسمنا بإبطال جوامكهم على البلاد و أسقطنا ذلك عن
الرعية ، فلا يتعرض أحد بعد مرسومنا هذا من كتاب الولاة و لا مباشرهم
إلى تقرير جامكية [بن ١٧٩ : ب] على البلاد و لا رسم و لا مقرر و لا مشاهرة
و لا مياومة ، و لا يستأدى من ذلك الدرهم الفرد و لا شيء قلّ و لا جلّ ،^{١٥}
فقد أبطنا هذا الحادث و عفينآ آثاره فليحذر كل منهم من تناول
شيء من ذلك ، رسمنا بإبطال حقوق السجون و مقرراتها و ضمانها
و منع التعرض لأخذ الدرهم الفرد منها ، و أن لا يجمع على المسجونين

(١) في الأصل : يموتون . - و هو خطأ قلبي واضح .

(٢) الكلمة في الأصل : أحد . و هى بدون نقط و قد آثرنا نقطها كذلك للسياق .

(٣) في الأصل : على عليه . - و تقع لفظة « على » بين السطرين و هى زائدة .

بين ضيق السجن وضيق العسر، فانه ما بقي عند المسجونين إطلاقه بمقدار
 تعويقه على الضمان المذكور، فرأينا أن تكون هذه الحسنة مسطرة في
 صحائف حسناتنا و تقربنا إلى الله تعالى بتعفية آثارها. ثم أنعمنا النظر
 في مصالح البلاد و الأعمال الراجعة فوجدنا أهم أمورها مصالح جسورها
 و إتقانها، و أن لا تدخل الأيدي بجباية مبلغ، فرسمنا بأن تعمل جميع
 الجسور و الترع بالجراريف و الأبقار و الرجال على قدر مصلحة كل بلد
 من غير أن تطلب عن ذلك دراهم و لا دخول و لا خروج، بل كل بلد
 تعمل (بأهلها ١) و تعفا من الطلب بالدراهم عن القش و المدامسة و عن
 رسوم الخولة و المهندسين، و إبطال استخراج الدراهم عن جميع ذلك،
 ١٠ و يستقر العمل دون جباية مبلغ، و توفر على الرعايا صدقة عليهم و نظرا
 في حالهم، و يمحى ذكر طلب يطالب بالجراريف و الجمع و الرسوم السدود
 بحيث لا يكون لشد و لا مهندس و لا خولى رسم و لا بدل و لا استيداء
 الدرهم الفرد، بل كل بلد يلتزم مقطوعا بعمل ما يجب عليه عمله من
 غير رجوع إلى العوائد القديمة. و كذلك رسمنا بإبطال طرح بالفرايج
 ١٥ على البلاد و إنذار الرعية بها، و لا يلزم أحد بما لا يختاره من الفرايج،
 بل يكون بيعها و شراؤها بالسعر الخاص أسوة بقية الأصناف من غير
 جبر و لا إكراه، و لا تُرمى فرايج بلد على أهلها، و لا يلزم أحد
 بمشترى شيء منها اغتصابا، و لا يُقرر شيء منها بضمان و لا رسم و لا غيره،
 (١) العبارة هنا مطموسة و لكن أغلبها يقرأ على وجه التحقيق إلا هذه الكلمة
 اقتبسناها من سياق الكلام.

و تنقض العوائد السيئة التي كانت في ذلك من غير رجوع إليها ،
و تكون أسوة المبيعات التي تباع و تشتري من غير طرح و لا رمى
و لا تقرير . و كذلك رسمنا بإبطال مقرر الفرسان و مقرر الخيل الذي
كان يستأدى وقت حركات الجيوش المنصورة إلى البواكير و كذلك
قود^١ الخيل ، و أبطالنا هذه المظلة^٢ ابتغاء لثواب الله تعالى ، و الله لا يضيع^٣
أجر المحسنين ، و وثوقا بكرم الله تعالى ، و إمداد^٤ نصره للمؤمنين^٥ .
و كذلك رسمنا في أمر الإفراح بأن لا يؤخذ مقرر ملاهي ممن يعمل
فرحا ، و من أعرس أو كتب كتابه أو أملك أو كان عنده ختان أو ولد
له ولد أو غير ذلك من الولائم و لم يعمل فرحا فلا يلزم بالقيام بشيء
من المقررات المثبوتة للملاهي و للإفراح ، و لا يطلب مقرر للملاهي إلا ممن^٦
يعمل عنده فرحا بملاهي ، و من لم يكن عنده أحد من الغواني
(و الملاهي^٧) فلا يطلب عن وليمته شيء قل و لا جل من المقررات
التي كانت تستأدى أولا . و كذلك رسمنا بالمساحة بضمن العبي^٨ التي كانت
تقررت و أبطالناها فلا يتعرض أحد لاستخراجها بعد مرسومنا هذا .

(١) و المقصود بالكلمة « أود » .

(٢) الكلمة مطموسة جزئيا ولكنها واضحة من السياق .

(٣) في الأصل : و الامداد .

(٤) في الأصل : المستومين . و أغلب الظن أنه خطأ قلمي في النسخ .

(٥) الكلمة مطموسة بالأصل ، ولكنها واضحة من سياق الحديث .

(٦) الكلمة واضحة ، و أغلب الظن أن المقصود بها جمع كلمة « العبادة » .

و كذلك رسمنا بإبطال المقرر من الأتبان التي توجد لمعاصر الأقتصاب^١
و أن لا يتعرض أحد إلى أخذ تب من بلد من البلاد إلا بشئنه و رضى أصحابه،
و يستمر الحكم في ذلك عاما شاملا لمعاصر الخاص الشريف و الأمراء
و غيرهم من الجهات، و تستقر أتبان المعاصر الجارية في الخاص الشريف
٥ على بلاد الخاص الشريف من جملة ما يؤخذ منها، و لا يتعرض إلى غير بلاد
[بن ١٨٠: الف] الخاص الشريف إلا بالثمن المرضى و القيمة العادلة، و لا يحجر
أحد من أهل البلاد على بيع تبنة بغير رضاه، و لا يقرر عليه شيء من التب
حسب ما رسمناه به . و كذلك رسمنا بإبطال حماية المراكب و أن لا يعود
أحد من الأمراء و أرباب الجهات يحمى مركبا لا يستأدى عن الحماية
١٠ حقا . و لا مقررا من المقررات التي كانت تستأدى فيما قبل مرسومنا هذا،
و لا يتعرض أحد إلى المراكب بغير حق يشهد به الديوان المعمور من
غير حماية . و كذلك رسمنا بالرفق بالوعايا و أن لا يطالب الحى عن الميت
و لا المقيم عن النازح و لا الحاضر عن الغائب ما لم يكن ضامنا أو كفيلا
أو ملتزما . و كذلك قد رسمنا بالمساحة بما انساق للأمراء و المقطعين من
١٥ البواقي في بلادهم من الخراجى و الضمان و غير ذلك و إلى آخر مغل
سنة أربع عشرة و سبعمائة، و لا يطالب أحد من الرعية و المزارعين
إلا بحق شرعى يكون الغريم قد قبض العوض عنه، و مهما كان باقيا من
خراج أو ضمان و ما يجرى مجرى ذلك فيسامح^٢ و لا يطلب منهم
(١) في الأصل : الاقتصاب . و الكلمة غير منقوطة، ولكنها واضحة من السياق .
(٢) الجملة هنا مطموسة، و ربما كانت الكلمة الأولى منها « الناس » و لكن
باقيا لا يقرأ .

بالجملة الكافية ، و يستمر الحكم على ما رسمنا به في المسامحة إلى آخر مغل
سنة أربع عشرة و سبعمائة ، و لا يتعرض أحد من نواب الأمراء و المقطعين
إلى استخراج شيء من الباقي المختص بالسنة المذكورة و ما قبلها . و كذلك
رسمنا أن تعفا جماعة الفلاحين من ضيافة القدوم عند انتقالات الإقطاعات
في سنة الروك المبارك . و كذلك رسمنا بإبطال عداد النحل ١ حسب
ما يشهد به الديوان المعمور من جملة ذلك و تفصيله الحكم في ذلك في
بلاد الخاص الشريف و الأمراء و المقطعين ، و لا يستخرج بعد هذا
المرسوم الشريف . و كذلك رسمنا بإبطال زكاة الرجال بالديار المصرية
بالوجهين القبلي و البحري ، ثم أنعمنا النظر فيما عدا الملة المحمدية من
الطوائف ليكون عدلنا جامعا لجميع الملل و الطوائف ، فرسمنا في أمر الجوالى ١٠
بالديار المصرية و أعمالها تؤخذ من اليهود و النصارى أن لا تؤخذ
منهم جالية إلا على حكم التصقيع ، و رسمنا بالمسامحة بما كان يستأدى
(م) منهم ٣ منسوباً للعجز حسب ما يشهد به الديوان المعمور . و كذلك
رسمنا بإبطال جميع البدول من الولاية و النظار (والم) ستوفين ١ و أرباب

(١) جائز أن تكون الكلمة أيضا « النخل » لأن النقطة الأولى ساقطة ، والنقطة
الثانية قد تتبع الخاء أو ما قبلها ، و لكننا آثرنا استعمال « النحل » لوجود كلمة
« استخراج » فيما بعد مما يتصل بعسل النحل .

(٢) في الأصل : يستددي .

(٣) الكلمة مطموسة جزئيا بأول السطر .

(٤) الكلمة مطموسة جزئيا . و ربما كانت « المستوفين » كما جاءت فيما بعد .

الوظائف^١ جميعا من أرباب وغيرهم . فليستقر حكم هذا المرسوم الشريف
لاستقبال تاريخه ٢٠٠٠ عمل الروك المبارك وخروج المناشير الشريفة ،
وهو من استقبال شهر صفر سنة ست عشرة وسبعائة ، بلغ الله تعالى
إليها وختمها بالصالحات . وتبطل هذه الحوادث والمظالم التي رسمنا
هـ بإبطالها من القاهرة ومصر المحروستين وسائر أعمال مصر بجميع الولايات
والأعمال بالوجهين القبلي والبحري حيث ما يشهد الديوان المعمول
بحمله ذلك وتفصيله وتفريقه وتأصيله ، لا يختص بذلك بلد من البلدان
ولا مدينة من المدن ولا قرية ولا كفر ولا جهة ولا منيل كبيرا كان
أو صغيرا ، ولا استثناء في هذا المرسوم الشريف ولا رجوع ولا تعقيب ،
١٠ وسيل كل واقف على مرسومنا هذا من النواب والأمراء والولاة
والنظار والمستوفين والشادين والمتصرفين وسائر ولاية الأمور في
ممالكنا الشريفة العمل بحسبه من غير تأويل في ذلك ولا تبديل ، ومن
نقض شيئا من ذلك أو استحل حرمة أو أحيا مظلمة أماتها عدلنا الشريف
فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لعنة باقية إلى يوم الدين ، والعلامة
١٥ الشريفة أعلاه حجة به ، وقد كتبنا مثالها في الأول إن شاء الله تعالى .
كتب ثامن عشر ذى الحجة [بن ١٨٠ : ب] سنة خمس عشرة وسبعائة
حسب الأمر الشريف . الحمد لله وحده و صلواته على سيدنا محمد وآله
وسلامه وحسبنا الله ونعم الوكيل . - انتهى .

(١) في الأصل : الوظائف .

(٢) الكلمة مطموسة جزئيا ، وربما قرئت « بالعمل » .

فانظر يا هذا إلى محاسن فعل الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاون . فلما عدل في الرعية ، وأخلص النية ، طالت مدته في الملك فعاش هنيا ، ومات على فراشه سويا . وكانت وفاته في ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، ودفن مع والده الملك المنصور قلاون في قبره بقبة المنصورية بين القصرين بالقاهرة المعزية . وعمر المنصور محمد هـ في حياته المدرسة الناصرية المجاورة لقبة المنصورية من شرقها ، وعمر أيضا الجامع الذي بدار النحاس بمصر ، وعمر أيضا الخانقاه التي بسرياقوس ، وعمر أيضا جامع القلعة ، وجدد أيضا عمارة أبواب القلعة . كان محبا في ١ لا يكاد ينقطع في القلعة ، رحمه الله تعالى . وقد رثى بمراثي منها المرثية التي لآبي الفضل قاسم البجائي القصّار نزيل ثغر الإسكندرية ، ١٠ فمنها قوله :

بكّت العيون بكل بحر زاخر أو كيف لا تبكي لفقد الناصر
ملك الشام وعزّ مصر ونورها حامى الحجاز مبيد كل مخامر
فقد الوجود بل الوجود لفقده متحسرا أضحى شبيهه الحائر
يبكى عليه بأدمع كيواقت طورا^١ ولؤلؤ بعضها بجواهر ١٥

(١) الكلمة مطموسة بالأصل ، ولكن يمكن قراءتها حدسا « العبادة » أو العارة

(٢) إلى هنا تنتهى الزيادات الواردة في بن وهى ساقطة من بر ، فأخذناها برمتها عن بن وهى تشمل ذلك المرسوم الفريد من حكم الناصر محمد .

(٣) من هنا يستأنف الكلام في كل من بن [١٨٠ : ب] وبر [٢٣٣ : ب] . ويسبق الشعر في بر : وقيل في هذا المعنى .

(٤) الكلمة ساقطة من بر و واردة في بن و يستقيم بذكرها ميزان البيت .

زار الثرى فاضا الثرى^١ من نوره و أجابه أهلا^١ بنعم الزائر
فغدا به القبر الذى قد حله روض يفوح كنشرمسك عاطر
و كأنه مذحل فيه روضة مطورة قد نمت بأزاهر
سقى لترب حل فيها جسمه قد عطرت منه بجسم طاهر
كم حجة قد حجها مبرورة كم^٢ وقعة شهرت له ببصائر
/ فى شجب حز الرأس بسيفه قهرا و نصرا من عزيز نانصر
قد مده بالعز منه أولا^٣ فضلا^٤ ويؤتمم فضله^٥ فى الآخر

[٢٢: الف]

و ظهر فى "دولة الملك الناصر محمد المذكور" بحمص^٦ مكان متسع^٦
تحت الأرض قد خسف، و إذا سرير كبير عليه رجل ميت، و إن
١٠ هامته من عظمها يفرش عليها حصير، و لم يجدوا عنده مالا^٧، فكتب
الملك الناصر^٨ فى ذلك^٩، فأمر أن تردم تلك الحفيرة عليه فردمت،

(١ - ١) هذا الجزء من البيت مطحوس فى بن .

(٢) فى بن : و كم .

(٣) فى بن : او .

(٤ - ٤) فى بن : و تتم بعضه .

(٥ - ٥) فى بن : دولته . و بهامش بر : نكتة .

(٦ - ٦) فى الأصلين : مكانا متسعا .

(٧) فى الأصلين : مال .

(٨) زيد فى بن : محمد .

(٩) فى بن : بذلك .

ف قيل إنه شداد بن عاد الباني لآرم ذات العباد ، و قيل غيره ١ - و الله
أعلم ٣ من هو من الملوك . قال بكر بن حماد :

غفلت و حادى الموت فى إثرى مجد و إن لم أرح ميتا فلا بد أن أغدو
أرى عمرى ولى و لم أترك المنى و ليس معى زاد و فى سفرى بُعد
أنعم جسمى باللباس و لينه و ليس لجسمى من قيصر البلاء بد ه
كأنى به قد مُدَّ فى برزخ البلاء و من فوقه ترب و من تحته لحد
و قد ذهبت تلك المحاسن و انتحت فلم يبق فرق العظم لحم و لا جلد
عسى غافر الزلات يعفو زلتى فقد يغفر المولى إذا أذنب العبد
أنا الفرد عند الموت والفرد فى الثرى و أبعث فردا فارحم الفرد يا فرد ٣

١ و سأذكر هنا ما قيل عن بعض الملوك فى تعظيمه لقدرة الله ١٠
تعالى ٢ كفعل الملك الناصر محمد إذ كان يقول فى ذكره : سبحان من
أعطى ملكه لأضعف خلقه ٣ . و هو أن ذلك الملك اضطجع على فراشه
بأعلى قصره أول الليل ، و أشخص بصره للفلك ٤ ، و أقبل عليه متفكرا
و فى هيئته متديرا ٥ فقال : أيها الفلك إن بناء أنت سقفه لعظيم ، و إن

(١) ساقطة من بن .

(٢) زيد فى بن : تعالى .

(٣-٣) الجملة و القصيدة التالية ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٤-٤) فى بن : فلنذكر الآن .

(٥-٥) الجملة ساقطة من بن .

(٦) فى بن : الى تلك .

بيتا أنت غطاؤه^١ لمكين ، و إن شيئا أنت تظله الكبير ، و إن فيك لعجبا
 لذى تفكير ، فليت شعري أ على عمد من تحتك تمتسك ، أم بمعاليق تتعلق ،
 و لعمرى إن ممسكا أمسكتك قدرته لملك قدير ، و إنك فى استدارتك
 بتقديره^٢ عن^٣ زوالك لحكيم خبير^٤ ، و إن جهل من غفل عن التفكير
 ه فى هذه العظمة لغر صغير - ثم أقبل على نجومه و قال : ليت شعري كم أفيت
 من القرون ، و كم صحبت قبلنا من الأمم فى سالف الدهور ، و كم حسره
 الناظرين إليك من العيون ، و كم أعييت قبلنا من الفكر و العقول ؟ ليت
 شعري ما طلوعك حين تطلعين ، و مسيرك حين تسيرين ، و أفولك حين
 تأفلين ، و على من سقوطك حين تغيبين ؟ و ليت شعري أمنوطة أنت
 ١. أم تتحركين ، أم كيف صفتك التى بها توصفين ، و لونك الذى به
 تتوسمين ، و من سماءك باسمك الذى به تعرفين ؟ فسبحان من لأمره تنقادين ،
 و بمشيئته تجرين ، و بصنعة استقامتك حين^٥ تستقيمين ، و رجوعك حين
 ترجعين ، و^٦ استنارتك حين تستنيرين^٧ ، و بروزك حين تبرزين ، فتبارك

(١) كذا فى بن ، و هى فى بر : غطاءه .

(٢) فى بن : بتقدير .

(٣) فى بن : و عن .

(٤) فى بن : لخبير حكيم .

(٥) فى الأصلين : حسرت .

(٦) فى بن [١٨٢ : الف] حتى .

(٧-٧) فى بن : و استنارتك حين تستنيرين .

الله أحسن الخالقين - شعر ١ في المعنى ١ :

كأن نجوم الليل سارت نهارها ٢ فوافت ٣ عشاء وهي ٤ انضاء أسفار ٤

و قد خيمت كي تستريح ركابها فلا فلك جار ولا كوكب سارى
و لبعضهم في فراقه لمحجوبه :

[٢٣٤: ب] خليلي إني للثريا لحاسد و إني على ريب الزمان لواجد ٥

أبقى جميعا شملها و هي سبعة و أفقد من أحبته و هو واحد

[السكواكب و الأفلاك و الأبراج]

قال المسعودي في تاريخه: الأفلاك ٥ تسعة فأولها و أصغرها

و أقربها إلى الأرض فلك القمر ، و الثانى لعطارد ، ١ و الثالث للزهرة ١ ،

و الرابع للشمس ، و الخامس للريخ ، و السادس للشترى ، و السابع لزحل ، ١٠

و الثامن للسكواكب الثابتة ، و التاسع للبروج . و الأفلاك مستديرة محيطة

للعالم ، و هي تدور على مركز الأرض ، و الأرض ٢ في وسطها مثل النقطة

وسط الدائرة ، و سائر السكواكب كلها في الفلك الثامن ، و الفلك التاسع

هو أرفع و أعظم ٢ جسما ، و هذا الفلك يحيط بالأفلاك التى دونه و بالطبائع

(١ - ١) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٢) في بن : نهارىحا . (بدون نقط و هو خطأ قلمى واضح) .

(٣) في بن : فوفيت .

(٤ - ٤) في بن : انفا اشعار .

(٥) في هامش بر : الأفلاك و عدتها .

(٦ - ٦) مطموسة في بن .

(٧) الكلمة ساقطة من بن .

الأربع و بجميع الخليفة و ليس فيه كوكب واحد^١ ، و دوره من المشرق إلى المغرب كل يوم دورة واحدة تامة^٢ ، و يدور بدورانه ما تحته من الأفلاك المتقدم وصفها . و قيل إن الرعد^٣ هبوب^٤ الرياح في بطون السحب ، و البرق^٥ نار تظهر من تلاطم السحب ، و الصاعقة^٦ حديد و نحاس ه امتزجا في الجو و ألهبتها^٧ النار^٨ فقطرا . فأما^٩ الأفلاك السبعة المتقدم ذكرها ، فانها تدور من المشرق إلى المغرب ، و الفلك الثامن يدور على قطبين غير قطبي الفلك الأعظم . و إن الكواكب السبعة لكل واحد منها حركة خلاف حركة صاحبه ، و لها تفاوت في حركاتها ، و ان مقادير حركات هذه الكواكب في أفلاكها مختلفة^{١٠} ، فمقام القمر في كل برج

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) في بن : تامة واحدة .

(٣) بهامش بر : الرعد .

(٤) في بن : مرور .

(٥) بهامش بر : البرق .

(٦) بهامش بر : الصاعقة .

(٧) في بن : و ألهبتها .

(٨) في بن : نار .

(٩) في بن : و أما .

(١٠) في بن : تختلف .

يومان ١ و نصف و يقطع الفلك في شهر . قال الشاعر في الهلال و البدر ٢
و مغيبها و ظهورهما :

يغيب هلال الشهر من دون ساعة كذلك ٣ أيضا ليلة النصف يظهر
فسته أسباع له كل ليلة يغيب على هذا الحساب ٤ و يسفر
فللبدر ثنتا ٥ عشر ساعة كملت لثامن ٦ عشرين الحساب المحرور ٥
و تاسع عشرين الشعاع حجاب به و يخرج منه ٧ ثلاثون تحصر
فان كان في قدر الأهلّة قل يرى و إن قلّ عن مقدارها ليس يظهر
واعلم أن مقام ٨ الشمس في كل برج شهر ٩ ، و مقام عطارد في
كل برج خمسة و أربعون ١٠ يوما ، و مقام المشتري في كل برج سنة ،

(١) في الأصلين : يومين .

(٢) في بن : و القمر .

(٣) في بن : كذاك .

(٤) في بن : الهلال .

(٥) في بر : ثنتي ، وهي كذلك في بن و هو الأصح .

(٦) في الأصلين : محرر .

(٧) في بن : معه .

(٨) في هامش بر : إقامة الكواكب في أبراجها .

(٩) في الأصلين : شهرا .

(١٠) كذا في بن ، و الكلمة في بر : و أربعين .

و مقام زحل في كل برج ثلاثون ١ شهرا ، و إن البروج الإثني ٢ عشر
يتلو بعضها بعضا في [٢٣٥ : الف] مسيرها ، و لا تنتقل ٣ عن أماكنها
في طلوعها و غروبها .

[استدارة الأرض و أبعادها]

و استدارة الأرض ٤ كلها جبالها و بحارها أربعة و عشرون ألف
ميل ، و إن قطرهما و عمقها سبعة آلاف و ستمائة و ستة و ثلاثون ٥ ميلا .
و أن الملك مستدير بمحورين و قطبين ، و أنهما بمنزلة محور النجار
و الخراط الذي يخرط الكرة ٦ و القصاع و غيرها من آلات الخشب ،
و ان من كان مسكنه في وسط الأرض و عند خط الاستواء استوى ٧
١٠ ساعات ليله و نهاره و سائر الدهر ، و ان هذين ٨ المحورين هما القطب
الشمالى و القطب الجنوبى . و الكلام يطول على ما قيل في الأفلاك
و الكواكب ، فلنقتصر على هذا القدر منها .

(١) كذا في بن ، و هى في بر : ثلاثين .

(٢) في بن : الاثنا .

(٣) في بن : تستقل .

(٤) في هامش بر : استدارة الأرض .

(٥) في بن : و ثلاثين .

(٦) في بن : الكرة .

(٧) في بن : استوا .

(٨) في بن : هاذين .

[الجبال و البخار و الأنهار و العيون و المدن]

و سأذكر^١ ما قيل في الجبال و البحار^٢ و الأنهار و العيون و المدن
 إن شاء الله تعالى^٣. ذكر في^٤ الكتاب المعروف بجغرافيا^٥ صفة الدنيا
 و مدنها و جبالها و ما فيها من البحار و الجزائر^٦ و الأنهار و العيون^٧؛
 و وصف المدن المسكونة و المواضع العامرة، و أن عددها^٨ أربعة^٩ هـ
 آلاف مدينة و خمسمائة و ثلاثون مدينة في عصره، و سماها مدينة
 مدينة في إقليم إقليم. و ذكر^{١٠} في هذا الكتاب^{١١} ألوان جبال الدنيا من
 الحمرة و الصفرة و الخضرة و غير ذلك من الألوان، عددها^{١٢} مائتا جبل
 و نيف، و ذكر مقاديرها و ما فيها من المعادن و الجواهر. و ذكر أيضا
 أن عدة البحار المحيطة بالأرض خمسة أبحر، و ذكر ما فيها من الجزائر^{١٣}.
 و العامر منها و الغامر مما اشتهر من الجزائر دون ما لم يشتهر. و ذكر
 أن ابتداء بحر مصر و الروم من بحر الأصنام النحاس، و أن جميع العيون

(١) في بن [١٨٢ : ب] : و لنذكر الآن - و بهامش بر : مطلب يذكر فيه
 الجبال و البحار و الأنهار و العيون و المدن .

(٢-٢) في بن : و العيون و الأنهار و المدن الكبار .

(٣-٣) في بن : كتاب جغرافيا .

(٤-٤) في بن : و العيون و الأنهار .

(٥) بهامش بر : عدد المدن .

(٦-٦) في بن : في الكتاب المذكور .

(٧) بهامش بر : عدد الجبال .

الكبار التي تنبع من الأرض مائتا عين و ثلاثون عينا ما عداها من الصغار . و أن عدد الأنهار الكبار الجارية في الأقاليم السبعة المتقدم ذكرها ١ على دوام الأوقات مائتان و تسعون نهرا . و هذه الجبال والبحار و العيون و الأنهار كلها مصورة في كتاب جغرافيا بأنواع ٢ من الأصباغ مختلفة ٣ المقادير ، فمنها ١ على صورة الطيلسان ، و منها على صورة الشابورة ، و منها مدور ، و منها مثلث و غير ذلك - انتهى .

[خلفاء الناصر محمد]

فلنرجع إلى ذكر ٣ من ملك مصر من ذرية الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون . ولى بعد وفاة الملك الناصر محمد ولده الملك ١٠ المنصور أبو بكر ، فأقام مدة يسيرة ، ٥ و غضب عليه الأمير قوصون ، أرسله إلى قوص حبسه بها و قتله ٥ . فقال أبو الفضل قاسم القصّار البجائي نزيل الإسكندرية من [٢٣٥ : ب] المراثية المتقدم ذكر بعضها ٦ :
هذا محمد قد مضى لسبيله في رحمة الرب الرحيم الغافر

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢ - ٢) مطموسة في بن .

(٣) في هامش بر : مطلب ، ذكر من ملك مصر من ذرية الملك الناصر محمد بن قلاوون .

(٤) هو المنصور سيف الدين أبو بكر و سلطنته ٧٤١ - ٧٤٢ = ١٣٤٠ -

١٣٤١ م .

(٥ - ٥) الحملة ساقطة من بر و واردة في بن ، وزيد في بر : و قتله الأمير قوصون

بمدينة قوص .

(٦ - ٦) في بن : ذكرها .

و أتى خليفته أبو بكر فلا تخشوا توئب غادر ومخامر
أودى به قوصون غدرا فاغتنى فى أرض قوص تحت لحد داثر

وولى قوصون مصر بعد أبى بكر بكك^١ ابن الملك الناصر محمد
والقبه^٢ الملك الأشرف^٣ . وأمر قوصون ونهى فى المملكة لصغر^٤ سن
الأشرف فكرهت قوصون الأمراء والعوام^٥ و^٥ أبغضوه بغضة^٥ عظيمة^٥
لأمر يطول شرحها . فعمل عليه الأمير ايدغمش^٦ ، فسلط العوام
والخرافيش على إسطنبول المحتوى على أمواله وذخائره فنهبوها^٧ بكاملها .
وأخربوا مساكنه^٨ ، وأخذوا سقوفها ، وقلعوا رخامها ، و نقضوا
سقوف خانقته التى عمرها بالقراقة ، ونهبوا بيوت صوفتها (كذا) . وقبض على

(١) فى الأصل بر : لكجك . و صحته فى بن - وهو الأشرف علاء الدين بكك
Kvjuk وقد خاف أخاه المنصور سالف الذكر و سلطنته فى ٧٤٢ هـ = ١٣٤١ -
١٣٤٢ م . انظر المقرئى (كتاب السلوك ج ٢ قسم ٢ ص ٥٧١ و ما يتلوها
« سلطنة الملك الأشرف علاء الدين بكك بن الناصر محمد قلاون » .

(٢-٢) فى بر : بالملك الأشرف . و فى بن : ولقبه بالأشرف .

(٣) فى بن : فصغر .

(٤) فى بن : كراهة .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بن : ايدغمش .

(٧) عن بن ، و فى بر : نهبوها .

(٨) فى بن : قصوره و مساكنه .

قوصون ، و أرسل إلى الإسكندرية ، حبس في ١ جب بها ١ . و أرسلت
الأمراء للأمير أحمد ابن الملك الناصر محمد من الكرك ، و كان مقبها به
في حياة والده ، فأتى إلى القلعة ، و تسلطن و جلس على كرسي الملك ،
و لقب بالملك الناصر ٢ ، فقتل قوصون بأخيه الملك المنصور أبي بكر
٥ ٣ في حبس الإسكندرية ٣ ، و أقام السلطان أحمد ٣ مدة أشهر و رجع
إلى الكرك على أنه يعود ٤ لملكه . ٥ فلما وصل إلى الكرك خلع ٥ نفسه
من الملك فأقام ٦ به كما كان أولا ، فولى ملك مصر أخوه الملك الصالح
إسماعيل ٧ ابن الملك الناصر محمد ، فحصر في دولته الملك الناصر أحمد
بالكرك نحو أربع سنين ، فلم يقدر عليه لخصانة الكرك . فلما ضجر من
١٠ كان عنده بقلعة الكرك من الجوع و الغلاء لطول الحصار قطعوا ٨
رأسه و نزلوا به ٩ إلى العسكر ، فحمل ٩ إلى أخيه الملك الصالح إسماعيل ،

(١ - ١) في بن : جبها .

(٢) الناصر شهاب الدين أحمد و سلطنته ٧٤٢ - ٧٤٣ ٥ = ١٣٤٢ م .

(٣ - ٣) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٤) في بن : يمضى و يعود .

(٥ - ٥) نقلا عن بن ، و في بر « نخلع » فقط .

(٦) في بن : و أقام .

(٧) الصالح عماد الدين إسماعيل و سلطنته ٧٤٣ - ٧٤٦ ٥ = ١٣٤٢ - ١٣٤٥ م .

(٨) في بن : عدوا عليه فقطعوا .

(٩ - ٩) ساقطة من بن .

فتشوش من رؤيته للرأس فضعف و مات .

افولى ملك مصر بعده ١ الملك الكامل شعبان ٢ ابن الملك الناصر محمد مدة يسيرة و مات . ٣ ثم ملك ٣ بعده الملك المظفر حاجى بن الملك الناصر محمد ، فأقام مدة يسيرة و مات . فملك بعده الملك الناصر حسن ٦ ابن الملك الناصر محمد ، فأقام مدة و خلع ٧ من الملك ٧ و تولى ٥ بعده ٨ الملك الصالح صالح ٩ ابن الملك الناصر محمد ، فأبطل دراوين النصارى من الديوان ١٠ إلا من أسلم منهم فانه يبقى ١١ على ديونته و وظائفه ١٢ ، و من أقام على نصرانته نزع من الديونة .

(١-١) فى بن : فملك .

(٢) الكامل سيف الدين شعبان و سلطنته ٧٤٦ - ٧٤٧ هـ = ١٣٤٥ - ١٣٤٦ م .

(٣-٣) فى بن : فملك .

(٤) المظفر سيف الدين حاجى و سلطنته ٧٤٧ - ٧٤٨ هـ = ١٣٤٦ - ١٣٤٧ م .

(٥) الكلمة ساقطة من بن .

(٦) الناصر ناصر الدين حسن و سلطنته ٧٤٨ - ٧٥٢ هـ = ١٣٤٧ - ١٣٥١ م .

(٧-٧) ساقطة من بن .

(٨) الكلمة ساقطة من بن [١٨٢ : الف] .

(٩) الصالح صلاح الدين صالح و سلطنته ٧٥٢ - ٧٥٥ هـ = ١٣٥١ - ١٣٥٤ م .

(١٠) فى بن الديونة .

(١١) فى بن : باقى .

(١٢) فى بن : و وضايفه .

ثم خلع الملك الصالح صالح ١ ، وأعيد [٢٣٦ : الف] ٢ إلى المملكة ٣ الملك الناصر حسن ٣ ، فتمكن من المملكة ، وقعدت قواعده ، واجتمعت له الأموال الكثيرة ، وبنى ٤ المدرسة السلطانية المقابلة لقلعة الجبل بالقاهرة التي لم يكن ملك من الملوك مثلها ، واشترى مملوكا يدعى ٥ يلغا ، فقربه و أدناه و أفاض عليه إحسانه ، و أكرم مثواه و لقبه بالخاصكي ٥ ، فكبر شأن يلغا و عظم حاله ، فوثب على أستاذه الملك الناصر حسن قبض عليه ، و أودعه ٦ بيتا في قصره ١ ، فأقام ٧ به أياما قليلة و قتله ، فوجد بخط السلطان حسن مكتوبا على ٨ حائط البيت ٩ الذي كان مسجونا به ٩ ما مثاله : « لا تقل متى كان ، و لا أين كان ، ١٠ و لا كيف كان ، قُدِّر فكان ، كتبه حسن ملك مصر كان ، . ثم ان

(١) الكلمة ساقطة من بن [١٨٢ : الف] .

(٢-٢) ساقطة من بن .

(٣) الناصر ناصر الدين حسن و هذه سلطنته الثانية ٧٥٥ - ٧٦٢ هـ / ١٣٥٤ -

١٣٦١ م . و بهامش بر : ساطنة السلطان حسن .

(٤) في بر : و بنا ، و في بن : فبنى .

(٥) في بن : بالخاصكي .

(٦-٦) كذا في بن ، و العبارة في الأصل بر : قصر في بيته .

(٧) في بن : أقام .

(٨) كذا في بن ، و الكلمة في بر : في .

(٩-٩) ساقطة من بر و واردة في بن .

يلبغا المذكور ولى الملك المنصور^١ محمد بن المظفر حاجى ابن الملك الناصر محمد، فأقام فى الملك إلى أن بلغ، فطلب من يلبغا الرشد، فخلعه من الملك، و ولى مكانه الملك الأشرف شعبان^٢ بن الحسين ابن الملك الناصر محمد لصغر سنه، فسأله يلبغا أن يوليه نيابة المملكة مدة سنين معينة، فولاه فصار يلبغا يأمر و ينهى^٣ و يؤثّر من أراد^٤ من ممالكه و يعزل^٥ من يشاء، و تسمى بالأمير الكبير، و انقادت لأمره الدولة، و سكن القصر المعروف بالكبش،^٦ فوسع فيه و عمر القصور به^٧، و أقام فى العز الضخم؛ و كان له نحو ألف مملوك يقال لهم الجلبان، ادخروهم لنوائب الزمان، فخذلوه و قتلوه كما سيأتى ذكر ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى.

١٠

^٦ ثم لما قتلت الممالك المذكورة أستاذهم يلبغا، أقاموا من بينهم أميراً يدعى أسندمر، فصاروا يفسدون فى الأرض و يفعلون القبائح

- (١) المنصور صلاح الدين محمد و سلطنته ٧٦٢ - ٧٦٤ هـ / ١٣٦١ - ١٣٦٣ م .
 (٢) الأشرف ناصر الدين شعبان و سلطنته ٧٦٤ - ٧٧٨ هـ / ١٣٦٣ - ١٣٧٦ م
 و فى عهده حدثت وقعة الإسكندرية التى عاصرها النويرى و كتب « كتاب الإمام » فى صدها، و بهامش بر: الأشرف شعبان .

(٣-٣) فى بن : و يولى من يريد .

(٤-٤) فى بن : فوسعه و عمر به القصور

(٥) فى بن : ألفى .

(٦-٦) فى بن : فلما .

جھرا ، و قصدوا القبض على السلطان الملك الأشرف شعبان ، فانتصرت له العوام ، و قتلوا تلك المماليك الطغاة^١ ، و قبض على أسندمر و أودع الحب بالإسكندرية ، فصار به مسجوناً إلى أن مات^٢ . و قعدت بعد ذلك قواعد الملك للأشرف^٣ شعبان ، و تمكن في الملك و دخل الإسكندرية ،
 ٥ و بنى بقصر السلاح^٤ التي بها^٥ قاعة^٥ ملاءها سلاحا كثيرا ، فصارت تلك القاعة^٥ كأحد قاعات الملوك السالفة بالقصر المذكور ليذكر بذلك كما ذكرنا . و هو الآن في سنة خمس^٦ و سبعين و سبعمائة منتصب في مملكته ، محسن لأهل دولته ، مشفق برعيته ، فالله تعالى يقوى سلطانه ، و يشدد أركانه . شعر^٧ :

١٠ ملك على متن السماء محله ، و بكفه الإيجاد و الإعدام

/ أقلامه قهرت سيوف عداته و سيوفه دانت لها الأقلام

و إذا هي اشتهرت ليوم كريهة فغمودها قم هناك و هام

[٢٣٦: ب]

(١) في بن : العظام .

(٢) زيد في بن : به .

(٣) كذا في بن ، و الكلمة في بر : الأشرف .

(٤-٤) سافطة من بن .

(٥-٥) في بن : سلاح .

(٦) في بن : سبع .

(٧) الكلمة سافطة من بن .

و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب تاريخ دخوله الإسكندرية و صفة ذلك إن شاء الله تعالى .

[مرثاة الإسكندرية للنس تراوى]

فلنذكر الآن مرثية رثيت بها الإسكندرية ، بعد ^١ الواقعة الردية ^١ ،
^٢ و الظفر بها فى العشر الأخير من المحرم سنة سبع و ستين و سبعمائة ^٢ .
^٣ ذكر المرثية التى رثا بها الإسكندرية الشيخ الفاضل أبو عبد الله
 محمد ^٣ النس تراوى التى ^٤ عارض بها مرثية الشيخ الفاضل أبى عبد الله محمد
 ابن طاهر الإنخمى المتقدم ذكرها ^٥ :

خاطر ^٦ فاجا الورى لما خطر أوقع الناس ^٧ الرزايا و الخطر
 ياله من خطر حل فما يُبق فى تغييره ولا يذر
 بغته جاء فما أعجله أخذه كانت كلمح ^٨ بالبصر
 يالها من داهية مرت فلم أر منها قط أدهى و أمر

(١-١) فى بن : وفتتها .

(٢-٢) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٣-٣) فى بن : وهى لأبى محمد .

(٤) الكلمة ساقطة من بن .

(٥) فى بن : ذكره .

(٦) فى بن : خطر .

(٧) فى بن : للناس .

(٨) فى بن : لمح .

أقطعت في الناس بالشغل الذي لم تزل عادته سد الثغر
فعدا بعد ابتسام عابسا بنى الأصفر عبّاد الصور
جاء كلب الروم بالسفن التي وقرها خيل ورجل و مِير
ملاّ المينة منهم ولقد سيرا الملعون فيها و عبر
وأتى منهم غراب مسرعا جر بالمجذاف جرا مستطر
جاء للبر فاحتاطت به عصابة الإسلام يبغون الظفر
فأثنى منهم سريعا راجعا و لباقيهم جميعا قد صفر
فأتوا للبر عن آخرهم ورموا ٣ خيلا ورجلا ونفر
و أحيط المسلمون بالبلا واستطال السيف فيهم وانشهر
لم يقدّ مذ دفعوا بمدفع ورموا بالمنجنيق فانكسر
لا ولا عدّتهم معتدة للقاء الروم وكان يختبر
فلكم رامى^٦ رمى عن قوسه نبلة خابت و ارميت بالوتر
ولكم^٨ سيف صقيل باتر قد نبا في ضربه ثم انتر

(١) في بن [١٨٢ : ب] : ستر .

(٢) الكلمة سافطة من بن .

(٣) في بن : ورمو .

(٤) في بن : وأحاط .

(٥) في بن : و انتشر .

(٦) في بن : معتقد .

(٧-٧) في بن : فلكم رام .

(٨) في بن : ولكم .

أولكم من راحع عاجله
 أولكم من فارس^٢ جواده
 ولقد جاءت عراب نجدة
 أرمت الأعداء^٣ عليهم سهمها
 / وصلت للسور منهم نفر
 ومضت قوم إلى القصر لأن
 لم يروا إلا سلاحا واهبا
 فأتوا القاعات كيما^٤ يلبسوا
 عند هذا حققوا^٥ أنهم
 عميوا^٦ عن رشدهم لا حيلة
 هان بذل النفس منهم فرموا
 من أعالي السور^٧ لا يخشو خطر

٥ [٢٣٧:١]

١٠

- (١-١) هذا البيت ساقط من بر ووارد في بن .
- (٢-٢) في بر : فارس من . و صحته كما أوردنا في النص لاستقامة الوزن به .
- (٣) في بن : العدا .
- (٤) كذا في بن ، والكلمة في بر : المحتظر .
- (٥-٥) العبارة مطموسة في بن و لو أن آخر كلمة فيها تنتهي بحرف السين . وربما كانت « الناس » .
- (٦) في بن : حقنوا . (و واضح أنها خطأ قلمي) .
- (٧) في بن : عموا .
- (٨) الكلمة أصلا « عمى » و هي مصححة بقا آخر إلى « عمى » وقد أخذنا بها .
- (٩) كذا في بن ، و هي في بر : الصور .

ولقد جاء فريق منهم يبتغوا باب رشيد للفر
كسروه ثم ولوا هربا بعضهم من بعضهم يقفوا^١ الأثر
عند ما عاين كلب الروم ذا أن جيش المسلمين إنكسر
جاء زحفا عازما^٢ بعزمه دخلوا للثغر من باب القدر^٣
رفعوا الصليبان في أعلاته فتمالى ربنا بارى الصور
ولقد كانوا غداة^٤ دخلوا كجراد في حصيد^٥ إنتشر
أين عينيك ترى الثغر وقد هتك الإفرنج منه ما استتر
وبسات خفرات محرم^٦ قد أزالوا عنهم^٧ ذاك الحفر
ولكم مرضعة قد^٨ نحروا طفلها في صدرها أيضا اتحر
ولكم شيخ كبير قتلوا ما رعوا في أمره حق الكبر
ولكم شاب نشأ في طاعة دأبه^٩ في^{١٠} عمره يتلو السور

(١) كذا في بن ، والكلمة في بر : يقفوا .

(٢) كذا في بن ، والكلمة في بر : هازما .

(٣) ربما كان المقصود « مجارى الأتنية » بجوار الباب الأخضر ، وهى الواردة

فيما سبق من هذا الجزء . راجع بر ١٨٦ : ب .

(٤) كذا في بن ، والكلمة في بر : عداة .

(٥) في بن : منهم .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧) في بن : من .

أسروه و استباحوا أسره و بهم أمسى ذليلاً محتقر
 ما رعوا شاباً ولا ذا شية فصغير و كبير مستطير
 و لكم عين و عين جمعوا و لكم حازوا بدور و بدر
 كم عزيز قد غدا في ذلة و غنى بعد مال إفتقر
 عظم الله لهم اجرا لقد نال أجرا منهم من قد شكر
 و لقد جاء حديث مسند نصه قد جاء عن خير البشر
 ما قضى الله على امرء قضا منه إلا وله فيه الخير
 كم و كم من مسجد عمر في مبدأ الإسلام من عهد عمر
 قد غدا خاوي على عروشه دخل الأعداء فيه و شعر
 / حرقوا الخانات مع حانوتها إذ رموهم بحراريق الشر
 كل هذا فعل مولانا الذي لا يرد أمره إذا أمر
 ساقته البرد لمصر غارة سوق عنف لا يخافون الغير
 وجدوا السلطان في سرياقس نازلاً فيها فأعطوه الخبر
 بطقوا بلبيس في ساعتهم في حمام طالعوا المولى الأقر
 يلبغا مدبر الملك الذي أمره ونهيه قد اشتهر

١٥

(١) في بن : ذو . و الكلمة مصححة في بر بقلم آخر .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) كذا في بن ، و الكلمة في بر : قضا .

(٤) زيد في بر : قد . و الكلمة لا وجود لها في بن ، و يستقيم الوزن بدونها .

(٥) كذا في بن ، و الكلمة في بر : ساقطة .

جاءهم سوقا على حالته ساعة الوقت سريعا ما فتر
 جهاز الجيش و أعطى بالمالا أوقر السفن و نادى بالسفرا
 لم يكن إلا قليل وصلوا بجيوش ليس تحصى كالمطر
 عبروا الثغر سراعا و جدوا قد قضى زيد من الوصل وطر
 ٥ و مضوا الإفرنج في ساعتهم و خذوا في البحر جد 'في السفر'
 و غدا الثغر الشيب أنخر ٣ عبرة يبصرها 'من اعتبر
 يا لها من خذلة قد خذلوا' كسرة يجبرها من قد كسر
 لا يربجا لبلاها كاشف غير من الله حقا قد نصر
 كاشف الخطب المهول إن غزا فارح الهم إذا ضاق المقر
 ١٠ سيد الرسل الذي يقدمه نصره^٦ بالرعب شهرا إن سفر
 يا رسول^٧ الله إنا فشة^٨ بك لذننا من لثيم قد غدر
 يا رسول^٩ الله قد حل بنا من بنى الأصفر^{١٠} بؤس و ضرر

(١) في بن : السفر .

(٢-٢) في بن : بالسفر .

(٣) كذا في الأصلين ، ولعل الكلمة الأخيرة « أبحر » .

(٤) في بن : يبصر .

(٥) في بن : خلوا .

(٦) في بن [١٨٤ : الف] : نصره (تاؤها المربوطة منقوطة على غير ماء

جاء في بر) .

(٧) في بن : رسول .

(٨) ساقطة من بن .

يا رسول الله خانوا الله في
يا غياث المستغيثين به
يا ملاذ الناس يا كهف الوري
لك نشكو^٢ ما أتى من حادث
قد دهوا ثغر الهدى بدهية
وأحاط الثغر فيهم نكبة
فاسأل^٣ الرحمن في نصرتنا
استغثناك أغثنا إحمنا
بك عدنا من رجيم مارد
لم تزل عنا خفيرا زائدا
والخفير الغوث من عادته
إن يكن هذا لذنبا^٤ سابق
أو تكن منا أساءات^٥ بدت
أمره وتعدوا ما أمر
يا غياث الخلق طرا والبشر
يا كفيل البدو جمعا والحضر
قد عرانا من ملاعين عور^٦
يا لها من دهية فما أمر
ورختها الناس في الدنيا سير
وخذ الثار لنا ممن كفر
إنتقم^٧ عنا لنا ممن قهر
جاحد الله ندل قد فجر
تحم عنا في الدنا ثم الآخر
وسجاياه يحامى من خفر
قد جرى منا وجهل وغرر
فإله العرش أولى من غفر

(١) في بن [١٨٤ : الف] : رسول .

(٢) في بن : تشكوا .

(٣) في بن : عرر .

(٤) في بر : فاسئل ، وفي بن : فسل .

(٥) في بن : انتم .

(٦) في الأصليون : الذنب .

(٧) في بن : اسات .

فانصرا الأمة^٢ واكشف عارها أنت أولى^١ في الورى من انتصر
 واشدد الوطأة في أعدائنا واعطنا فتحا مبينا وظفر
 واقدر عنا وخذ تاراتنا من عدانا يا عزيز إقدر
 وعلى المختار صل^٣ ربنا فى أصيل وعشاء وبكر
 ه وعلى الآل الكرام من بهم عزدين الحق حقا وظهر
 ما همى وبل ومالت أيكه رشذا ارق على أعلا شجر
 قال المؤلف غفر^٤ الله له و^٥ لاسلمين أجمعين^٦ : ولما اجتمعت بالشيخ
 أبى عبدالله محمد بن طاهر الإخيمى أوقفته على هذه المراثية التى عارض
 بها أبو عبدالله^٧ محمد النستراوى^٨ مراثيته المتقدم ذكرها قطب وجهه
 ١٠ وظهر^٩ حرجه^{١٠} لمعارضته لمراثيته التى رثا بها الإسكندرية بسبب نهب
 الفرنج لها وسبى بعض أهلها^{١١} وأنشد لسان^{١٢} حاله يقول :

(١) كذا فى بن ، والكلمة فى بر : فانتصر . ولا يستقيم بها الوزن .

(٢ - ٢) مطموسة فى بن .

(٣) عن بن ، وفى بر : صلى .

(٤) فى بن : رحمه .

(٥ - ٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بن : هبة .

(٧) فى بن : النستراوى .

(٨) فى بن : وأظهر .

(٩ - ٩) العبارة ساقطة من بر واردة فى بن .

(١٠) الكلمة ساقطة من بن .

أقول إذا قالوا نراك مقطباً إذا ما ادعى دين الهوى غير أهله
يحقق لدود القز يقتل نفسه إذا جاء بيت العنكبوت بمثله
١ وقد تقدمت ٢ مرثية ابن طاهر التي أولها :

حادث حل أرى الناس العبر فيما قد حال منه يعتبر

٥ [حكايات جرت بالإسكندرية حين الواقعة]

و سأذكر ٣ الحكايات التي قيل إنها جرت بالإسكندرية حين الواقعة
مع ما أضفت ٤ إليها من الأشياء المستطردة ٥ المناسبة لها ٦ إن شاء
الله تعالى ٦ .

حكاية تشتمل على ترك حفظ الحريم من العدو اللئيم . حكى أن
الإفرنج الكفرة الطغاة الفجرة لما ظفروا بالإسكندرية ، وفرت أهلها منها ٧ .
١٠ هربا من أبواب البر ٨ ، صارت الإفرنج ٩ تنهب الديار ، وتأسر الأحرار ،

(١-١) هذا الجزء ساقط من بن .

(٢) في الأصل : تقدم .

(٣) في بن : فلنذكر الآن .

(٤) في بن : أضيف .

(٥) في بن : الاستطرادات .

(٦-٦) ساقطة من بن .

(٧) ساقطة من بن .

(٨) في بن : برها .

(٩) في بن : الإفرنج .

فدخل إفرنجي^١ دارا فوجد بها شيخا مسنا^٢ ، و بيد الإفرنجي^٣ سيف^٤ مجرد^٥ ، فارتاع الشيخ منه و فزع فزعا شديدا ، فقال له الإفرنجي^٣ : أين الذهب ؟ قال : حاضر . قال : احضره . قال : أخاف أن تأخذه مني و تقتلني ، و ليس لك في قتلي راحة . قال : أنت^٦ في أمان مني . قال : فاحلف لي بالإنجيل و الصليب أنك إذا أخذت مني الذهب تركني حيا . فحلف له^٦ ، فأحضر الشيخ ذهباً كان [٢٣٨ : ب] عنده فقبضه^٧ منه و قال له : امض معي إلى القرقورة لأريك ما عندي فيها و اطلق سبيلك . فقال الشيخ : أعفني من ذلك و لا تستأسرنى بعد أخذ^٨ مالي . قال : لا بد منه و فيه مصلحتك لئلا يقتلك أصحابي^٩ في منزلك . هذا إذا دخلوا عليك^{١٠} . قال الشيخ : فسرت معه إلى أن حصلت القرقورة ، و إذا بامرأة^{١٠} جالسة قد غطت وجهها و هي تبكي و تتأوه

(١) في الأصلين : افرنجيا .

(٢) ساقطة من برو واردة في بن .

(٣) في بن : الفرنجي .

(٤-٤) في الأصلين : سيفاً مجرداً .

(٥) في بن : فانت .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) في بن : فقضه .

(٨) في بن : أخذك .

(٩) في بن : أصحابنا .

(١٠) في بن : بامرة .

فكشف الإفرنجی عن وجهها ، و إذا ^۱ هی امرأة حسناء جمیلة من سبايا الإسكندرية . قال فتعجبت من حسنھا ، و تألمت لبسائها و حزنھا بسبب أسرها و بعدها عن وطنها ؛ ^۲ فكلمتها فسكتت و لم تجبني عن وطنها ^۳ و لسان حالها يقول :

لم یبق إلا نفس خافت ^۴ و مقلة إنسانها باهت ^۵
و مغرم تحرق احشاؤه بالنار إلا انه ساكت

فقال الإفرنجی : یا هذا أكان ^۶ ينبغي لزوج هذه الفرار عنها و یتركها لغيره و لا یحميها بقتاله أو یقتل فیعذر . قلت : بلی و الله . فقال : امض إلى بلدك و لم زوجها على فراره عنها ، و قل له أين المروءة و النخوة و الذب عن ^۷ الحريم ، فما یحمی الحريم إلا ^۸ ذو النسب ^۹ الكريم ، و لا یفر ^{۱۰} عنه إلا الذمیم اللئیم . قال الشيخ ^{۱۱} فقلت له : لقد وبخت فأوجعت ، و ثكلت بما ذكرت ، ^{۱۲} و لست أعرف زوجها فأخبره بذلك ^{۱۳} و لكنی ^{۱۴}

(۱) فی بن : فاذا .

(۲-۲) العبارة ساقطة من بر و واردة فی بن .

(۳) ساقطة من بن .

(۴) فی بر : كان . و صحته فی بن [۱۸۴ : ب] كما أوردنا بالنص .

(۵) عن بن ، و فی بر : علی .

(۶-۶) فی بن : ذا الحسب .

(۷) كذا فی بن ، و هی فی بر : لكنی .

إذا نزلت من هذه القرقورة قتلتى^١ أصحابك النصارى . قال فدفع لى ريشة وقال : ضعها على جبينك تكفى^٢ شرهم . ففعلت ما قال فسلمت منهم فى طريقى و دارى .

حكاية تشتمل على فرج بعد شدة . حكى أن امرأة^٣ حسنة الوجه^٤ كثيرة المال تأخرت فى دارها هى و وصفانها^٥ و جواربها^٦ عن الهروب حين الواقعة^٧ بالإسكندرية ، فدخلت الإفرنج إليها^٨ بأيديهم السيوف^٩ المسلولة ، فلما رأتهم نهضت قائمة ، و صارت من الفرع كالمهولة^{١٠} ، فنغزها أحدهم بذبابة سيفه^{١١} نغزة خفيفة ، فصارت منها مجروحة^{١٢} ، و قال لها : أين المال ؟ فازداد رعبها و قالت : المال فى هذه الصناديق التى هى داخل هذا البيت . و أشارت إلى بيت بالمجلس^{١٣} التى هى به ، و صارت ترعد من الخوف .

(١) عن بن ، و فى بر : قتلتنى .

(٢) فى بن : تكفى .

(٣-٣) فى بن : جميلة .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) فى بن : و جواربها . و هى كما أوردنا فى بن .

(٦) فى بن : ظفروا الإفرنج .

(٧-٧) فى بن : بالسيوف .

(٨) فى بن : كالمهولة .

(٩) فى بن : السيف .

(١٠) فى بن : مرجوفة .

(١١) فى بن : فى المجلس .

فقال 'أحدهم لها': لا تخافى ولا تفزعى فأنت تكونى عندى، وفى^١
 مالى وخيرى ترتعى. ففهمت عنه أنه أحبها ويريدها^٢ لنفسه، فمالت
 إليه وقالت له 'بكلام خفى': أريد^٣ أن^٤ أدخل بيت^٥ الخلاء،
 ورفقت له القول^٦ ففهم عنها أنها أرادته^٧، وأنها حصل لها من الرعب
 ما احتاجت معه إلى ذلك. فأشار إليها أن تمضى لقضاء^٨، [٢٣٩: الف] هـ
 حاجتها. فمضت واشتغلوا بنهب الصناديق، فخرجت المرأة من باب
 دارها، ودخلت مخزنا غلسا مملوءا تبنا بزقاق دارها، فحفرت فى التبن
 حفرة واندفنت^٩ بها، فطلبتها الإفرنج^{١٠} بعد نهبهم لدارها فلم يجدوها^{١١}
 فاشتغلوا^{١٢} بحمل النهب ومضوا، فسلبت المرأة من الأسر^٦ بحيلتها تلك^٦،

(١-١) فى بن: لها كبيرهم.

(٢) فى بن: فى.

(٣) ساقطة من بن.

(٤-٤) ساقطة من بن.

(٥) فى بن: إني أريد.

(٦-٦) ساقطة من برو واردة فى بن.

(٧) فى بن: أحبه.

(٨) فى بن: إلى قضاء.

(٩) فى بن: فاندفنت.

(١٠) فى بن: الإفرنج.

(١١) فى الأصليون: فلم يجدونها.

(١٢) فى بن: واشتغلوا.

و كذلك وصفانها^١ و جواربها سلموا منهم بصعودهم سطح الدار .
 فقالت المرأة عند ذلك : سلامة الدين^٢ و العرض^٣ خير من المال
 الذى لم يدخر عند ذوى المروءات الا لغرض مثل هذا ، لأن الفقر
 خير من الأسر ،^٤ و الافتتان بتغيير^٥ الدين بالقهر ، و ان كان فى الأسر
 الغنى^٥ بسبب^٦ الحسن . فرضيت هذه المرأة بسلامة دينها و صيانة
 عرضها ، و لا تكون^٧ بعد الديانة عند كافر فى حانه و لسان حالها
^٨ ينشد و يقول^٨ :

إنى لحر المال ممتهن و لحر عرضى غير ممتهن
^٩ ثم قال لسان حالها أيضا :

١٠ إن الغنى هو الغنى بنفسه و لو انه عارى المناكب حافى
 و سلامة الدين القويم من الأذى ، خير من الكفر السقيم الجافى
 ما كل ما فوق البسيطة كافيا فاذا قنعت فكل شيء كافى^٩

(١) ساقطة من بن .

(٢) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٣) فى بن : العرض ، بدون واو العطف .

(٤-٤) فى بن : و الاكراه على تغير .

(٥) فى الأصلين : الغنا .

(٦) فى بن : لأجل .

(٧) كذا فى بن ، و هى فى بر : تكن .

(٨-٨) فى بن : يقول .

(٩-٩) هذا القسم بأكله ساقط من بن .

ثم إنها ' رفعت قصتها ' إلى عالم ' سريرتها ، و لسان حالها يقول :

الصبر يعقب راحة و الغم يعقبه الجزع

إصبر و إلا فاصطبر فالصبر أنفع ما نفع

كم من مضيق ٣ معسر بالصبر وسع فاتسع

و الصبر عدة كل ذى عقل إذا وقع الفرع

كم عاد بالصبر امرء عند الشدائد فاندفع

الصبر زين للفتى و يشينه ذل الطمع

ثم إنها قنعت بالفقر بعد الغنى ' و قالت : إن ' الدنيا عاقبتها للفناء .
و لسان حالها يقول :

هل عاينت عيناك من حامل شيئا من الدنيا إلى قبره ١٠

سوى الذى لا بد له من كفن يكسى ٦ إلى حشره ٧

(١) ساقطة من بن .

(٢-٢) فى بن : لعالم .

(٣) فى بن : ضيق .

(٤) فى الأصول : الغنا .

(٥) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٦) فى بن : يسلى .

(٧) زيد هنا فى بن : قال الأصمعى : ذم أعرابى رجلا بخيلا فقال أفسد آخرته بصلاح ديناه ، ففرق مما عمر غير راجع إليه ، و قدم على ما أخرب غير منتقل عنه ، و أن مال البخيل أبصر (!) تحت خاتمه ، و ليس يطلق إلا يوم ما
(الكلمة الأخيرة مطموسة و العبارة فيها خيل فآثرنا تركها بالحاشية) .

حكاية يعقبا أخبار و مواعظ و غير ذلك . حكى بعضهم قال :
 كنت محتفيا^١ حين ظفر الإفرنج بالإسكندرية بمكان^٢ أنظر من كوة
 صغيرة^٣ إلى الشارع ، و إذا بأربعة من الإفرنج^٤ فيهم^٥ علب محتشم ،
 فدخل الثلاثة^٦ [٢٣٩ : ب] إلى دار و تأخر ذلك العلب خارجها ،
 ثم خرجوا منها و معهم شاب حسن الوجه على رأسه طاقية و امرأة
 مغربية جسيمة جميلة الصورة كاملة الحسن على رأسها كوفية مذهبة
 و عليها قميص شرب^٧ و شعرها مسدول على كتفيها ، فأتوا بهما^٨ إلى
 كبيرهم ، فأمر بضرب عنق الشاب ، فضرب بسرعة^٩ ، ف وقعت جثته
 على الأرض ، فاختلج و مد ذراعه عند خروج روحه ، فلما رآته زوجته
 ١٠ قتيلا جزعت عليه^{١٠} جزعا شديدا^{١١} ، و لسان حالها يقول :

سألت فؤادى الصبر عنك فقال لى إليك فان الصبر من غير عادتى

(١) كذا فى بن [١٨٥ : الف] ، و الكلمة فى بر : مخفيا .

(٢-٣) كذا فى بن . و العبارة فى بر : اصغر من طاقه صغيرة . (و العبارة ناقصة) .

(٣) فى بن : الفرنج .

(٤) فى بن : احد .

(٥-٥) فى بر : فدخلت الثلاثة ، و فى بن : فدخل ثلاثة .

(٦) الشرب نسيج رقيق من الكتان .

(٧) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : بها .

(٨) فى بن : سريعا .

(٩-٩) ساقطة من بن .

وانكبت على رأسه المقطوعة^١ تقبله ولسان حالها يقول:

'فوا أسفا ما أمرّ الفراق وأعلق نيرانه بالكبود

فقال لهم كبيرهم: آمضوا بها إلى القرقورة . فقالوا لها ذلك فامتنعت

من المضي معهم ، فقالوا: نقتلك كما قتلنا صاحبك . قالت: الموت بعد

فراق الحبيب أحسن من الحياة التي بعده لا تطيب . ولسان حالها يقول^٢: هـ

مالي سوى روحى و باذل روجه فى حب من يهواه ليس بمسرف

فأنا القتل بحب من أحببته إن الملام عن الهوى مستوقف

ثم إنهم حاولوها^٣ على أن تمضى معهم ، وهى 'تمتنع و تلتقط' الحجارة

من الأرض و ترميهم بها ، فغلبوا فى أمرها ، فتقدم إليها أحدهم ، ضربها

بسيفه على عاتقها ، خرط السيف إلى بطنها ،^٤ فبرزت حشوتها^٥ وسقطت ١٠

المرأة إلى الأرض ، فوقع معصمها على ذراع زوجها الممتد . ومضت

الإفرنج و تركوها بعد نهب^٦ ما كان بدارهما ، فماتا شهداء ،^٧ رحمة الله

عليهما^٨ .

(١) فى بن: المقطوع .

(٢-٣) هذا الجزء ساقط من بن .

(٣) فى بن: حاوروها .

(٤-٥) فى بن: فبرز حشوها .

(٥) الكلمة ساقطة من بن .

(٦-٧) فى بن: رحهما الله تعالى .

[فضل الشهادة والشهداء]

قال المؤلف ' غفر الله له و لوالديه و للآقرين اليه و لجميع المسلمين آمين : و سأذكر ' ما قيل في الشهداء و فضل الشهادة إن شاء الله تعالى .
قال ابن رشد : الشهداء سبعة عشر و هم المقتول في سبيل الله ، و من قتل دون ماله ، و من قتل دون أهله ، و من قتل دون دينه ، و الغرق ، و الحرق ، و المجنون ، و الهديم ، ' و ذات الجمع - قيل إنها ذات الحمل ، و قيل هي البكر ' ، و المقتول ظلماً ، و أكيل السبع ، و الميت في سبيل الله و من مات مبطوناً فهو ' شهيد ' ، ' و المطعون شهيد ' و المريض شهيد ، ' و الغريب شهيد ' ، و صاحب النظرة شهيد ، و الملسوع شهيد .

١٠ عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فناء أمتي بالطعن و الطاعون . [٢٤٠ : الف] فقلت : هذا الطعن ، فها هو الطاعون ؟ قال : غدة كغدة البعير ، و الفار منه كالفار من الزحف . فأما الذي يقتل دون ماله ، ففي الحديث كان سعد بن أبي وقاص و عبد الرحمن ابن عوف يخبران أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قاتل دون

(١ - ١) في بن : رحمه الله تعالى ، و إذ قد ذكرت الشهداء فساد ذكر .

(٢ - ٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : فهذا .

(٤ - ٤) وردنا بآخر القائمة في بن .

(٥) الكلمة ساقطة من بر .

(٦) في بن : الفار .

ماله حتى قتل فهو شهيد . فهذا الرجل الذي قتله ' الإفرنج ' المتقدم ذكر
ضربهم ٣ عنقه ، حصل له ثلاث شهادات ، لأنه قتل دون ماله ، و دون
أهله ، و دون دينه . و زوجته أيضا ماتت شهيدة لأنها ' قاتلت و قتلت ' و
و أبانت عن مروءة لعدم تسليمها نفسها للأسر خوفا من أن تصير في
الرق و يطأها كافر فتحمل بكافر ، و تفتن في ' دينها بالضرب و الأذى ' .
حتى تدخل في دين الكفر ، فماتت مسلمة مؤمنة ' طاهرة حريصة على
' دينها و طلبها ' الشهادة يرميها الكفار ، ' بسم الحجار ' ، إلى أن قتلت
مقبلة غير مدبرة ، فصارت شهيدة مع زوجها الشهيد في الجنة أحياء
عند ربهم يرزقون . فكما ' كانا مجتمعين ' في الدنيا ، صارا مجتمعين '
بجنة المأوى .

١٠

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال سألتنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن أرواح الشهداء فقال : جعلت ' في أجواف طير خضر

(١) في الأصلين : قتلت .

(٢) في بن : الإفرنج .

(٣) في بن : ضرب .

(٤ - ٤) في بن : قتلت بعد أن قاتلت .

(٥) في بن : عن .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧ - ٧) كذا في بن ، و هي في بر : طلب .

(٨ - ٨) في بن : بجملة الأحياء .

(٩) في الأصاين : فلما . - بسقوط شرطة الكاف .

(١٠) كذا في بن ، و في بر : مجتمعان .

تأوى إلى قناديل تحت العرش تسرح في الجنة حيث تشاء ، ثم اطلع عليهم ربك اطلاعة . فقال هل تستزيدوننى شيئا فأزيدكم ؟ فلما رأوا أنهم لا بد أن يسألوه ، قالوا : ترد أرواحنا إلى أجسادنا فنقتل في سبيلك مرة أخرى .

٥ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشهداء على بارق نهر يباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم بكرة وعشيا . فان قيل : لم سمي الشهيد شهيدا ؟ قيل لأن النبي صلى الله عليه وسلم شهد لقتلى^١ أحد المسلمين^٢ بالجنة ، فقال لأنهم شهدوا لطف الله وكرامته . وقيل لأنهم يشهدون الحساب ولا يحاسبون ، وقيل : لأنهم يبعثون يوم القيامة^٣ ودمهم شاهدا لهم كما جاء في الحديث : اللون لون الدم ، والريح ريح المسك . والأصل في هذا قوله^٤ صلى الله عليه وسلم^٥ في قتلى أحد : زملوهم في ثيابهم وكلوئهم - الحديث^٦ عن كعب الأحبار . قال في كتاب الله المنزل^٧ الذى أنزله^٨ على موسى بن عمران أنه قال : بالإسكندرية شهداء استشهدوا ببطحائها^٩ هم خير من مضى وخير^{١٠} من

(١) كذا في بن [١٨٥ : ب] ، والكلمة في بر : لقتلا .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) في بن : القيمة .

(٤ - ٤) في بن : عليه السلام .

(٥) الكلمة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٦ - ٦) ساقطة من بن .

(٧ - ٧) في بن : هم مضى وخير .

بقی فہم الذین یباہی بہم اللہ شہداء بدر .

وقیل لمالك بن أنس : هل بلغك أن النبي صلى الله عليه وسلم

[٢٤٠ : ب] صلى على عمه حمزة وكبر عليه سبعين تكبيرة ؟ قال : لا

ولا إنه صلى على أحد من الشهداء . واختلف بما إذا لا يصلى على

الشہید .^١ فقیل لأن الصلاة^٢ إنما هي شفاعة لمن عليه ذنوب ،^٣ فالشہید

مستغفر^٤ عن الشفاعة لعلو درجته ، وكثرة ثوابه . ولهذا قيل إنه

عليه السلام لم يصلى^٥ عليه بعد موته ، وإنما كان الناس يدخلون عليه

أفواجا فيدعون ويتضرعون . قال ابن وهب : إنما لا يصلى على^٦ الشہید

لأنه حي^٧ . قال ابن رشد : وهذا اعتلال ضعيف لأنه يقسم ماله ، وتنكح

زوجته . وقيل يصلى على الشهداء إذا كان قتلهم في بلاد الإسلام بدخول

العدو عليهم لانهطاط درجاتهم على درجة من يدخل من المسلمين بلاد^٨

(١) عن بن ، وفي بر : فيما ذا .

(٢-٢) مطموسة في بن .

(٣-٣) في بن : والشهداء مستغفرون .

(٤) في بن : درجاتهم .

(٥) في بن : ثوابهم .

(٦) كذا في بن ، وهي في بر : يصلى .

(٧-٧) في بن : الشهداء لأنهم أحياء .

(٨) في بن : دار .

(٩) في بن : بلاد .

العدو فيستشهد هناك . وجاء في الخبر : ما غزوا قوم في قطر دارهم إلا ذلوا . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما التقت فئتان قط إلا و يد الله بينهما . فإذا أراد الله أن يهزم إحدى الطائفتين أزال يده عليهما . وقيل إذا التقت الفئتان تقول الملائكة : يا ربنا نكون مع من منهما ؟ فيقول : مع أعدلهما .

واختلف لما ذا سمي الشهداء أحياء . فقيل لأنهم يتمتعون ويرزقون كالأحياء . وقيل لأنهم يكتب لهم في كل ليلة ثواب غزوة ويشركون في فضل جهاد المجاهدين إلى يوم القيامة^١ لأنهم^٢ سنوا لهم الجهاد ، ودليله قوله تعالى^٣ : ” من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس^٤ أو فساد في الأرض^٥ فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا “ . وقوله عليه السلام^٦ : ” من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة “ ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة “ . وقال رسول الله صلى الله

(١) في بن : غزى .

(٢) زيد في بن : تعالى . (٣) في الأصلين : أحد .

(٤) في بن : القيمة .

(٥) في الأصل : لهم . ولا يستقيم بها السياق .

(٦) قرآن كريم ٥ : ٣٢ .

(٧-٧) ساقطة من بر و واردة في بن وهو الأصح .

(٨-٨) ساقطة من بر و واردة في بن : فيكون بذلك الكلام حديثا شريفا .

(٤٨) عليه

عليه وسلم : بعث الله جل ثناؤه^۱ في آخر كل سبع أمم نبيا ، فمن عصي نبيه كان من الضالين ، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين .

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله^۲ تعالى^۳ : ” يوم ندعوا كل أناس بأممهم “ قال : يدعى^۴ أحدهم فيعطى^۵ كتابه بيمينه ، ويمد له في جسمه ستون ذراعا ، يبيض وجهه ، ويجعل على رأسه تاج ه من لؤلؤ يتلألا ، فينطلق إلى أصحابه ، فيرونه من بعيد ، فيقولون اللهم آتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى يأتيهم ، فيقول : ابشروا لكل رجل منكم^۶ مثل من هذا ، قال : وأما الكافر فيسود وجهه ، ويمد له في جسمه ستون ذراعا ، فيلبس تاجا فيراه أصحابه فيقولون [٢٤١ : الف] نعوذ بالله من شر هذا ، اللهم لا تأتنا بهذا . قال فيأتيهم فيقولون : اللهم آخره . . ١٠ فيقول : أبعدم الله^۷ فان لكل رجل منكم مثل هذا . ذكره الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب - انتهى .

نعود - قيل إن أرواح الشهداء تركع و تسجد تحت العرش كأرواح

(١) زيد في بن : بعث .

(٢) في بن : قول الله .

(٣) في بن : عز وجل .

(٤) قرآن كريم ١٧ : ٧١ .

(٥) في بن : يدعى .

(٦) في بن : فيعطى .

(٧) كذا في بن ، وهي بهامش بر : منهم .

(٨) ساقطة من بر و واردة في بن .

المؤمنين الذين يبيتون على وضوء . و قيل لأن الأرض لا تأكل لحومهم .
 و قيل أربعة لا تأكل الأرض لحومهم^١ : الأنبياء و الشهداء و العلماء و حملة
 القرآن . و قيل : سموا أحياء و إن كانت جميع الأرواح حية باقية لنا كد^٢
 الشهادة كما يقال فلان هو الرجل . و لا يغسل الشهيد ظاهره^٣ و إن
 كان جنبا لأن غسل الجنابة من العبادة المتوجهة على الأحياء عند القيام
 إلى الصلاة . فإذا مات الميت^٤ ارتفعت عنه العبادات من الصلاة و الغسل
 لها و غير ذلك ، و غسل الميت إنما هو عبادة للأحياء تعبدوا بها ، فهي
 واجبة عليهم على الكفاية باجماع^٥ قيل وجوب السنن ، و قيل وجوب
 الفرائض ، و قد جاء بذلك الأثر .

١٠ ذكر^٦ أهل العلم بالسيرة أن حنظلة^٧ بن أبي عامر الأوسى كان
 قد ألم بزوجه في حين خروجه إلى غزاه أحد ، ثم هجم من الخروج في
 النفير ما أنساه الغسل و أعجله عنه^٨ ، فلما مات شهيدا أخبر النبي صلى الله

(١) بهامش بن : أربعة لا تأكل الأرض لحومهم .

(٢) في بن [١٨٦ : الف] : لنا كيد .

(٣) في بن : ظاهر .

(٤) في بن : الشخص .

(٥) في بن : بالاجماع .

(٦) في بن : و ذكر .

(٧) مطموسة في بن .

(٨) ساقطة من بن .

عليه وسلم أن الملائكة غسلته . و روى أن النبي صلى الله عليه وسلم
سأل امرأته ما كان شأنه . فقالت يا رسول الله إنه كان جنباً غسلت
إحدى شقي رأسه فلما سمع الهیعة خرج فقتل ، فقال عليه السلام :
لقد رأيت الملائكة تغسله . فسمى حنظلة الغسيل .

و أما غسل غير الشهيد فلا بد منه و الصلاة عليه لأنها عبادة للأحياء .
تعبدوا بها ٣ ، فهما واجبان عليهم على الكفاية باجماع ٤ قيل وجوب السنن
و قيل وجوب الفرائض . و إذا مات ٥ أحد من ركب الحجاج ٦ بطريق
مكة لزمهم غسله و تكفينه و الصلاة عليه و دفنه ، فان تركوه عصوا
كلهم ، فان لم يحدوا ماء يعموه في وجهه و يديه و كفنوه و صلوا
عليه و دفنوه ٧ .

١٠

ولما برز عبدة بن الحارث لعتبة بن ربيعة في يوم بدر ، و كان عبدة
من حزب النبي صلى الله عليه وسلم ، و عتبة بن ربيعة من حزب المشركين ،

(١) في بن : يرسول .

(٢) في بن : أما .

(٣) في بن : فيهما .

(٤) في بن : بالاجماع .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) في بن : الحاج .

فاختلف^١ بينهما ضربتين ، وكر حمزة بن عبد المطلب وعلی بن أبی طالب
بأسیافهما علی عتبة فقتلاه ، واحتملا صاحبهما عیسة ، وجاءا^٢ به إلى
رسول الله صلى الله [٢٤١ : ب] علیه وسلم ، فأضجعا^٣ إلى جانب
موقف رسول الله^٤ صلى الله علیه وسلم فأفرشه رسول الله قدمه
ه الشریفة ، فوضع خده علی قدمه وقال : یا رسول الله لو رأی عمك
أبو طالب لعلم أنى أحق بقوله فی قصیدته :

ونسلمه حتی یُصرَّع حوله ونذهل عن آبائنا^٥ والحلائل
ثم مات رضی الله عنه . فقال رسول الله صلى الله علیه وسلم : أشهد
أنك شهید^٦ .

١٠ وثبت فی الصحیحین أن حارثة بن سراقة قتل یوم بدر ، وكان فی
النظارة أصابه سهم فقتله ، فجاءت أمه إلى رسول الله صلى الله علیه وسلم
فقالت : یا رسول الله أخبرنی عن حارثة ، فان كان فی الجنة صبرت

(١) فی بن : و اختلف .

(٢) فی بر : وجاءوا ، فی بن : وجاء .

(٣) عن بن ، و فی بر : فأضجعوه .

(٤-٤) ساقطة من بن .

(٥) فی بن : یرسول .

(٦) فی بن : ابناؤنا .

(٧) فی بن : صحیح .

و إلا فأذن لي ما أصنع . تعنى من النياحة ، و كانت لم تحرم بعد . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويحك أهبلت أنها جنان ثمانية ، و أن ابنك في الفردوس الأعلى .

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بادروا بالأعمال سبعا هل تنتظرون إلا فقرا منسيا ، أو غنى مطغيا ، أو مرضا مفسدا ، ٢ أو هرما مفندا ٣ ، أو موتا مجهزا ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر - انتهى .

[في تلقين الميت و غير ذلك مما يتصل بالموت و القبر]

فلنذكر الآن ما قيل في تلقين الميت * و تغميضه و غسله و الصلاة عليه و دفنه * . يستحب أن يلقن الميت الشهادة ٦ لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ٦ : من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة . و لا يكثر عليه في ذلك ، فإن قالها مرة ثم تكلم بغيرها أعيد تلقينه ، و إن

(١) في بن : الأعلام .

(٢) كذا في بن ، و هي في بر : غناء .

(٣-٣) ساقطة من بن .

(٤) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٥-٥) ساقطة من بر و واردة في بن [١٨٦ : الف - ب] باضافة « لما عن النبي

صلى الله عليه وسلم » و الغالب أن صحتها « لما جاء » .

(٦-٦) في بن [١٨٦ : ب] : قال عليه السلام .

لم يتكلم ترك و يغمض بصره إذا قضى لا قبل ذلك ، و تمد رجلاه إن
 أمكن ، و أن تشد لحياه ، هذا قبل أن تبرد أعضاؤه ، لئلا يبقى مشوه
 الخلقة . و يستحب أن يقال عند الميت حين يحتضر « سلام على المرسلين ،
 و الحمد لله رب العالمين ، لمثل هذا فليعمل العاملون ، وعد غير مكذوب » .
 ٥ و لا بأس أن تغمضه الحائض و الجنب . و يستحب أن يقال عند إغماضه
 « بسم الله » و على ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم يسر عليه
 موته ، و أسعده ببلقائك ، و اجعل ما خرج إليه خيرا مما خرج منه ٣ .
 و أن يكثر له الدعاء فان الملائكة يحضرونه و يؤمنون على دعاء الداعي .
 و يستحب أن يقرب منه رائحة طيبة من بخور . و لا بأس أن يقرأ
 ١٠ عند رأسه سورة يس أو غيرها . و الذي يتوجه على المسلمين في الميت
 غسله و تكفينه و الصلاة عليه و دفنه . فأما غسله فقل فرص ، و قيل
 ستة . و في غسله بماء زمزم قولان : القول بالمنع في كتاب ابن شعبان ،
 [٢٤٢ : الف] و أنكره ابن أبي زيد . و روى أنه مخالف لقول مالك
 و أصحابه ، و لا شك أنه ماء مبارك . و مع ذلك فلا يمنع أن يصرف

(١) في بن : باسم .

(٢) كذا في بن ، والكلمة في بر : وفاة .

(٣) في بن : عنه .

(٤) مطموسة في بن .

(٥-٥) في بن : انه .

فيما يصرف فيه أنواع المياه ، إذ المعلوم أن هاجر أم إسماعيل ^١ صلوات الله عليه و سلامه ^٢ إنما كانت هي و ابنها و من نزل عليهما ^٣ من العرب ^٤ لم يكونوا يستعملون ^٥ في كل ما يحتاجونه سواء . و أما تكفينه ^٦ فقد قال ^٧ النبي صلى الله عليه وسلم : البسوا البياض و كفنوا فيه موتاكم فانها من خير ^٨ ثيابكم . و قال عليه السلام : إذا كفن أحدكم أخاه ^٩ فليحسن كفيه . و المطلوب ^{١٠} في الكفن ^{١١} الستر مع حصول الوتر ، فان اضطر إلى أحدهما لوقوع التعارض في بعض الصور ، قدم الستر على الوتر ، لأن جنس الستر من باب الواجبات . و الوتر من باب الفضائل ، و لأجل ذلك قدم الإثنان على الواحد ، و إنما يحصل معه ^{١٢} الإجزاء خاصة ، و قدمت الثلاثة على الأربعة لحصول الستر و الوتر ^{١٣} جميعا في الثلاثة . و فقدان الوتر في الأربعة . و الواجب من الكفن

(١) في بن : اسمعيل .

(٢-٢) في بن : عليه السلام .

(٣-٣) ساقطة من بن .

(٤) كذا في بن ، و في بر : لم يكن غيره لم .

(٥) في الأصلين : يستعملوا .

(٦-٦) في بن : فقال .

(٧) في بن : نفس .

(٨-٨) في بن : من ذلك .

(٩) ساقطة من بن .

ما يستر 'عورته'، أى الميت^١، وما زاد عليه فهو سنة . و الصلاة عليه فرض على الكفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقيين، وقيل سنة وتجب بأربع صفات فى الميت: ثبات الحياة له قبل، والإسلام، ووجود الجسد^٢ أو أكثر^٣، وكون الميت غير قتل فى معترك بين المسلمين ه والكفار . ولا يصلى^٤ على (من) لم يظهر له^٥ صراخ أو ما يتحقق به حياته، ولا على كافر، ولا على شهيد فى المعترك . ولا يغسلون ولا يحنطون ولا يكفنون تكفين الموتى، بل يدفن الشهيد فى ثيابه إلا أن يكون عريانا فيلف فى ثوب . وكذلك يفعل بالقن^٦ والكافر إن اضطر المسلمون إلى دفنه .

١٠ وفى الصلاة على الميت قيراط من الأجر، وقيراط فى حضور دفنه^٧، والقيراط مثل جبل أحد ثوابا، واختلف لآى^٨ شىء مثل القيراط بجبل أحد عن سائر الجبال، فقيل^٩: لأنه أكبر الجبال وهو (١-١) فى بن: عورة الميت .

(٢-٢) فى بن: وأكثره . والصواب فى بن .

(٣-٣) فى بن: على سقط لم له . ولفظة «من» لا وجود لها بالأصل وهى لازمة لانسجام العبارة .

(٤) فى بن: بالسقط .

(٥) مطموسة فى بن .

(٦) كذا فى بن، والكلمة فى بن: ولأى .

(٧) فى بن: قيل .

جبل بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل مثل لهم بما يعرفون ،
 وقيل لأنه متصل بالأرضين السبع . ويكون لأحد معنيان : أحدهما ١
 أنه لو كان هذا الجبل من ذهب وفضة و تصدق به لكان ثواب مثل
 هذا القيراط ، وقيل لو أخذ هذا الجبل وجعل ٢ في كفة وجعل هذا
 القيراط في كفة لكان يساويه . ٣ ولا يصلى على غائب أو غريق أو أكيل ٥
 سبع ونحوه إلا أن يوجد أكثر الجسد ٣ ، وأما دفنه ففرض . قال مالك
 في الصلاة على [٢٤٢ : ب] الطفل : يسأل له الجنة و يستعاذ له من النار ،
 قال اللخمي : وقد قيل لا يعذب لقول الله عز وجل ” وما كنا معذبين
 حتى نبعث رسولا “ - ولا نعذب إلا من خالف وعصى بعد توجه
 الخطاب . وإن كان ذلك لم يستعذ له من النار ، والذي عليه جمهور ١٠
 أهل السنة إن الله تعالى له أن يعذب من يشاء من خلقه ابتداء وإن
 لم يتوجه عليه تكليف ، يدل عليه ما جاء في الحديث من أن يقتص للشاة
 الجماء من الشاة القرناء ، ومعلوم أن الشاة لم يتوجه عليها تكليف وإن كان
 قد قيل في الحياة إنما هو مجاز وعبرة عن المبالغة في العدل . وسيأتي
 في ترجمه القضية لمع من أخبار أطفال المسلمين و أطفال المشركين ١٥
 * إن شاء الله تعالى .

(١) ساقطة من بن . (٢) في بن : ووضع .

(٣-٣) العبارة بأكملها ساقطة من بن .

(٤) قرآن كريم ١٧ : ١٥ .

(٥-٥) ساقطة من بن .

و نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لطم الخدود ، و شق الجيوب
و ضرب الصدور ، و الدعاء بالويل و الثبور . و في الحديث : لعنت
النائحة و السامعة و الشاقة جيبها و اللاطمة وجهها ، و لا ينشرن شعرا ،
و لا يدعين ويلا . قال ابن حبيب : و قد أيسح البكاء قبل الموت و بعده
ه ما لم يرفع به الصوت^١ ، أو يكون معه كلام يكره ، أو باجتماع من النساء ،
و بكى^٢ النبي صلى الله عليه وسلم و إبراهيم ولده يجود بنفسه ، فقل^٣ له
في ذلك فقال : تدمع^٤ العين و يحزن^٥ القلب ، و لا نقول ما يسخط
الرب ، يا إبراهيم لو لا أنه أمر حق ، و وعد صدق ، و قضاء مقضى ،
و سبيل مأتى ، و إن الآخر لاحق بالاول لحزنا عليك ، و وجدنا بك^٦
١٠ أشد من حزنا هذا ، و إنا بك يا إبراهيم لمحزونون . ثم استرجع النبي
عليه السلام^٧ و أكثر من حمد الله تعالى . و مر النبي صلى الله عليه وسلم
بجنازة يبكي عليها من غير نياحة فانتهرهم^٨ عمر فقال عليه السلام : دعهن
يا ابن الخطاب فان العين دامة ، و النفس مصابة ، و العهد قريب . و في

(١) في بن : الموت .

(٢) في بن : وبكا .

(٣) في بن : و قيل .

(٤-٤) مطموسة في بن .

(٥) في بن : و وجدناك .

(٦-٦) في بن : صلى الله عليه وسلم .

الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر ببيتيم يبكي فبكى^١ رحمة له ثم قال: إن^٢ الميت يعذب ببكاء الحي. أي إن ذلك يحزنه و يسوءه، فكم من ميت رثى في المنام، فقيل له: كيف حالك؟ فيقول: ساء حالتي من فلان و فلانة كانا يكثران عليّ البكاء. و قال^٣ عليه السلام: إن الميت ليعذب ببكاء الحي عليه. قال الشيخ أبو عمران الجوراي: إنما هـ ذلك إذا أوصاهم و قال لهم: تفعلون ذلك بعد موتي، و أما إن لم يوصهم فلا لقوله تعالى: "ولا تزر وازرة وزر أخرى".

فلنذكر الآن ما قيل في تخصيص القبور و بنائها. و كره مالك^٤ رحمه الله تخصيص القبور [٢٤٣: الف] و البناء عليها. و إنما كره ذلك لنهي^٥ النبي عليه السلام^٣ عن تخصيص القبور، و لأن ذلك من زينة الدنيا و تفاخرها، و الميت غير محتاج إلى ذلك. قال الشاعر:

و ما ينفع المقبور عمران قبره
إذا كان فيه جسمه يتهدم

(١) في بن: فبكى.

(٢) ساقطة من بن.

(٣-٣) في بن: النبي صلى الله عليه وسلم.

(٤) في بن: إذا.

(٥) وردت في عدة آيات بالمصحف منها ٦: ١٦٤ و ١٧: ١٥ و ٣٥: ١٨ و ٣٩:

٧ و ٥٣: ٢٨.

(٦-٦) في بن: رضى الله تعالى عنه.

عن عائشة رضى الله عنها ، قالت ١ : توفيت امرأة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منها و يمازحونها ، فقلت : استراحت . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن بين أيديكم عقبة كؤودا ٢ لا ينجو ٣ فيها إلا ٤ مخف . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الناس أربعة و الأعمال ٥ ستة : موجبات ٦ ، و مثل بمثل و عشرة أضعاف و سبعائة ضعف .

موجبات ٧ من مات كافرا . وجبت له النار . و من مات مسلما ، وجبت له الجنة ، و مثل بمثل العبد يهم بالحسنة فتكتب له حسنة ، و العبد ٨ يهم بالسيئة ٩ فلا يجزى ٩ إلا بمثلها ، و العبد يعمل الحسنة فتكتب له عشرا ، و العبد ينفق النفقة في سبيل الله فتضاعف له مائة ضعف . و الناس ١٠ أربعة : موسع عليه في الدنيا ، موسع عليه في الآخرة ، و موسع عليه في الدنيا مقتور ١١ عليه في الآخرة ، و شقي في الدنيا شقي في الآخرة ، و سعيد

(١) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٢) في الأصلين : كودا .

(٣) في بن : ينجوا .

(٤) زيد في بن : كل .

(٥-٥) في بن : النبي .

(٦) في بن : موجبتان . و الكلمة مطموسة جزئيا .

(٧-٧) ساقطة من بن .

(٨-٨) في بن : يعمل السيئة .

(٩) في بن : يجازى .

(١٠) في بن : مقتور .

في الدنيا سعيد في الآخرة . قال الشاعر :

أربعة في الناس أبصرتهم أحوالهم بينة ظاهره
فواحد دنياه منقوصة من خلفه آخرة وافر
وآخر دنياه قدامه ليس له من خلفه آخرة
وآخر فاز بكليهما صحت له الدنيا مع الآخرة
وآخر يبكي على حاله ليس له دنيا ولا آخرة ٥

ولا بأس أن يوضع في طرف القبر الحجر الواحد لئلا يحفر ٢
موضعه . ولا بأس بالمشي على القبر إذا عفا أثره . فاما وهو مسنم
والطريق حوله فلا أحب ذلك لأن في ذلك تكسير تسنيمه وإباحته
طريقا . وقال ابن حبيب : ولا بأس بزيارة القبور والجلوس عليها ١٠
والسلام عليها ٣ عند المرور وقد فعل ذلك النبي عليه السلام وكان يقول :
السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، يرحم الله المستقدمين
والمستأخرين ، وإنا بكم لاحقون ، اللهم ارزقنا اجرهم ، ولا تفتنا بعدهم
و اغفر لنا و لهم . وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بزيارة القبور
فقال عليه السلام : زوروا القبور فإنها تذكركم [٢٤٣ : ب] الآخرة . ١٥
عن جابر بن عبد الله ٤ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١-١) البيت ساقط من بن .

(٢) في بن : يحتفر .

(٣-٣) زيدت من بن [١٨٧ : ب] وهي ساقطة من بر .

(٤) في هامش بر : نكتة .

تحدثوا عن بني إسرائيل فانه كانت فيهم أعاجيب . ثم أنشأ يحدث^١
قال : خرجت طائفة منهم ، فأتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا لو صلينا
ركعتين و دعونا الله^٢ يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت ، قال
ف فعلوا ، فبينما هم كذلك إذ اطلع رجل رأسه من قبر بين عينيه أثر
السجود ، فقال يا هؤلاء ، ما أردتم إلى^٣ فوالله لقد مت منذ مائة سنة
فما سكنت غنى^٤ حرارة الموت حتى الآن ، فادعوا^٥ الله أن يعيدني كما
كنت - انتهى^٦ .

قال بعضهم : رأيت على قبر حجرا^١ فيه منقوش^٢ :

أصبحت بقعر حفرة مرتهنا لا أملك من دنياي إلا كفنا

يا من وسعت عباده رحمة من بعض عبادك المسيئين أنا

وقال^٣ بعضهم رأيت آياتا منقوشة على حجر بقبر ملك و هي :

(١) في بن : يحدثوا .

(٢) زيد في بن : تعالى .

(٣-٣) مطموسة في بن .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : فادع .

(٦) كذا في بن ، والكلمة في بر : حجر .

(٧) في بن : منقوشا .

(٨) في بن : قال .

أنا رهن التراب في القبر وحدي واضعا فوق لبنة الطين خدي
 قد بدا الدود في محاسن وجهي ورعي^١ في يدي وكفي وزندي
 و جري ناظري على صحن خدي وجفائي الصديق من بعد ودي
 فأننا اليوم في التراب ذليل بعد عز و جمع شمل و جندی^٢
 عجب^٣ للذي يرى سوء حالي كيف يلهو وكيف يلتذ بعدي^٤
 ورئي^٥ على قبري حجر منقوش فيه • : اللهم • إني جئت بك إليك ،
 ولا شيء^٦ أعز منك عليك^٧ ، اللهم كما كنت دليلي عليك ، فكن
 شفيقي إليك ، اللهم إن حسنتي من عطائك^٨ ، و إن سيئاتي من قضائك
 فجد بما أعطيت على ما به قضيت حتى تمحو^٩ ذلك بذلك يا أرحم
 الراحمين .

١٠

وقد جاء في تعزية المصاب ثواب كثير . روى أن^٩ النبي صلى الله

(١) في بن : ورعا .

(٢) في بن : وجند .

(٣) في بن : عجبي .

(٤) في بن : رعي . وفي بن : روي .

(٥) ساقطة من بن و واردة في بن .

(٦-٦) كذا في بن ، و العبارة في بن : أعرضك عليك .

(٧) في بن : عطاك .

(٨) في الأصلين : تمتع .

(٩) في بن : عن .

عليه وسلم ، كان إذا عزي يقول : بارك الله لك في الباقي ، و أجرك في إلفاني . و عزي عليه السلام امرأة في ابنها فقال : إن الله ما أخذ و له ما أعطى ، و لكل أجل مسمى ، و كل إليه راجعون ، فاحتسبي و اصبري فإن الصبر عند الصدمة الأولى ٢ ، فمن بان صبره على عظم ه بلواه تضاعف أجره .

و كان ابن سيرين يقول : أعظم الله أجرك ، و حسن عاقبتك ، و غفر لميتك . و احسن التعزية ما جاء في الحديث : آجركم الله في مصيبتكم ، و أعقبكم منها خيرا ، إنا لله و إنا إليه راجعون . و من نزلت به مصيبة فقال : إنا لله و إنا إليه راجعون ، اللهم آجرني في مصيبتى ، ١٠ و أعقبني خيرا منها ، و اغفر لى سيئها [٢٤٤ : الف] و ما كان من توابعها ، و ما اتصل بها ، و ما هو محشور فيها ، و كل شيء كان قبلها و ما كان بعدها ، قال بعض الصالحين : فقلتها فهانت على تلك المصيبة فلو أن الدنيا كلها كانت لى فى ذلك الوقت و أصبت فيها لهانت على

(١) زيد فى بن : أنه .

(٢) زيد فى بن : قال عمارة اليمنى هى الصلوة الأولى .

(٣) فى بن : محشور .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) فى بن : يكون .

ولكان ما وجدت من برد الرضى ١ و التسليم أحب الى من ذلك الكتاب ٢
كله ٣ . و لبعضهم فى المعنى ٤ :

إذا نزلت بساحتك المنايا ٥ فلا تجزع لها جزع الصبي

فان لكل حادثة عزاء بما قد كان من فقد النبى

و قال أبو الحسن الشاذلى : كل مصيبة يرجى ثوابها ، و لا يخاف ٥

عقابها . ٦ و قال أيضا : من قال على مصيبة نزلت به اللهم أجرنى فى

مصيبتى ، و أعقبى خيرا منها . قال : فالتق ٧ على و اغفر لى سيئها ، و ما

كان من توابها ، و ما اتصل بها ، و ما هو محشو فيها ، و كل شىء

كان قبلها ، و ما يكون بعدها . فقلتها فهانت على ، فلو أن الدنيا كانت

لى فى ذلك [الوقت - ٨] و أصبت فيها لهانت على ، و لكان ما وجدت ١٠

من برد الرضى و التسليم أحب إلى من ذلك كله .

٩ قال بعضهم كنا فى جنازة عبد الله بن الحارث ، فاذا امرأة تقول

(١) فى بن . الرضا .

(٢) كذا فى الأصولين : وقد تكون كلمة « الكتاب » زائدة .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) مطبوعة فى بن [١٨٨ : الف] .

(٥) فى بن : الرزايا .

(٦) العبارة من هنا إلى « قال بعضهم كنا فى جنازة » ساقطة من بن .

(٧) فى الأصل : فالتقى .

(٨) الكلمة غير موجودة بالأصل ، و تكتمل بها الجملة و المعنى .

(٩) يستأنف هنا الكلام فى بن [١٨٨ : الف] كما هو فى بر .

يا حرّاً عليك ، و يا شوقاً إليك . فسألت عنها ، فقيل إن ابنها مات .
فقلت : يا أم عبد الله إن عبد الله كان بعض البشر . قالت : بل كان ظهراً
فانكسر ، و جاراً حراً ينتظر ، و إن في ثواب الله لعزاء على القليل ، و عوضاً
من الجليل . قال : فما ذكرنا حسن التعزى ، إلا خطر ببالنا قولها .

و عزى بعضهم آخر فقال : المصيبة ^١ في غيرك لك ثوابها ، خير
من مصيبة فيك لغيرك أجراها . و عزى بعضهم فقال : سرك ولدك حياً
و هو عدو و فتنة ، ثم أحزنك و هو صلة و رحمة . و قال رسول الله
صلى الله عليه و سلم : إذا مات ولد العبد قال الله عز و جل لملائكته :
قبضتم ولد عبدي ، فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ، فيقولون :
نعم ، فيقول : فماذا قال عبدي ، فيقولون : حمدك و استرجع ، فيقول : ابنوا
له بيتاً في الجنة و سموه بيت الحمد . ذكره الترمذی ، ٣ و قال رسول الله
صلى الله عليه و سلم : ما يصيب المسلم من نصب و لا وصب و لا هم
و لا حزن و لا أذى و لا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من
خطاياها ، ذكره مسلم .

و من بلغه موت أخيه المسلم فترحم عليه و استغفر له ، كتب له
١٥ كأنه شهد جنازته و صلى عليه . و روى عن النبي صلى الله عليه و سلم
أنه قال : [٢٤٤ : ب] مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء ،
ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ أو قريب ، وإنه ليدخل على قلوب

(١) في بن : لمصيبة .

(٢) في الأصلين : فيقول .

(٣) بهامش بر : الصبر على المصيبة .

(٤) في بن : و أخ .

الأموات من دعاء الأحياء مثل الجبال . و قال بعض السلف : الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء فيدخل الملك على الميت معه ١ طبق من نور عليه منديل ، فيقول هذه ٢ هدية لك من أخيك فلان ، من عند قريبك فلان ؛ فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية .

و ذكر أبو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الميت في قبره كالغريق ينتظر دعوة من ابنه أو صديقه ، فإذا لحقته كان أحب له من الدنيا و ما فيها ، و إن الميت كالحى فيما يعطاه و يهدى إليه ، بل الميت أكثر و أكثر ، لأن الحى قد يستقل ما يهدى إليه ، و يستحقر ما يتحف به ، و الميت لا يستحقر شيئاً من ذلك و لو كان مقدار جناح ٣ بعوضة أو وزن مثقال الذرة لا ؛ يعلم قيمته ، و قد كان ١٠ يقدر عليه فضيعة . و مما يدل على صحة ما يهدى الحى للميت ، قوله ٦ عليه السلام : إذا مات المرء انقطع عمله ٧ إلا من ثلاثة ٨ : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ؛ فهذا دعاء الولد يصل والده ينتفع به ، و ما ذلك إلا أن يكون الدعاء لهم ٩ ، و السلام

(١) كذا فى بن ، و هى فى بر : و عليه .

(٢) فى بن : هذا .

(٣) فى بن : الجناح .

(٤) فى بن : لأنه .

(٥-٥) فى بن : يجىء .

(٦-٦) فى بن : صلى الله عليه وسلم .

(٧) فى بن : عليه .

(٨) فى بن : ثلاثة .

(٩) ساقطة من بن .

عليهم ، يصل إليهم^١ و يأتيهم - والله أعلم .
 وما يدعى^٢ به لأهل القبور أن يقول : أمن الله روعتكم ، آنس الله
 وحشتكم ، رحم الله غربتكم ، قبل الله حسناتكم ، تجاوز الله عن سيئاتكم .
 قال عتبة بن هارون : كنت مع فضل الرقاشي فمر بقبر فقال : يا أهل
 القبور الموحشة ، والمحال الوعرة ، التي نطق بالخراب فناؤها ، وشيد في
 التراب بناؤها ، فحلها مقرب ، وساكنها مغرب ، أهل منازل متشاغلين
 لا يتواصلون تواصل الإخوان ، ولا يتزاورون تزاور الحيران ، قد طنتم
 بكلكلها البلاد وأكلهم الجندل والثرى^٣ . والحذر الحذر من شتم الحي
 لميت . قال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا شتم الحي الميت
 فكأنما قتل سبعين^٤ ، نبياً^٥ ، وكأنما قتل أمه وأباه ، وكتب الله عليه بكل
 نجم في السماء ستين خطيئة ، أصغرها كن قتل مؤمناً متعمداً ، ويضيق عليه
 قبره ، ويفتح عليه من قبره باباً من العذاب ، ولا يستجاب له دعاء ،
 ويعاقب في الأرض كما يعاقب شاهد الزور ومدمن الخمر ، وبلغه كل
 ملك بين السماء والأرض ، ولا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه من النار
 فان تاب تاب الله عليه .

(١) ساقطة من بن .

(٢) في بن : يدعى .

(٣-٣) هذه العبارة ساقطة من بر و واردة في بن [١٨٨ : الف - ب] وبها

بعض غموض وقد نقلناها كما هي في الأصل .

(٤) في بن [١٨٨ : ب] : ستين .

(٥) في بن : الآخرة .

و قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا رفع الله عذاب أهل القبور خربت قبورهم ، فإذا رأيتموها خرابا ، فاعلموا أن الله قد غفر لأصحابها ، فاستغفروا ربكم واسألوه أن يرحمكم . و قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن في الجنة موضعا يقال [٢٤٥: الف] له سوق المؤمنين ، ليس فيه شراء ولا بيع ، ولكن يجتمع إليه المؤمنون كل جمعة ، يتحدثون بما كانوا يعملون في الدنيا ، ثم ينادى مناد ٢ من تحت العرش : هلموا يا أمة محمد إلى زيارة الرحمن ، قال فيركب كل واحد منهم على ناقة قوائمها من الزعفران ، و ساقها من العنبر ، و بدننها من المسك ، و عنقها من كافور أبيض ، و رأسها من در ، و عيناها ياقوتتان حمراوتان ، و سرجها من نور ، و فوق السرج قبة مضروبة من سندس أخضر ، ١٠ يزورون الرب كل جمعة مرة كزيارتكم إلى المسجد الجامع . و في الموطأ أن سعيد بن المسيب كان يقول : إن الرجل ليرفع بدعاء ولده من بعده ، و قال ٢ بيده نحو السماء يرفعها (كذا) . و ذكر أبو داود من حديث بريدة بن حصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن زيارتها تذكركم . و في الحديث من زارني ميتا ، فكأنما ١٥ زارني حيا . و في الحديث : اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم أعدوا قبور أنبيائهم مساجد .

(١) مكررة في بن .

(٢) في بن : منادى .

(٣) كذا في الأصلين ، و الغالب أن الكلمة « و أشار » .

(٤) في هامش بر : زيارة القبور .

١ عن عائشة رضي الله عنها ، قالت لما اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم ذكر بعض نسائه كنيسة رأتها بالحبشة يقال لها مارية و كانت أم سلمة و أم حبيبة أتيا أرض الحبشة في الهجرة الأولى مع من هاجر إليها فذكرتا من حسنهما و تصاويرهما ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أولئك الذين إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله . قال و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه : لعن الله اليهود و النصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . قالت : و لو لا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجدا . قال الشيخ محي الدين النووي : لا يجوز الطواف بقبر النبي صلى الله عليه وسلم ، و يكره إصااق البطن و الظهر بجدار القبر ، قاله الحلبي . و غيره و قال : و يكره مسحه باليد و تقيله ، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضره في حياته صلى الله عليه و سلم ، هذا هو الصواب و أطبقوا عليه . قلت قال مالك في رواية ابن وهب : إذا سلم أحد على النبي صلى الله عليه وسلم يقف و وجهه إلى القبر لا إلى القبلة و يمدنو و يسلم و لا يمس القبر . قال بعض المتأخرين : لمس القبر و تقيله من فعل اليهود و النصارى . يروى من حديث عائشة أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا استأنس به حتى يقوم . و كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى المقابر قال : السلام عليكم أهل الديار من

(١-١) هذا الجزء ، بأكمله ساقط من برو و وارد في بن [١٨٨ : ب] .

المؤمنين والمسلمين ، و إنا إن شاء الله بكم لاحقون ، أتم لنا فرطاً ونحن لكم تبع ، أسأل الله العافية لي ولكم . و كان عليه السلام يعلمهم مثل هذا أن يقولوه إذا دخلوا المقابر . وهذا يدل على أن الميت يعرف سلام من يسلم عليه ، و دعاء من دعا له . و قد أجمع المسلمون على الدعاء و الصدقة يصل ثوابهما للميت : فسيل الابن البار بوالديه ، و العارف بما لها عليه من الحقوق ، أنه لا يخليها من الدعاء .

أروى في بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أهدوا إلى موتاكم رحمكم الله . قالوا : و ما نهدي يا رسول الله ؟ قال : الصدقة و الدعاء . ثم قال صلى الله عليه وسلم : إن أرواح المؤمنين ترقى كل ليلة جمعة إلى السماء الدنيا ، فيقفون بآزاء دورهم و بيوتهم ، و يشرفون على أنبيائهم و ذراريهم ، فينادي كل واحد منهم بصوت حزين « يا أهلك يا ولدي و يا أهل بيتي و قراباتي ، تعطفوا علينا يرحمكم الله ، و اذكرونا و لا تنسونا ، و ارحموا غربتنا و قلة حيلتنا و ما قد دفعنا إليه و ما نحن فيه ، قد وقعنا في بحر عميق ، و سجن وثيق ، و قد أضربنا المقام تحت هذه الأرض ، و نحن في هم شديد و فقر طويل و غم ما عليه من يد ، فارجمونا يرحمكم الله ، و لا تبخلوا علينا بالدعاء ، لعل الرحمن يرحمكم قبل أن تصيروا منا ، يا عباد الله اسمعوا كلامنا و لا تنسونا ، و اعلموا أن

(١) في بن : فرطاً .

(٢) من هنا إلى قوله « ثم يرجعوا » أيضاً ساقط من برو و وارد في بن .

هذه القصور التي في أيديكم قد كانت في أيدينا ، و المنازل التي أنتم فيها قد كانت لنا ، فتعطفوا علينا بصدقة درهم أو لقمة من خبز أو كلمة طيبة أو بدعوة حسنة ، لعل الرحمن أن يستجيب فينا ، فلا يزالوا إلى آخر النهار من يوم الجمعة ثم يرجعوا .

و روى عن الفضيل بن موفق رحمه الله قال : كنت آتي قبر أبي المرة بعد المرة وأكثر ذلك ، فشهدت يوما جنازة في المقبرة التي دفن فيها ، فتعجلت لحاجتي فلم آت ، فلما كان في الليل رأيته في المنام فقال لي : يا بني لِمَ لَمْ تَأْتَنِي ؟ قلت : يا أبتى ، وإنك تعلم بي إذا أتيتك ؟ فقال : والله يا بني إنك لتأتيني ، فما أزال أنظر إليك حتى تجوز . ١٠ القنطرة .

و روى ابن عيينة ^١ أنه قال : إن ابن آدم يستوحش في ثلاثة مواطن ، يوم يولد فيخرج إلى دار الدنيا ، و ليلة يبيت مع الموتى فيجاور جيرانا لم [٢٤٥ : ب] يجاور مثلهم ^٢ ، و يوم يبعث فيشهد مشهدا لم ير مثله قط . قال الله تعالى ليحيى بن زكريا في هذه الثلاثة مواطن : ١٥ ” و سلم عليه يوم ولد و يوم يموت و يوم يبعث حيا ” ^٣ و قال النبي

(١) في بن : يا أبت .

(٢) بهامش بر : ابن آدم يستوحش في ثلاث .

(٣) في بر : مثلهم . و صوابه في بن كما أوردنا بالنص .

(٤) قرآن كريم ١٩ : ١٥ و قد وردت الآية في بن ” و السلم على يوم ولدت

و يوم أموت و يوم أبعث حيا ” و هي أيضا من سورة مريم ١٩ : ٣٣ .

صلى الله (٥٤) ٢١٦

صلى الله عليه وسلم : الموت كفارة لكل مسلم ، و تحفة المؤمن الموت .
و قال مطرف بن عبد الله : إن هذا الموت قد تغض على أهل النعيم
نعيمهم ، فاطلبوا نعيما لا موت فيه . و قال الحسن : فضح الموت الدنيا
فلم يترك بها لذوى عقل فرحا . ٢ و قال بعضهم :

قد رأينا أهلك الموت قبلنا خلقا خلقا

درجوا قرنا فقرنا و بقى من ليس يبقا

و لبعضهم :

يا واضع الميت فى قبره خاطبك القبر و لم تفهم

و لبعضهم :

و كيف يلد العيش لمن هو عالم بأن إله الحق لا بد سائله ١٠

فيأخذ من ظله لعباده و يحزبه بالخير الذى هو فاعله ٢

و قال أبو العتاهية :

إن من ترى لا يبقى أفنت المنايا الخلقا

أفنت المنايا الغربا أفنت المنايا الشرقا

١٥ إن للمنايا طعنا ٣ إن للمنايا خرقا

إن للمنايا خطفًا ٣ إن للمنايا خنقا

إن للمنايا سبعا تسبق المنايا سبعا

(١-١) فى بر : لها بذوى . و الأصح فى بن كما أو ردنا بالنص .

(٢-٢) هذا الجزء ساقط من بر و وارد فى بن .

(٣-٣) الشطران ساقطان من بر و واردان فى بن .

وكان سبب توبة أبي العتاهية و تصديده لنظم الشعر في الزهد في الدنيا
أنه كان يحب جارية لأمر المؤمنين الرشيداً تسمى عتبة ، وكانت عتبة
تكرهه ، و جرى له في محبتها أمور يطول شرحها ، فقال فيها أشعاراً^١
كثيرة منها ، هذه الآيات ٣ :

٥ . الله يبنى و بين مولاتي أهدت لي الصدود و الملالاتي
منحتها مهجتي و خالستي فكان هجرانها مكافاتي
هيمني حبها و صيرني أحبوثة ما بين جاراتي
قال فبينما أنا نائم بعد نظم هذه الآيات ، و إذا بآت أتاني و قال لي :
ما كفاك أن تجعل بينك و بين عتبة معينا على المعصية إلا الله تعالى
١٠ . بقولك « الله يبنى و بين مولاتي » . قال ١ : فانتبهت من نومي مذعورا
و تبت من ساعتى ، و تصديت لنظم الشعر في الزهد في الدنيا و ذكر
الموت .

قال الأصمعي : بعث إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد و قد زخرف
مجالسه و بالغ فيها و فى مباينها ، ثم وجه إلى أبي العتاهية فأتاه ، فقال :
١٥ صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا ، فأنشده يقول :

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) كذا فى بن ، و هى فى بر : أشعار .

(٣-٣) الكلمتان ساقطتان من بن .

(٤) فى بن : أعدت .

(٥) فى بن [١٨٩ : ب] : فأنشأ .

عش ما بدا لك آمنا في ظل شاهقة القصور^١

فقال : أحسنت ، ثم ما ذا ؟ فقال :

يسعى إليك بما اشتـهيت لدى^٢ الرواح وفي^٣ البكور

[٢٤٦ : الف] فقال^٤ : حسن^٥ ، ثم ما ذا ؟ فقال :

فاذا النفوس تقـعـقـعت في ضيق حشرة الصدور^٥

فهناك^٦ تعلم موقعنا ما كنت إلا في غرور

فبكى^٧ الرشيد ، وعملت فيه الموعظة . فقال الفضل بن يحيى البرمكي لأبي

العتاهية : بعث إليك^٨ أمير المؤمنين^٨ لتسره فأحزته . قال الرشيد : دعه

فانه رآنا في عـمى ، فكره أن يزيدنا عـمى . قال ابن الحصين : وإنما

حسن موقع الموعظة من أبي العتاهية لأنه قد تنسك و تاب من نظم الغزل^{١٠}

وما يشبهه ، و صرف^٩ شعره^٣ في الزهد و ذكر الموت - انتهى .

(١) كذا في بن ، وهي في بر : الصور .

(٢) في بر : لدى . وفي بن : لدا .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) زيد في بن : الرشيد .

(٥) في بن : أحسنت .

(٦) في بن : فقال .

(٧) في بن : فبكى .

(٨-٨) في بن : الرشيد .

(٩) في بن : وأخذ .

١ قال بعضهم لغزا في نعش:

أتعرف شيئا في السماء نظيره إذا سار سار الناس ٢ حيث يسير
فتلقاه مركوبا و تلقاه راكبا و كل أمير ٣٠٠٠٠٠٠ أسير
يحض على التقوى و يكره ذمه و تنفع منه النفس و هو نذير
٥ و لم يستزر عن رغبة في زيارة و لكن على رغم المزور يزور
و اعلم أن الليل و النهار مراحل يفنيان بمرهما الآجال، و يقطعان
بتعاقبها الآمال . قال بعضهم لغزا فيها:

ما أسود في جوفه أبيض و أبيض في جوفه أسود
ما اجتماعا قط و لا فرقا كلاهما من ضده يولد
١٠ فاستعدوا يا غافلين للوت بقطع مراحلها ، فانها لم يزالا يرحلان بالخلق
بسيرهما حتى يفنيانهم بأجمعهم . قال الشاعر:
الليل شيب و النهار كلاهما رأسي بكثرة ما تدور رحاهما
يتناهيان لحومنا و دماءنا و شحومنا ذابا و نحن نراهما
و لبعضهم في الليل:

١٥ الليل مكحول الجناح كأنما كحل العيون ظلامه بالإثم

(١ - ١) هذا الجزء ساقط من بر و وارد في بن .

(٢) زيد في الأصل: من ، و سقوطها واجب لوزن الشعر .

(٣) في الأصل كلمة غير منقوطة لا تقرأ .

(٤) في بر: لغز ، و الصحيح في بن كما أوردنا .

(٥) في بن: أبداننا .

(٦) في بن: كأنهما .

و كأن أنجم ليله لما بدت^١ للناظرين مسامرا من عسجد
وقال ابن عبدون الكاتب في مرثيته التي^٢ ذكر فيها^٣ الملوك و قبائل العرب
السالفة ، و الأجيال البادية^٤ ، الذين وردوا حياض الحمام بعد أن لعبت
بهم الليالي و الأيام :

أنهاك أنهاك لا آلوك موعظة^٥ عن^٥ نومة بين ناب^٥ الليث و الظفر ه
فالدهر حرب و إن أبدى مسالة و البيض و السمريين البيض و السمر
ما لليالي أقال الله عثرتنا^٦ من الليالي و خانتها يد القدر
في كل حين لنا في كل جارحة منها جراح و إن زاغت عن البصر
تسر بالشئ لكن كي تغر^٧ به كالآيم ثار على الجاني من الزهر
قال^٨ [٢٤٦ : ب] الآيم ضرب من الحيات تختفي في ناحية من الشجرة ١٠
فاذا أتى من يقتطف من ثمرها أو زهرها ثارت عليه^٩ ضربته فمات من
سمها - انتهى^٩ .

(١) ساقطة من بن .

(٢) في بن : ابدت .

(٣ - ٣) في بر : ذكرها في . و صحتها في بن كما أوردنا بالنص .

(٤) كذا في الأصلين ، وأغلب الظن أنها « البائدة » .

(٥ - ٥) في بن : نومه بين ذاب .

(٦) في بن : عثرتها .

(٧) في بن : تغر .

(٨) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٩) ساقطة من بر و واردة في بن ، وزيد عليها في الأخيرة « الحية » .

نعود إلى آخر :

كم دولة وليت بالنصر حومتها^٢ فلم تدعها و سل ذكراك من خبر
هوت بدارا و فلتت عرب قاتله و كان غصبا على الاملاك ذا أثر
و استرجعت من بنى ساسان ما وهبت ولم تدع لبنى يونان من أثر
ه و ابتعت أختها طسما و عاد على عاد و جرم منها ناقض المدر
و ما أقالت ذوى^٣ الهيئات من يمن و لم تراعى^٤ ذوى الغايات من مضر
و مزقت سبأ في كل قاصية^٥ و ما التقى^٦ رائح^٧ منهم بمبتكر
و أنفدت في كليب حكمها و رمت مهلهلا بين سمع^٨ الأرض و البصر
و دوخت آل ذبيان^٩ و إخوتهم عبسا و عضت بنى بدر على النهر
١٠ يوم القليب بنو^{١٠} بدر^{١١} فنوا و غدوا^{١٢} قليب بدر بمن فيه إلى سقر
و هذه المراثية طويلة مشروحة في مجلد كبير، و سأذكر بعض ما وقفت

(١ - ١) انطة من بن .

(٢) كذا في بن ، و هي في بر : خدمتها .

(٣) في بن : ذو .

(٤) في بن : فلم .

(٥) في الأصلين : تراعى .

(٦) كذا في بن ، و الكلمة في بر : قاضية .

(٧) في بن : التقا .

(٨) في بن : واضع .

(٩) في بن [١٩٠ : الف] : سبع .

(١٠) في الأصلين : بنوا .

((١١ - ١١)) في بن : فتواعدوا .

عليه في^١ شرحها^٢ إن شاء الله تعالى^٣ .

قيل بينما داود عليه السلام يسيح في الجبال إذ رأى قبرا كبيرا
وعند رأسه حجر منقوش فيه : ” أنا دويسم ملك الروم ، ملكت الدنيا
ألف سنة ، وفتحت ألف مدينة ، وتزوجت ألف بكر من بنات الملوك ،
وقلت ألف جبار ، فمن رآني فلا يغتر بالدنيا ، فما كانت إلا كحلم نائم ،
ثم صرت إلى ما ترى ، فصار التراب فراشي ، والحجارة وسادي “ .
وقيل^٤ إن سليمان^٥ عليه السلام مر بقصر عظيم البناء ، وإذا هو بنسر
على القصر عظيم الخلقة ، فقال له سليمان^٦ : ما اسمك ؟ قال : معمر .
قال^٧ : كم سنك ؟ قال : ألف وخمسون سنة . قال : فهل رأيت أحدا
بهذا القصر ؟ قال : لا يأنى الله . قال : هل تعرف له بابا ؟ فقال^٨ : نعم .
أعرف له بابا من الحديد الصيني . فقال سليمان^٩ : وأين هو ؟ قال :
ردمته الرياح بالتراب السافي عليه . فأمر سليمان^{١٠} الرياح أن ينسف التراب
من حول القصر فنسفه^{١١} ، فظهر له باب من الفولاذ^{١٢} ، ففتحه ودخل

(١) في بن : من .

(٢ - ٣) ساقطة من بن

(٣) في بن : قيل . وبهامش بر : نكتة .

(٤) في بن : سليمان .

(٥) في بن : فقال .

(٦) في بن : قال .

(٧) في بن : فنسفته

(٨) في بر : الفولاذ .

إلى ' القصر ، فنظر في وسطه قبراً من الرخام طوله أربعون ذراعاً ، وعند رأسه لوح مكتوب فيه :

٢ كم قد وقفت وكم قتلت وكم ركبت الصافات ٢

كم قد أكلت وكم شربت ٣ وكم لبست الناعمات

٥ و كأننى بك قد فقدت وسيل^٥ عنك فقبل مات [٢٤٧ : ألف]

و ذلك ' أنى مت جوعاً ، فطحنا الدر ، لعدم البر ، فلم يغن عنا شيئاً ، فانا

شداد بن عاد ، ركبت فى ألف ألف من الأجناد ، و ملكت سائر البلاد ،

و بنيت مدينة ارم ذات العماد ، التى ما بنى مثلها فى البلاد ، فلما أتانى

الموت لم يغن عنى ذلك شيئاً ، و ها أنا فى قبرى أشقى بما ألقى . قال بعضهم

١٠ فى المعنى ٧ :

أين الملوك التى عن خطبها غفلت ، حتى سقاها بكأس^٨ الموت ساقياها

(١) ساقطة من بن .

(٢ - ٢) البيت ساقط من بر و وارد فى بن .

(٣) فى بر : وقفت . و صحتها فى بن كما أوردنا بالنص .

(٤) زيد قبلها فى بر : وكم شربت وهى زائدة و صحة البيت فى بن كما

أوردنا بالنص .

(٥) بمعنى « سئل » .

(٦ - ٦) فى بن : اننا جعنا .

(٧ - ٧) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٨) فى بن : كأس .

نلهو و نأمل آمالا تُعد لنا شريعة الموت تطوينا^١ و نطويها^٢ و سيأتى ما قاله فى المراثية من قتل دارا ملك فارس و من قتله ، و قد تقدم ذكر ساسان ملك فارس فأغنى عن إعادته . و سيأتى ذكر ملك اليونان^٣ و طسم و جديس^٤ و جرهم و هم العرب العاربة . و تقدم أيضا ذكر سبأ فأغنى الإعادة ، و سيأتى ذكر كليب و مهلهل و آل ذبيان و عبس^٥ فى مواضع ذكرهم إن شاء الله تعالى ٣ .

قال بعض الصالحين : رأيت راهبا فقلت له : يا راهب كيف اخترتم لباس السواد ، و تركتم لباس البياض ؟ فقال : لأن السواد لباس أهل المصائب . قلت : و أى مصيبة^٦ عندكم ؟ قال^٧ : و أى مصيبة أعظم من ارتكاب المعاصى و الذنوب على أهلها ! فقلت^٨ : ألكم عيد ؟ قال : نعم^٩ كل يوم^{١٠} لا يعصى الله فيه فهو عيد ، و كل يوم نصبح

(١) فى الأصلين : سريعة .

(٢) فى بر : تطرينا . وفى بن : يطوينا .

(٣-٣) هذه العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٤) وردت الكلمة فى الأصل بعد «اليونان» ، فصحيحنا موضعها لإستقامة الجملة .

(٥-٥) فى الأصل : طسما و جديسا .

(٦) فى الأصل : عبسا .

(٧) فى بن : مصائب .

(٨) فى بن : قالوا .

(٩) فى بن : قلت .

(١٠-١٠) ساقطة من بن .

فيه ١ نقول ما نسي فيه ٢ ، و كل ليل ٣ نسي فيه ٢ نقول ما نسي فيه ١ ،
بل نرقب الموت ، فهذه الدنيا ليس لأحد فيها بقاء ، و عاقبة أمرها للفناء .
و جاء في الأثر أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد أبي هريرة
و أتى إلى مزبلة فيها رأس و خرق بالية و عذرات و عظام نخرة ، فقال :
يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا بأجمعها ، هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم ،
و تأمل كأملكم ، ثم هي اليوم عظام نخرة ، و هذه العذرات ألوان
أطعمتهم^١ التي اكتسبوها من حيث اكتسبوها ، ثم قذفوها من بطونهم ،
و هذه الخرق البالية كانت لباسهم و رياشهم ، و العظام عظام^٢ دوابهم ،
كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد ، فصارت كما ترى فمن كان باكياً
١٠ على الدنيا فليبك ! قال بعضهم :

نح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح
لتموتن ولو عمّرت ما عمر نوح
بين عيني كل حى علم الموت يـلوح
فالسعيد من تهيأ و عمل^٣ للآخرة ، و اشتغل بذكر الموت عن هو الدنيا

(١) ساقطة من بر و واردة في بن . (٢) ساقطة من بن .

(٣) كذا في بن ، والكلمة في بر : يوم . (٤) في بن : فيه .

(٥) في بن : نرقب . (٦) في بن : لها .

(٧) في بن : أتى . (٨) في بن : أطعمتمكم .

(٩) ساقطة من بر و واردة في بن .

(١٠) ساقطة من بن [١٩٠ : ب] .

المديرة . قال النبي صلى الله عليه وسلم : أكثروا من ذكر هادم اللذات ، فانكم إن ذكرتموه في ضيق وسعه عليكم ، وإن ذكرتموه في غنى بقضه لكم . وقال شقيق البلخي : من أكثر ذكر القبر وجدده روضة من رياض الجنة ، ومن غفل عن ذكره وجدده حفرة من حفر النار .
 و اعلم أن الموت لا يهجم [٢٤٧ : ب] في وقت مخصوص دون وقت ، ه فيعلم ذلك فيرتقب ، لكنه يهجم بصولته ، و يأتي المرء على طمانينته و غرته ، لا يأتي في صيف دون شتاء ، فيؤمن في الشتاء ، و لا شتاء دون صيف ، فيؤمن في الصيف ، و لا في هرم فيؤمن في الشيبة ، فالاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا التي لا تفوت ، و مثل لنفسك قرب الموت و فجأته و شدائده و سكرته ، و لا تكن كالحمقاء الذين يفرحون كل يوم بزيادة ١٠ أموالهم مع نقص أعمارهم ، كما قال بعضهم :
 يبشرني الهلال بنقص عمري و أفرح كل ما هلّ الهلال
 و أفرح كل ما يزداد مالي و لا أخشى النوائب والزوال^٦

(١) زيد في بن : انتهى .

(٢) زيد في بن : له .

(٣) في بن : شتاء دون صيف .

(٤) في بن : وسكره .

(٥-٥) في بن : كقول .

(٦) في بر : والزوال .

واعلم يا هذا أن العاقل لا يفرح^١ إلا بزيادة علم أو عمل^٢ 'صالح عمله'
فانهما رفيقاه يصحبانه^٣ حين^٤ يتخلف عنه أهله وماله وولده . واعلم
أنك إن نظرت في المال ، فالمال غاد ورائح ولا أصل له ، ففي اليهود
والنصارى من هو أكثر مالا منك ، وإن طلبت العلو ونفاذ الكلمة
هـ . والأمر ، ففي إجلاف^٥ الأتراك وحقاقة الأكراد من استولى عليك
وجاهه أعظم من جاهك ، وإن تمتعت في الأكل فالحمار أكثر أكلا
منك ، وإن تمتعت^٦ بالوقاع^٧ فالخنزير أكثر وقاعا منك ، وإن طلبت
القناعة فهذه رتبة لا يساهمك فيها إلا الأنبياء والأولياء ، فانظر لنفسك
أن تقتدى بمن لا دين له ولا عقل ، أو بمن هو أعز عند الله تعالى .
١٠ . الله در القائل حيث يقول^٨ :

ولو كانت الدنيا ثوابا لمحسن ، إذا لم يكن فيها معاش لظالم
فقد جاع فيها الأنبياء كرامة وقد شبع فيها بطون البهائم

(١) زيد في بن : أبدا .

(٢ - ٢) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٣) في بن : يصحبناه .

(٤) في بن : حيث .

(٥) في بن : اخلاف .

(٦) في بن : تمتعت .

(٧) كذا في بن ، وهي في بر : في الوقاع .

(٨ - ٨) في بن : قال بعضهم .

و لبعضهم :

فضول العيش أكثرها هموم وأكثر ما يضرك ما تحب
فلا يغرك زخرف ما تراه وعيش لئيم الأعطاف رطب
إذا ما بلغته جاءتك عفوا نخذها فالغنى مرعى وشرب
إذا اتفق القليل وفيه سلم فلا ترد الكثير وفيه حرب ٥
وقال ابن الفارض :

يظن الفتى لذات دنياه نعمة وما هي إلا نعمة في الحقيقة
٢ إذا رأيت سعة الدنيا عند أهل المعاصي فاعلم أنها حظهم والآخرة
عند ربك للمتقين ٢ !

عن الضحاك ٣ بن سفيان الكلابي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [٢٤٨ : الف] يا ضحاك ما طعامك ؟ قلت : اللحم والبن .
قال : ثم يصير إلى ما ذا ؟ قلت : إلى ما قد علمت يا رسول الله . قال :
فإن الله جعل ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا . قال بعضهم في
الدنيا وطلبها :

يا خاطب الدنيا دنا فراقها زواجها أقرب أم طلاقها ١٥

(١) في بن : اتفق .

(٢-٢) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٣) بهامش بر : نكتة .

(٤) في بن : سفين .

(٥) زيد في بن : تعالى .

(٦) في بن : من .

وكل من يطلبها قرينه يا ويحه قد ينه صداقها

وقال بعضهم: لو قيل للدنيا صفي نفسك ما تعدت هذا البيت:

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض على الماء خاتته فزوج الأصابع

قال بعضهم: الدنيا مغارة لا تصلح للتوطن. إن اليسر إذا... حمل

٥ إلى دار الإقامة. الدنيا كامرأة فاجرة لا تلبث مع زوج ولذلك عيب

طلاقها، فكلما تزوجت الدنيا بزواج طلقها الموت، فالدنيا من الموت

طالق من ينقض عدتها. شعر:

ميّزت بين جمالها وفعالها فاذا الملاحه بالخيانة لم تف

حلفت لنا أن لا تخون عهودها فكانها حلفت (لنا) ألا تفي

١٠ الدنيا قنطرة على نهر الهلاك، نخذ بالحزم في تعلم السباحة قبل الجواز

فتأمن عثور قدم ولا عاصف قاصف آمن ما يكون منها فانتظر حزنها

أسر ما يكون بها. صاح على بن أبي طالب بالدنيا: طلقك لا رجعة لي

فيك. وقد كانت تكفي طليقة واحدة، ولكنه أكد طلاقها لئلا يتصور

الهوى جواز المراجعة وطبعه الكريم بأنف من المحل ٢.

١٥ دخل الامام فخر الدين الرازي ٣ المتقدم ذكر ترجمته ٢ على الملك صاحب

(١) ساقطة من بن.

(٢-٢) هذا الجزء ساقط من بر و وارد في بن، أدرجناه بالنص رغم ما في

بعض عباراته من غموض. ثم أضفنا كلمة «لنا» في الشطر الثاني من البيت

الثاني لإحكام ميزانه [بن ١٩٠: ب - ١٩١: الف].

(٣-٣) ساقطة من بن [١٩١: الف].

خوارزم ، فسأله الملك أن يعظه ، فوعظه^١ بوعظ^٢ قال في خلاله :
يا سلطان لا سلطانك يبقى ولا تلبس الرازي وإن مرّنا إلى الله .

عن عبد الله بن مسعود^٣ رضى الله عنه^٤ عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : إن بنى إسرائيل استخلفوا خليفة عليهم بعد موسى عليه السلام ،
فقام^٥ ليلة يصلى فى القمر فوق بيت المقدس ، فذكر أمورا كان ضيعها ،
فخرج فتدلى بسيف^٥ ، فأصبح السيف^٦ معلقا وقد ذهب ، قال فانطلق
حتى أتى قوما على شط البحر ، فوجدهم يضربون لبنا أو يصنعون لبنا ،
فسألهم كيف يأخذون على هذا اللبن ، قال فأخبروه فلبن معهم ، يعنى
صنع معهم الطوب ، فكان يأكل من عمل يديه^٧ فاذا كان حين الصلاة قام
يصلى ، فرفع ذلك العمال إلى دهقانهم ان فينا رجلا يصنع كذا وكذا ،
فأرسل إليه فأبى أن يرائيه^٨ ثلاث مرات ، ثم إنه^٩ جاءه^٩ يسير على

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) فى بن : بوعظة .

(٣-٣) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٤) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : فقال .

(٥) فى بن : بسيف . مطموسة جزئيا .

(٦) فى بن : السبب .

(٧) فى بن : يده .

(٨) فى بن : ياتبه .

(٩) مطموسة جزئيا فى بن .

دأبته ، ايعنى الدهقان^١ ، فلما رآه فر منه ، فاتبعه الدهقان فسبقه ، فقال :
أنظر أكلمك . قال فقام حتى كلمه ، فأخبره خبره ، وأنه كان ملكا ، وأنه فر
من رهبة ربه . قال الدهقان : إني لأظنى^٢ لاحقا بك . قال فاتبعه فعبدا الله
حتى ماتا^٣ برميلة مصر . قال عبد الله بن مسعود : لو انى كنت ثم لا تهديت
ه إلى قبريهما ، من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى وصف لنا^٤ .
خرجه البزار .

وقال أمير المؤمنين هشام^٥ بن عبد الملك : أكلت الحلو و الحامض
حتى ما أجد لها طعاما^٦ ، و شممت الطيب حتى ما أجد لها ريحا^٧ ، و أتيت
النساء حتى ما أبالى أحائطا أتيت أم امرأة . فقليل له : ما بقى من لذتك
١٠ و سرورك^٨ ؟ فقال : محادثة الإخوان على التلال العفر فى الليالى القمر ،
ولما دخل محمد بن واسع سيد العباد [٢٤٨ : ب] فى زمانه على بلال بن أبى
بردة أمير البصرة ، وكان ثوبه إلى نصف ساقه . قال له بلال : ما هذه
الشهرة يا ابن واسع . قال له : أنتم شهرتمونا ، هكذا كان لباس من

(١ - ١) العبارة ساقطة من بن .

(٢) فى الأصلين : لأظنى .

(٣) مطموسة فى بن .

(٤) الخليفة الأموى و خلافته ١٠٦ - ١٢٦ هـ = ٧٢٤ - ٧٤٣ م .

(٥) فى بن : طعاما .

(٦) فى بن : بنخياشيمى رائحة .

(٧) فى بن : و سورك .

مضى ، فانما أتم 'طولتم ذبولکم' ، فصارت السنة بينکم^۱ بدعا وشهرة .
 وقال الشيخ أبو بكر الطرطوشي^۲ رحمه الله^۳ : لما دخلت على سلطان
 مصر ، و هو الأفضل ابن أمير الجيوش ، فقلت : السلام عليك^۴ ورحمة الله
 وبركاته ، فرد السلام على نحو ما سلمت ردا جميلا ، وأكرم إكراما جزيلا ،
 فأمرني بدخول مجلسه ، وأمرني بالجلوس . فقلت : أيها الملك إن الله^۵
 سبحانه و تعالى قد أحلك محلا عاليا شامخا ، وأنزلك منزلا شريفا باذخا ،
 وملكك طائفة من ملكه ، وأشركك في حكمه ، ولم يرض أن يكون
 أحد فوق أمرك ، فلا ترضى أن يكون أحد أولى بالشكر منك ، وليس
 الشكر باللسان ، ولكنه بالفعل والإحسان ، قال الله تعالى : "اعملوا
 آل داود شكرا"^۶ . واعلم أن هذا الذي أصبحت فيه من الملك إنما^۷
 صار إليك بموت من كان قبلك ، وهو خارج عن^۸ يدك ، بمثل ما صار
 إليك ، فاتق الله سبحانه و تعالى فيما خولك من هذه الأمة ، فإن الله

(۱-۱) فی بر : طولکم ذیرکم . و صحتها فی بن کما آوردنا بالنص .

(۲) فی بن : فیکم .

(۳-۳) فی بن : رحمة الله عليه .

(۴) فی بن : علیکم .

(۵) فی بن : بأن .

(۶) قرآن کریم ۳۴ : ۱۳ .

(۷) فی بن : من .

يسألك' عن 'الفتيل و النقيير' و القطمير . قال الله تعالى : " فوريك
لنستلنهم أجمعين ه عما كانوا يعلمون ه٣ " . و قال : " و ان كان مثقال حبة من
خردل اتينا بها و كفى بنا حسيين ه " . و اعلم أيها الملك أن الله سبحانه
و تعالى قد آتى الدنيا بحذاقيرها سليمان بن داود ، فسخر له الإنس و الجن
و الشياطين و الطير و الوحش و البهائم ، و سخر له الريح تجري بأمره
رخاء حيث أصاب ، ثم رفع عنه حساب ذلك أجمع . فقال له هذا
عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب ، فوالله ما عددها^١ نعمة كما عدتموها ،
و لا حسبها كرامة كما حسبتموها ، بل خاف أن يكون استدراجا من الله
تعالى و مكرا ، فقال هذا من فضل^٢ ربى ليلى^٣ أشكر أم أكفر ، فن
شكر البارى و جب عليه شكر ثان إذ وفقه لشكره و هذا شكر الشكر^٤ فافتح الباب ،
و سهل الحجاب ، و انصر المظلوم ، أعانك الله على نصر المظلوم ، و جعلك له^٥

(١) فى بر : يسئلك .

(٢ - ٢) فى بن : النقيير و الفتيل .

(٣) قرآن كريم ١٥ : ٩٢ - ٩٣ .

(٤) قرآن كريم ٢١ : ٤٧ .

(٥) فى بن : سليمان .

(٦) فى بن : عدها .

(٧) مطموسة فى بن مع بعض ما سبقها و تبعها من الكلمات .

(٨ - ٨) العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٩) فى بن [١٩١ : ب] : كهفا .

للهوف ، و أمانا للخائف - انتهى .

نعود إلى ما قيل في الموت 'إن شاء الله تعالى' . اعلم أن الموت معلوم فينا بالضرورة ، فإن قيل لم صار الإنسان يموت ، قيل لأن الموت عند بعضهم إنما هو الحكم الطبيعي ، وهو فساد الحار الغريزي ، أو تبديل الروح واستيلاء حكم البرودة واليبوسة على طبيعة الروح ، وهي الحرارة ٥ والرطوبة وسوء مزاج يلحق القلب [٢٤٩ : الف] أو هيئة مخرجة المزاج عن حده الطبيعي ، ٣ أو فساد ٣ المركب بالجملة ، أو تحليل الرطوبة الماسكة ونمو ضدها ، و انحلال الأعضاء الرئيسية ، مثل ما ٥ يقطع حجاب القلب ، أو يضر بجوهر الدماغ ، أو قطع النخاع . و جملة الأمر عند طائفة من الحكماء أن الموت طبيعة خامسة مضادة للحياة ، من شأنها أن تخرج ١٠ المزاج الذي به كانت الحياة إلى حد لا يمكن به التحرك ولا التنفس ولا الغذاء ، ويحمل معه الأرواح الثلاثة ، و يفسد بجواهرها ، و ذلك الفساد القوى حتى لا يشبه الحال الأول ولا يناسبه لوجه ٦ .

[الجسم والنفس والروح والعقل]

واعلم أنه لا موت للنفس ، وإنما الموت للجسم ، فتي رأينا الميت ١٥

(١-١) العبارة ساقطة من بن .

(٢) في بن : كيف .

(٣-٣) في بن : و فساد .

(٤) في الأصل : الرئيسة .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) في بن : بوجه .

قلنا فيه : هذا تركته النفس ولم تستعمل شخصه ، وذلك لأجل فساد الهيكل لا لفساد النفس ، فان النفس تكون تتخلص و تصعد إذا علمت ، و تنحط^١ و تنتكس إذا جهلت . و أيضا أن الإنسان مركب من نوعين فاسد و غير فاسد ، فبعض الإنسان يفسد ، و بعضه لا يفسد ، و بعضه الفاسد هو جسمه ، و بعضه الذى لا يفسد هو روحه ، ^٢فجسم الإنسان يفسد و روحه لا تفسد^٣ . قال ابن سينا فى النفس :

هبطت إليك من المحل الأرفع و رقاء ذات تحجب^٤ و تمنع محجوبة عن كل مقلة ناظر و هى التى سمرت^٥ ولم تتبرقع وصلت على كره إليك و ربما كرهت فراقك و هى ذات تفجع^٦ أنفت و ما وصلت فلما واصلت ألفت مجاورة الخراب^٧ البلقع^٨ و هى طويلة^٩ . و النفس تطلق^{١٠} على الذكر و الأنثى . قال أبو عمرو بن الحاجب المالكي^{١١} فى مختصره فى الفروغ^{١٢} : شرط المرضعة أن تكون

(١) مطموسة فى بن .

(٢ - ٢) العبارة ساقطة من بن .

(٣) فى بن : تعزر .

(٤) مطموسة جزئيا فى بن .

(٥) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : الغراب .

(٦ - ٦) فى بن : تنطلق .

(٧) مطموسة فى بن .

(٨ - ٨) ساقطة من بر و واردة فى بن .

آدمية أثى . قال ابن عبد السلام في شرحه 'المختصر المذكور' : فان قيل هلا استغنى ابن الحاجب عن قوله أثى بقوله آدمية فان من المعلوم قطعاً أن الآدمية أثى ؟ قلت : لا نسلم أنه معلوم لاحتمال أن يريد نفساً آدمية ، و النفس تطلق ٢ على الذكر و الأثى ٣ - انتهى .

نعود ٤ - و لا خلاف بين العلماء أجمع على بقاء النفس الناطقة بعد الموت ، و الأنبياء و الفلاسفة يقولون بذلك ، و هو مشهور في الكتب المنزلة و الدواوين الفلسفية ، و القرآن نطق بذلك و التوراة ٥ و الإنجيل و الزبور و الصحف . قال الله تعالى : "لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد" ٦ . و قال النبي عليه السلام : الناس نيام ، فاذا ماتوا انتبهوا . ٧ و قال بعض الصالحين : ١٠

/ ما ذا يشاهد ذو العينين من عجب عند الخروج من الدنيا إلى الله ٨
٢٤٩ : ٨ و قال بعضهم .

وما الموت الا رحلة غير أنه من المنزل الفانى إلى المنزل الباقي

(١ - ١) العبارة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٢) في بن : تنطلق .

(٣) بهامش بر : « هذا الجواب فيه شيء ، لأن الرضاع لا يكون إلا من الإناث فلا يتوهم دخول الذكور ، ولو قيل ذكر ذلك لزيادة إيضاح لكان أحسن » .

(٤) الكلمة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٥ - ٥) في بن : التورية .

(٦) قرآن كريم ٥٠ : ٢٢ .

(٧ - ٧) ورد البيت في بن قبل الحديث الذي سبقه .

(٨) العبارة من هنا إلى قوله « ويموت ايحيى » سقطت من بر و وردت في بن .

فينبغي للحكيم أن يهتم بالحياة و يفرح بالموت لأنه يحيي ليموت و يموت ليحيي . و في الإنجيل : النفس الصالحة تعرفني و أنا الحق ، و غير الصالحة لا تعرفني و هي من الشيطان ، و الشيطان في غضبي . و في التوراة : يا موسى تقرب إلى بالذي لا يفنى فاني خلقتة للخلود ، فان آمن و عمل صالحا رضيت عنه ، و إن كفر و عصاني سخطت عليه . و في الزبور : يا داود أصلح نفسك تصعد للسعد الخالد ، و لا تحمل أمرها تنزل للذل الأكبر .
قال ابن الفارض :

هي النفس إن تآقت هواها تضاعفت قواها و أعطت فعلها كل ذرة
قال أبو الحسن الشاذلي ٣ : مراكز النفس أربعة : مركز في الشهوة للطاعات
١٠ و مركز في الميل إلى الراحة ، و مركز العجز عن أداء المفروضات
و مركز الميل للمعاصي و الخطيئات . فاقبلوا المشركين كافة ، و خذوهم
و احصروهم و اقعدوا لهم كل مرصد ، و إن من أعظم القربات عند الله
مفارقة النفس بقطع إرادتها ، و طلب الخلاص منها بكل ما تهوى لما يرجي
من حياتها ، و إن من أشق الناس من يجب أن يعامله الناس بكل

(١) انتهى ما سقط من بر .

(٢) في بن : التورية .

(٣ - ٣) بهامش بر : مراكز النفس أربعة .

(٤) في بن : في اطاعات .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) مطموسة في بن .

(٧) الكلمة ساقطة من بر و واردة في بن [١٩٢ : الف] .

(٨) في بن : أشقا .

(٩) كذا في بن ، و الكلمة في بر : ان .

ما يريد . فطالب نفسك باكرامك لهم و لا تطالبهم باكرامهم لك ، لا تكلف
 إلا نفسك ، و إن أردت جهاد النفس فاحكم عليها بالعلم في كل حركة ،
 و اضربها بالخوف عند كل خطرة ١ ، و اسجنها في قبضة الله أين ما كنت ،
 و اشكُ عجزك إلى الله كلما غفلت ، فهي التي لم تقدرُوا عليها ، قد أحاط الله بها
 فأن سخرت لك في قضية ما فجدير بأن تذكرُوا نعمة ربكم ، ” و تقولوا ٥
 سبحن الذي سخر لنا هذا و ما كنا له مقرنين ٢ “ - انتهى ٣ .

نعود ٤ - و في الصحف : نفس المؤمن في رحمتي ، و رحمتي دائمة ،
 و نفس الكافر في عذابي ، و عذابي لا انقطاع له . و قال ابن الفارض :
 و لو كان لا يحزى مسيء بفعله و لا محسن ضاقت أمور البرية
 و ما كان في الأحياء والموت حكمة و كان محالا حكم كل شريعة ١٠
 و مستبعد إحيائنا و مماتنا سداً لا لمعنى فيه سر مشيئتي
 أيحسن أن تبنى قصور مشيدة بأحسن أوضاع و أجمل زينة
 و تهدم عمدا لا لمعنى و إنه ليقبح هذا في العقول السليمة
 و ذلك شيء فعله عبث و ما يدبر هذا الكون بالعبثية

(١) في بن : خطوة .

(٢) قرآن كريم ٤٣ : ١٣ .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) هذا القسم بما فيه من تائية ابن الفارض ساقط من بن . و يبدأ السقط من
 هنا ثم يستأنف الكلام في كل من بن و بر على السواء . بعبارة ” و قالت الحكماء
 الجسد كثيف و لطيفه - الخ “ .

فلم يبق إلا أن يدبر حكمه حكيم محيط العلم عدل الحكومة
[٢٥٠ : الف] و قال أيضا يلوم النفس على قبيح فعلها :

أيا نفس ما هذا التغافل و الجفا إلى ما التمادى فى غرور و غفلة
ألم يأن أن تستقبحى ما عملته قبيحا و أن تستقرعى باب منة
أغرك قوم جاهلون تلبسوا بدار غرور و هى منهم تعرت

و إن أعلقوا فيها كؤف مؤمل تنامت كفعل الباخل المتعنت

ترأت لهم خضراء حلوا مذاقها مبهرجة تبدو بحسن و بهجة

تبلغ آمالا و تعطى مآربا و تجمع إخوانا و تدنو بمنية

و تعقب ذى الأوصاف كلا بضده و تأتى يبعد بعد قرب و وصلة

متى وهبت برت و إن أقبلت نأت وإن أفرحت جاءت بحزن و رحة

فليت كفافا حزنها و سرورها و ياليت ما منّت به عنك منت

لقد نصحت ذا العقل لما تكدرت وبالرونق المسلوب ذا الجهل غرت

و قد فضحت لولا الغباورة و العمى و لاحت مساو بالغرور تغطت

فكم أبعدت إلغا و كم كدرت صفا و كم جددت من نرحة بعد فرحة

كذا وضعت كيما تفر إلى العلا فتكديرها من سر لطف و حكمة

فلو جُعلت صفوا شُغلت بحبها و لم يك فرقا بين دنيا و جنة

فما هى لا تصفو و أنت معانق لها بوداد فعل جهل و شقوة

كذا فعلت بالاولين فأصبحوا رهان حدوث و هى عنهم تخلت

إلى كم خداع أيها النفس قد كفى
أزحزحها نحو العلا فتردني
وأطلب منها جاهدا ضد طبعها
تقضى زمانى و الأمانى بعيدة
وقد ذهبت باكورة العلم فى الهوى
وسئل الشيخ أبو العباس المرسى عن الروح و النفس ، فأشدد
يقول :

إن كنت سائلنا عن خالص المن
و عن تشبثها بالحظ قد ألفت
و عن بواعثها بالطبع مائلة
و عن تنزّلها فى حكمها و لها
و عن حقيقتها فى أصل معدنها
فاسمع هديت علوما عز سالكها
قصدا إلى الحق لا تخفى شواهدا
يا سائل عن علوم ليس يدركها
لكن بنور على جامع خمدت
خذها إليك بحق لست أجهله
عن الحقيقة خذ علم الأمور و لا
تطور النفس سر لا يحيط به
لكنها برزت بالحكم قائمة
و كى يقال عبيد قائمون بما
و عن تتألف ذات النفس بالبدن
أدراها فعدت تشكو من العطن
تهوى بشهوتها فى ظلمة الدجن ١٠
علم يفرقها فى القبح و الحسن
لا ينثنى وصفها منها إلى وثنى [٢٥٠:
عن العيان و لا يغرك ذو لكن
قامت حقائقها بالأصل و الفن
ذو فكرة بفهوم لا و لا فطن ١٥
له العقول و كل الخلق فى وسن
والأمر مطلع و الحد قيدنى
يحجبك صورتها فى عالم الوطن
عقل تقيد بالأوهام و الدرن
حتى تألفها السكان بالسكن ٢٠
ألقى من الأمر قبل الخلق و المحن

والنفس بين نزول في عوالمها كآدم وله حواء في قرآن
والروح بين ترقّ في معارجها وهي المواقف للتعريف والمن
مثالها في العلا مرآة معدنها أظافها خفيت كالسر في العن
زيتونة زيتها نور لشاربها مدت هدايتها في الكون والكين
ه والكل أنت بمعنى لا خفاء به والنور يحجبه كالماء في اللبن
والعبد محتجب في عز مالكة دقت معارفه في الدهر والزمن
وقال أيضا: الروح متوسط بين السر والقلب، والنفس متوسطة بين
العقل والجسد، فالسر غيب الروح والقلب شهادته، والعقل غيب
النفس والجسد شهادتها، فاذا مال الروح إلى السر خفي وإلى القلب
١٠ ظهر، وإذا مالت النفس إلى العقل خفيت وإلى الجسد ظهرت -
انتهى .

واعلم أن الله تعالى خلق العالم من نوعين، شخص وروح .
وجعل الجسد منزلا للروح لتأخذ زادا لآخرتها من هذا العالم، وجعل
لكل روح مدة مقدرة تكون في الجسد، وآخر تلك المدة هي أجل
١٥ تلك الروح من غير زيادة ولا نقصان . فاذا جاء الأجل فرق بين
الروح والجسد . وقالت الحكماء الجسد كثيف ولطيفة روحه
(١) من هنا يستأنف الحديث في بن أيضا وكلمة « قالت » وردت هناك
بسقوط الواو - وقبل ذلك أورد فاسخ بن ما يلي وهو غير وارد في بر: قال
الأصمعي حدثنا أبو رجاء عن التيمي قال: النفس معلقة بالروح مثل صنارة
المغزل، فترسل الروح فتذهب هاهنا وهاهنا، ثم تطوى فتجىء فتدخل فيها . =
و بالروح

و بالروح يخف ، و الجسد يتكون من امتزاج الروح و النفس ، و هما يتكونان من العناصر العلوية ، ^١ و تتكون العناصر العلوية من ^٢ الطبائع الأربعة و هي النار و الهواء ^٣ و الماء و التراب . فللنار الحرارة ، و للهواء ^٤ [٢٥١ : الف] الرطوبة ، و للماء البرودة ^٥ ، و للتراب اليبس ، و الطبائع من كلمة الخالق تعالى التي هي علة العلل و هي الأصل . هـ و ذلك قوله عز و جل : ” انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون . ” . فالعلة هو الذي كان السبب ^٦ لشيء آخر ^٧ ، و المعلول هو الذي لوجوده سبب ^٨ من الأسباب ، و العلم صورة المعلوم في نفس

= قال ابن الجوزي : يا بلابل الى متى في قفص ... (هنا كلمة مطموسة) ... الحسن ، اكسروا قفص الطبع ، و اسرحوا في مسارح القدمين ، فالركون الى وكر النفس يمنع طيب العيش (الكلمة مطموسة جزئيا) لما قطع القوم ظلمات الهوى وقفوا على عين حياة القلوب ، فشربوا ماء المعاني فكل منهم حضر . (الكلمة مطموسة جزئيا - و بالعبرة غموض على كل حال) .

(١-١) ساقطة من بن و آخرها مطموس .

(٢) في بر : الهوى . و الكلمة في بن : الهواء .

(٣) في بر : للهوى . و في بن : هوا .

(٤-٤) في بن : و الماء للبرودة .

(٥) قرآن كريم ٣٦ : ٨٢ .

(٦-٦) في بن : للشيء الآخر .

(٧) كذا في بن ، و الكلمة في بر : سببا .

العالم ، و باری البرایا هو علة كل شيء و سبب كل موجود في العوالم بأسرها . و العوالم ' جمع عالم ٢ ، و العالم في اللغة كناية عن كل موجود فيه علامة يمتاز بها عن غيره من أنواع المخلوقات حتى يقال : عالم السماء و عالم الأرض و عالم البحر و عالم الحيوان . فجمع الله المفقرق ٣ في استعمال العرب بقوله تعالى : " الحمد لله رب العالمين " " أى خالق كل من تسمونه عالما . و الحمد من الألفاظ المشتركة لأنه يطلق * و يراد به الثناء على المحمود على ما أولاك من نعمه ، يقال له ٦ حمدت الرجل على دينه ، و حمدته على ما أعطاني . و الشكر الثناء على النعمة فقط ، و الحمد الثناء على الكمال و النعمة ، فتقول على هذا كل شكر حمد ، ١٠ و لا تقول كل حمد شكر ، لأن الحمد أعم ، و الشكر أخص ، و الأعم يحمل على الأخص إذ يكون صادقا ، و لا يحمل الأخص على الأعم إذ ٧ يكون كاذبا ٨ ، فقايسة ٩ الحمد إلى الشكر كمقايسة ٩ الحيوان إلى

(١) في الأصلين : و العالم .

(٢) في بن : عوالم .

(٣) في بن : المتفق .

(٤) قرآن كريم ١ : ١ .

(٥) في بن : يذكر .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧ - ٧) مطموسة في بن .

(٨) في بن : فتناسبة .

(٩) في بن : كمناسبة .

الإنسان فكما تقول كل إنسان حيوان ، و لا تقول ١ كل حيوان إنسان ،
فكذلك تقول ٢ كل شكر حمد ، و لا تقول كل حمد شكر ٣ و كما
[لا ٤] تقول كل حيوان إنسان ، فلا تقول كل حمد شكر ٣ لكذبه
فالشكر يراد به الحمد في أحد نوعيه و لا يراد به عموما - انتهى .

(١) في بن : تقل .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٤) ساقطة من بر و لزومها واضح من السياق .

(٥) زيد هنا في بن [١٩٢ : الف - ب] : نعود ، واعلم أن النفس لها حالتان
لا ثالث لهما - حالة عافية وحالة بلاء . فإذا كانت في بلاء الجزع و الشكوى
و السخط و الأعراض و التهمة للحق عز وجل ، لا صبر و لا رضى و لا موافقة ،
بل سوء الأدب و الشرك بالخلق و الأسباب و الكفر ، وإذا كانت النفس في
عافية فالشر و البط (ر و اتبع) مع الشهوات و اللذات ، كل ما نالت شهوة طلبت
أخرى ، و اشتذرت بما عندها من النعم من ما كول [١٩٢ : ب] و مشروب
و منكوح و مسكون و مركوب ، فيخرج لكل واحدة من هذه النعم عيوبها
(كذا) و نقصا ، و تطلب أعلا منها و أشنى مما لم يقسم لها ، و تعرض عما قسم لها
فتوقع الإنسان في تعب طويل لا غاية له و لا منتهى في الدنيا ثم العقبى ، و لهذا
قليل لمن أشد العقوبات طلب ما لم يقسم ، و إذا كانت في بلاء لا يتمنى سوى
انكشافه و تنسى كل نعيم و شهوة و لذة لا تطلب شيئا منها ، فإذا عوفيت منه
رجعت إلى رعونتها و شرها (في الأصل : و اشرها) و بطرها و إغراضها عن طاعة ربها
عز وجل و لإنها كها في معاصيه و تنسى ما كانت فيه من البلاء و ما حل بها من
الويل . فتزد إلى شر ما كانت فيه من البلاء و الضر عقوبة لها لما قد اجترمت =

١ نعود - تقول العرب إذا كرهت الشيء تشبهه بالموت ، وإذا وصفوا الشيء فكرهوه إلى الموصوف ما هو إلا الموت . قال الشاعر :

فانى أنا الموت الذى هو واقع بنفسك فانظر كيف أنت مزاوله

قال ثعلب : سألت ابن الأعرابي عن قوله « الحمو الموت » . قال : هذه كلمة تقولها العرب مثلاً كما تقول « الأسد الموت » أى لقاءه الموت .

و كما تقول « العدو الأزرق » أى هو مثل الزرقعة التى هى كالحداد على مصيبة الميت ، أى و كما تقول « السلطان ناراً » أى مثل النار ، والمعنى احذروه كما تحذروا الموت . قوله تعالى : ” و ياتيه الموت من كل مكان ” وما هو بميت “ أى مثل الموت فى الشدة و الكراهة ،

١٠ ولو أراد نفس الموت لكان قد مات . قال عمير بن فهير : [٢٥١ : ب]

ولقد وجدت الموت قبل ذوقه لمن الجبان حتفه من فوقه

= و ركبت من العظام منها (الكلمة مطموسة) و كفا عن المعاصى فى المستقبل إذ لا يصلح لها العافية و النعمة بل حفظها فى البلاء و البؤس ، فلو أحسنت الأدب عند انكشاف البلاء و لازمت الطاعة و الشكر و الرضا بالمقسوم لكان خيراً لها دنيا و أخرى و كانت تجد زيادة فى النعيم و العافية . - و اعلم أن النفس جوهر بسيط - الخ .

(١) من هنا إلى قوله « و العقل و الأعضاء » بأكمله ساقط من بن ، و حل محله ما أوردها فى الحاشية السابقة من الزيادة بها ، و بعض عبارات المؤلف فيها تكاد تكون غير واضحة و لكننا أوردناها على ما هى عليه فى الأصل ، و منطوقها العام مفهوم .

(٢) قرآن كريم ١٤ : ١٧ .

و في حديث ابن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إياكم
و الدخول على النساء . فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله أرأيت
الحمو . قال : الحمو الموت ، معناه النهى أن يدخل على المغيبة صهر و لا
غيره خوفا من الظنون و نزغات الشيطان ، لأن الحمو قد يكون من
غير ذى المحارم . قال الطبرنى : الحمو عند العرب من كان من قبل
الزوج عَمًّا كان أو خالا أو أبا ، فهم الأحماء ، فأما أم الزوجة فكان
الأصمعى يقول هى حماة الرجل - انتهى .

فلنرجع إلى ذكر ما قيل فى النفس و العقل و الأعضاء ^١ . اعلم ^٢ أن
النفس جوهر بسيط روحانية بالذات علامة بالقول ^٣ ، و هى أضعف من العقل ،
و العقل الفعال هو أول ما ابتدعه البارى عز وجل ، و هو جوهر بسيط نورانى ^{١٠}
غير ذى نهاية . و العقل الإنسانى هو ^٤ الذى حصل به التمييز لهذه الصورة .
قال أبو الحسن الشاذلى : إن الله تعالى كما خلق الأرض ^٥ فأرسلها ^٦
بالجبال ، ^٧ فقال عز وجل : و الجبال أرسلها ^٨ ، كذلك لما خلق
النفس فأرسلها ^٩ بجبال العقل . و قال أيضا : العاقل من عقل عن الله

(١) انتهى هنا ما سقط من بن .

(٢) فى بن : و اعلم .

(٣) فى بن : بالقوة . - و جائز أن تكون أصبح من بر .

(٤) « هو » مكررة فى بر .

(٥) فى بن : النفس (مطموسة جزئيا) .

(٦) فى بن : فأرسلها .

(٧-٧) ساقطة من بن .

(٨) قرآن كريم ٧٩ : ٣٢ .

ما أمر به و منه شرعا ، و الذى ' يريد الله ' بالعبد أربعة أشياء ، إما
نعمة أو بلية أو طاعة أو معصية ؛ فإذا كنت بالنعمة فالله تعالى يقتضى
منك الشكر شرعا ، و إذا أراد بك بلية فالله تعالى يقتضى منك الصبر
شرعا ٢ ، و إذا أراد بك الطاعة ' فالله تعالى ' يقتضى منك شهود المنة
و رؤية التوفيق منه شرعا ، و إذا أراد بك معصية فالله تعالى يقتضى منك
التوبة و الإنابة شرعا ، فمن عقل هذه الأربعة عن الله و كان فيها بما
أحبه الله منه شرعا ' فهو عبد على ' الحقيقة بدليل قوله صلى الله عليه
و سلم : من أعطى فشكر ، و ابتلى فصبر ، و ظلم فغفر . و ظلم فاستغفر
. . . ثم سكت . قالوا : ما ذاك يا رسول الله . قال : أولئك لهم
الآمن و هم مهتدون . و قال أيضا : يقول الله عز و جل : ابن آدم ،
خلقت الأشياء كلها من أجلك ، و خلقتك من أجلى ، فلا تشتغل بما
هو ' لك عن من ' أنت له . و قال أيضا : الأكوان كلها عبيد مسخرة ،

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢-٢) مطموسة فى بن .

(٣) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٤-٤) العبارة ساقطة من بن .

(٥) فى بن : أحب .

(٦) فى بن : يرسل .

(٧) فى بن : ما .

و أنت في الحضرة . ١ قال بعض الصالحين :

ولما أتيت الربع و القلب ذاهل بسلى و نار الحب في القلب تشتعل
و قد لاح من بين الخيام جمالها تناهت به العشاق و الستر مسبل
وقفت فناديت الطلول مسائلا و قلبي على نار الآسى يتعلمل
أسائل عن سلى فهل من مخبر يكون له عليها . . . و ينزل
فنادتني ألا كوان و الله ما لنا بهاتيك علم إننا منك أجهل
فو الله ما في الكون من مخبر و لا من لذيالك الحمى يتوصل - انتهى .

[ما قيل في القلب]

نعود إلى ذكر ما قيل في القلب : ذكروا أن القلب هو جسم
محيط بالعالم ، و العالم ١ ما ٣ حواه الفلك . قال النبي صلى الله عليه و سلم : ١٠
لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنَ الْقَدَرِ إِذَا غَلَتِ . و قال عليه السلام :
[٢٥٢ : الف] مثل هذا القلب مثل ريشة بفلاة من الأرض تقلبها
الريح ظهرا لبطن . و قال الشيخ أبو العباس المرسى : قلب ابن آدم
بالنسبة إلى جسده كلية القدر بالنسبة إلى سنتها ، و قلب كل مؤمن ليلة
قدر جسده ، و ليلة قدر كل سنة قلب عامها . قال في ١ ذلك القائل : ١٥
ما ليلة القدر المعظم قدرها إلا إذا عمرت به أوقاتي

(١-١) هذا الجزء ساقط من برو و وارد في بن .

(٢) مطموسة بالأصل .

(٣) في بن : و ما .

(٤) ساقطة من برو واردة في بن .

[في أعضاء الجسم البشري]

و سأذكر ' ما قيل في ' الأعضاء إن شاء الله تعالى ' . اعلم أن
الحدقتين مرأيا الجسد ، و هما نقطتان من الماء صافيتان محبوبتان بين^٣
غشاوين^٤ شفافتان ، و ماؤهما^٥ صالح^٦ لحفظ شحمهما^٧ من التغير . و الأنف
هـ ماؤه كره لاستنشاق^٨ الروائح . و الفم ماؤه حلو لاستطعام الطعام^٩
١٠ و الماء جسم لطيف سيال شفاف لونه لون إنائسه^{١٠} . و قد يحصل
لبعضهم نتن الفم ، و ذلك إما لعفونة في اللثة و أصول الأسنان ،^{١١} أو
لمزاج^{١٢} رديء في وسط الفم و مجارى الحنك من^{١٢} رطوبات عفنة ،
أو لخلط^{١٣} عفن في فم المعدة^{١٣} . و قد ينتن الفم من قرحة الرئة و الصدر .

(١) في بن : قال المصنف رحمه الله تعالى فلنذكر الآن .

(٢-٢) في بن : أعضاء أعضاء (مكررة) الإنسان .

(٣) مطموسة في بن .

(٤) كذا في الأصلين ، و لعل الكلمة « غشاوتين » .

(٥) في بر : و ماؤه . و صحتها في بن كما أوردنا بالنص [١٩٣ : الف] .

(٦) في بن : صالح .

(٧) في بن : شحمتهما .

(٨) في بن : الاستنشاق .

(٩) في بن : الطعوم .

(١٠-١٠) الجملة ساقطة من بر و واردة في بن .

(١١-١١) في بن : و لمزاج .

(١٢) في بن : مع .

(١٣-١٣) ساقطة من بن .

والكرفس يطيب النكهة و يذهب البخر ، و الأذنين مأوهما^١ مر
يحفظهما^٢ من هوام تدخلهما^٣ ، و أيضا لاعوجاج مسالكهما^٤ ، و إذا
قصر الخل في الأذن بزيت يسخن نفع من ثقل السمع و الدوى
فيها^٥ . و أعضاء الإنسان^٦ ثلاثة عشر و هي^٧ الرأس و الرقبة و الصدر
و البطن و الحقوان و اليدين و القدمان و الفخذان و المراءة و المعدة
و المعاء^٨ و الكلتيان و الاثنيان .

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه
و سلم : في الإنسان ثلاثمائة و ستون مفصلا ، عني كل مفصل
صدقة ، و إمطة الأذى عن الطريق صدقة . قالوا : يا رسول الله من
يطبق ذلك ؟ قال : النخاعة^١ تدفنها^٢ صدقة ، و إمطة الأذى عن الطريق^٣
صدقة ، و ركعتا الضحى تكفر ذلك - خرجه البزار . و قال رسول الله
صلى الله عليه و سلم : مر رجل بغصن شوك على ظهر طريق فقال :
و الله لأنحيتن ذلك عن المسلمين لا يؤذيهم ، فأدخل الجنة - خرجه مسلم .

(١-١) كذا في بن . وفي بر : لحفظهما .

(٢) في الأصلين : يدخلها .

(٣-٣) العبارة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٤-٤) كذا في بن ، وفي بر : هي (فقط) .

(٥) كذا ، و لعل المقصود « الأمعاء » .

(٦) في بن : رسول .

(٧) كذا في الأصلين .

(٨) في بن : تدفنها .

و قال ' صلى الله عليه وسلم : لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة ' في شجرة نحاسا من الطريق كانت تؤذى الناس - خرجہ مسلم . و قال ' أبو ہریرۃ ۳ : قلت یا رسول ' الله علمنی شیئا أتتفع به . قال : اعزل ' الاذی عن الطريق . خرجہ البخاری - انتهى .

۵ نعود - و الأبواب ' التي في الجسد اثنا ' عشر بابا و هي العينان و الأذنان و المنخران و السبيلان و الفم و السرة و الشديان . و من لطف الله تعالى بعباده جعل الليل و النهار لأن الإنسان مضطر إلى الحركات في أعماله لمعاشه . [۲۵۲ : ب] و لا ينفك ' عن كلال ، فعند ذلك يغلب عليه النوم ، و لا بد له من ذلك لزوال الكلال . و كما ' ۱۰ قال تعالى ' : " و من رحمته جعل لكم ' الليل و النهار لتسكنوا فيه و لتبتغوا

(۱) زيد بن : رسول الله .

(۲) مطموسة بن .

(۳) كذا في بن ، و هي في بر : بريرة .

(۴) في بن : يانبي ، و في بر : يرسول .

(۵) في بن : فلنذكر الآن أبواب الحسد و لطف الله تعالى بعباده .

(۶) في بن : الأبواب .

(۷) في بر : اثني . و صحتهما في بن كما أوردنا بالنص .

(۸) في بن : بد لقواه .

(۹) في بن : كما .

(۱۰) قرآن كريم ۲۸ : ۷۳ .

(۱۱) ساقطة من بن .

من فضله". فعين ١ وقتا للنوم ينام فيه كلهم ، و وقتا للعاش يعمل فيه كلهم ، ولولا ذلك ٢ لأفضى إلى عسر قضاء حوائج ٣ الناس ، لأن أحدهم إذا طلب غيره وجده نائما - انتهى .

[في وظائف الأعضاء]

نعود ٤ - والقوى ٥ سبعة وهي الجاذبة و الماسكة و الهاضمة و الدافعة ٥ و الغاذية ٦ و المنمية و المرئية ٧ . وترجمان النظام خمسة : العين و الأذن و اللسان و الأنف و اليد ٨ . وإن صورة الإنسان ٩ تنقسم على أربعة أرباع : الرأس و اليدين ١٠ و البدن و الرجلان . ثم عظامه ١١ منقسمة إلى مائتي عظم و ثمانية و أربعين عظما ، ففي الرأس اثنان و أربعون عظما ، و في

(١) في بن : فتعين .

(٢) مطموسة في بن .

(٣) في بن : الحوائج .

(٤) زيد في بن : إلى ذكر القوى . و بهامش بر : القوى سبعة .

(٥) في بن : القوى (بدون واو العطف) .

(٦) كذا في بن ، وهي بر : و العادية .

(٧) بدون نقط في بر ، و يؤولها الثانية منقوطة في بن فأضعفنا الهمزة على الأولى وهي تحذف عادة في الأصل .

(٨-٨) في بن : و الصورة الإنسانية .

(٩) في الأصليون : اليدين .

الربع الثاني و هو 'اليدان اثنان وثمانون' عظمها ، و في الربع ٢ الثالث و هو البدن أربعون عظمها ، و في الرابع و هو الرجلان أربعة وثمانون ٣ عظمها . ثم خلق الله سبحانه لهذه العظام رباطات تمسكها بعدة عروق * للشكل الإنساني * ثلاثمائة ٢ و ستون عرقا ، و بهذه العروق تكون الحركة و القبض ه و البسط ، فرأس هذه العروق في الفؤاد ، و هو العرق المسمى بالنياط و الأبهري ، و منزلته مع القلب بمنزلة الحاجب للملك ، يلتقف أمره ، ثم يخرج به إلى الخدمة ، ثم هذا العرق متصل بالمعدة يمتص منها قوة الطعام و الشراب اللذين * يدخلها ثم يقسمها بين الكبد والمرارة والطحال . و خلق العرق الأبهري مستبطن الصلب ، و هو آخذ من مجمع

(١-١) مطموسة في بن .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : وثمان .

(٤) في بن : بعد .

(٥-٥) في بن : الشكل للإنسان .

(٦) في بن : وهي .

(٧) بهامش بر : العروق .

(٨) كذا في بن . والكلمة في بر : لئال .

(٩) في بن : يلتقف .

(١٠) في بن : الأذان .

(١١) في بن : والمرأه .

الكامل^١ إلى مجمع الوركين إلى^٢ مجمع الخالبين إلى مجمع الصدر^٣ بين الترقوتين ، و هو نهر الجسد الأعظم^٤ ، و هو مقسوم لأربعة عروق لأجزاء الجسد الأربعة ، لكل جزء منها عرق^٥ ، فللرأس منها عرق يتفرق إلى مائة عرق ، و اليدين كذلك ، و للبطن عرق (يتفرق^٦) إلى ستين عرقا ، و للظهر كذلك ، و للرجلين عرق يتفرق إلى مائة عرق . و الجزء الأول من النهر الأول و هي أربعة أنهار يتفرق^٧ منها عرقان من مجمع الكامل يسقيان العنق ، و يتفرق من مجمع الصدر بين الترقوتين عرقان يصعدان إلى العنق و هما الودجان ، ثم يتفرع من كل واحد منهما عرقان ، ثم جميع^٨ هذه العروق ينبعث منها^٩ الغذاء إلى كل عضو في الرأس من الشفتين و غيرها ، و أما عروق اليدين من الربع الثاني و هو أحد ١٠ الأنهار الأربعة [٢٥٣ : الف] من النهر الأعظم يتفرق منه عرقان^{١٠} ، فان لكل يد عرقا^١ من مجمع^٢ الصدر بين الترقوتين إلى بين المنكبين

(١) في بن : الكامل .

(٢) في بن : و إلى .

(٣) في بر : الصدرين . و صحته في بن كما أوردنا بالنص .

(٤) ساقطة من بن .

(٥-٥) في بن : فالرأس لها .

(٦) ساقطة من الأصلين و ذكرها لازم لاستقامة المعنى .

(٧) في الأصلين : تتفرق .

(٨) في بن : فيها . (٩) في بر : عرقا .

(١٠) في الأصلين : عرق .

وهما الأكلحال ١، ثم يتشعب من كل واحد منهما أربعة ٢ عروق سواهما،
فتسقى العضدين وأجزاءهما، وذلك عشرة عروق، لكل يد خمسة عروق،
ثم يفرق ٣ من كل واحد من العشرة أربعة تسقى الساعدين، فذلك خمسون
عرقاً، لكل ساعد خمسة وعشرون عرقاً، وعرق آخر يسقى الكفين
و الأصابع. وأما الجزء الثالث فالبطن يفرق منها عرقان من مجمع
الحالبين إلى اليد^٥، يفرق من كل واحد منهما تسعة وعشرون^٦ عرقاً
سواهما يدفعان^٧ إلى كل جزء حصته، فلليدين أربعة وثلاثون، ولسائر
البطن ستة وعشرون، للعصعص عرقان، وأربع عروق للذاكير،
واثنان للسكيتين، واثنان للثانة، واثنان للامعاء، واثنان للكبد،
١٠ واثنان للطحال، واثنان للفؤاد، واثنان للبرارة، واثنان للرئة، وثلاثون
للاضلاع^٨، لكل ضلع عرقان، واثنان للثديين^٩.

(١) في بن : الأكل .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) مطموسة في بن .

(٤-٤) الجملة ساقطة من بن .

(٥) كذا في بر، وهي في بن : البدن . - و جائز أن يكون ذلك الصواب .

(٦) في بن : وعشرين .

(٧) في الأصلين : يدفعون .

(٨) في بن : للامتناع .

(٩) في الأصلين : للثديان . - وقد زيد هنا في بن ما يلي : قال ابن الجوزي : يا هذا

تدبر وتيقن أنك سكببت من صلب صلب على رياض أرض الشهوة ... =

افلنذكر الآن ما قيل في الرضاعة ١. جاءت لليث ٢ بن سعد امرأة
فقلت له: أريد الحج وليس لي محرم. فقال: اذهبي إلى امرأة رجل
ترضعك من ثديها، فيكون زوجها أباك من الرضاعة، فتحجبن
معه ٣. واحتج بما في الصحيح من حديث عائشة قالت: دخل عليّ
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي رجل قاعد فاشتد ذلك عليه، ه

= (مطموس) ... حليتها يد القدرة، شق سمعها وبصرها وهي دم مطموس
في دم الحيض من غير ملامسة ... (مطموس) ... النظفة ... (مطموس)
... كن الصلب حركتها أنامل الشهوة بإيقاع لذة الوقاع فوقعت في طابق
المطابقة في مجلس الرحم خلعت عليها... التقدير خلعة علقه ثم ردتها برداء مضغة
ثم نسجتها يد القدرة على منوال التطريز ثم خرجت من حمل... لقد خلقنا الإنسان
في أحسن تقويم فينما هو في لطف طفل درج به مدرج انسان فاذا هو خصيم
مبين كم دار في تدوير أدواره من فلك وكم سببح في تطوير أطواره من ملك
وكم نطقت في معناه في المعاني وكم ذهلت في افنان معناه من السنة المعاني لكي
اطروس الغفلة ما يسمع هذه لحظة... وصف الظاهر فكيف له... معنى
الباطن. انتهى (وقد اكتفينا بنسخها حرفيا على قدر المستطیع بما فيها من
غموض لفظي).

(١-١) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٢) في بن : الليث .

(٣) بهامش بر : قف على هذا الحكم العجيب و النقل الغريب .

(٤) ساقطة من بن .

فرايت الغضب في وجهه . قالت : ١ فقلت يا رسول الله إنه أخى
من الرضاعة . قالت فقال : انظرن أخواتكن من الرضاعة فان
الرضاعة من المجاعة . وقالت عائشة ٢ : جاءت سهلة ٣ بنت سهيل إلى
النبي صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله إني أرى الغضب في وجه
ه أبي حذيفة تعنى زوجها من دخول سالم وهو حليفه ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : ارضعيه . قالت : وكيف أرضعه وهو رجل كبير .
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : قد علمت أنه رجل كبير .
وفي رواية : ارضعيه تحرمي عليه ويذهب الذى فى نفس أبى حذيفة .
و احتج من قال إن الكبير ليس بمحتاج للرضاعة ، فانه ليس لها فى
١ . ذلك تأثير كما أنه أبى سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخلن
عليهن أحدا بتلك الرضاعة ، و قلنا لعائشة : والله ما نرى هذه إلا رخصة
أرخصها لسالم خاصة ، فما هو ٧ داخل علينا ٨ أحد بهذه الرضاعة ولا رأينا -
انتهى .

(١-١) فى بن : قالت يرسول .

(٢) زيد فى بن : رضى الله عنها

(٣) ساقطة من برو واردة فى بن .

(٤-٤) ساقطة من برو واردة فى بن [١٩٤ : الف] .

(٥) فى بن : بأنه .

(٦-٦) فى بن [١٩٤ : الف] : كما روى أن أبا سالم (بياض)

أزواج النبي الخ . - ولفظة « كما » فى بروء لما .

(٧-٧) فى بن : بداخل عليها .

نعود^١ - و أما الجزء الرابع و هما^٢ الرجلان ففيهما الوتين عرق
يفترق منه عرقان و هما عرقا الفخذين، لكل فخذ عرق من^٣ مجمع الوركين
يسقيان الفخذين و أجزاءهما. [٢٥٣ : ب] و يفترق^٤ كل واحد^٥ منهما أربعة
عروق، ثم يفترق من الأربعة خمسون^٦ عرقا، يفترق من الساقين كل ساق
خمس و عشرون عرقا. و اعلم أن الغذاء إذا استقر في المعدة طبخته الكبد^٧
و هي حارة رطبة لاصقة للمعدة^٨ من الجانب الأيمن، تمتص منها من صفو
الغذاء كل حار رطب لمشاكتها^٩، فتصفيه بجوهرها و فيها أنابيب كالمصفي^{١٠}
فتجذبه العروق فتقله و تسرى فيها إلى حيث ما تقدم. و أما المرارة^{١١} فهي
معدن يخلط (كذا) يقال له المرة الصفراء. و هي حارة يابسة لاصقة بالمعدة
من الجانب الأيمن مما يلي الكبد تمتص منه من صفو الغذاء كل حار يابس^{١٢}.
للمشاكلة، فتصفيه بجوهرها، ثم تجذبه^{١٣} العروق^{١٤} كما ذكرناه. و الخلط

(١) زيد في بن : إلى ذكر بقية أجزاء ابن آدم .

(٢) في بن : و هو .

(٣) في بن : ممتد إلى .

(٤) زيد في بن : من .

(٥) مطموسة في بن .

(٦) كذا في بن ، و هي في بر : خمسين . و بهامش بر : الغذاء إذا استقر في المعدة .

(٧) في بن : بالمعدة .

(٨) في بر : لمشاكتها . و أغلب الظن أن الصواب ما أوردنا في النص عن بن .

(٩) ساقطة من بر ، و هي في بن : كالمصفا .

(١٠) بهامش بر : المرارة . (١١) في بن : تجذبه .

الثاني المرة السوداء و معدنها الطحال ، وهو بارد يابس لاصق بالمعدة^٢
 من الجانب الأيسر فيمتص من الغذاء كل ما يشاكله . و الخلط الثالث
 البلغم وهو بارد رطب ، و يلي الرئة عرق يمتص من الغذاء ما شاكلها^٣
 و الحلقوم رأس الرئة على طبيعة الطحال ، و هو معدن النفس ، و المنخرة^٤
 هـ رأس الحلقوم مغطاة بطبق و اللهاة^٥ مدلات عليه . و الحلقوم مجرى
 النفس ، و المرئ مجرى الطعام و الشراب . و القلب^٦ في الجانب الأيسر
 تحت الثدي الأيسر^٧ . قال الشيخ أبو العباس المرسى : لو صفت القلوب
 و الأسرار ، لشاهدت الجنة و النار . و أما الرحم^٨ فهو في الجانب الأيمن
 ملاصق لعروق^٩ الفؤاد ، و هو معدن الشهوة ، و المعدة معتدلة المزاج
 ١٠ كالقدر ، و تلك الأوعية لها كالأثافي ، و لها فنان مدخل و مخرج ، و هو

(١) كذا في بن ، و هي في بر : المرارة .

(٢) كذا في بن ، و هي في بر : و معدنه .

(٣) ساقطة من بن و واردة في بر ، و بهامش بر : الأخلاط .

(٤) في بن : شاكله ، و بهامش بر : الرئة و الحلقوم .

(٥) في بن : الجرية .

(٦) في بن : و المنجده .

(٧) في بن : و اللهاة .

(٨-٨) مطموسة في بن .

(٩) بهامش بر : الرحم .

(١٠) في ابن : بعروق .

مسلك المرئى إلى الفم ، و الفم الثانى من تحتها يخرج منه الأثقال ^١ و تخدم ^٢
 أربع قوى ^٣ إحداها جاذبة ، و الثانية ممسكة ، و الثالثة هاضمة ، و الرابعة
 دافعة . فأما الجاذبة فهي حارة رطبة تقوى الدم و تجذب الطعام و الشراب
 من الفم إلى المعدة ، و كل ما شاكلها تصيره دما ، و هي منحدره من أسفل
 المعدة إلى أسفل البطن : فتخرج غير متغيرة المشم تشارك ريح الجنوب .
 و أما الماسكة فباردة يابسة تقوى المرة السوداء ، و تمسك الطعام و الشراب
 في المعدة ، و لا سبيل إلى المعدة أن تمسك شيئا دونها ، فتخرج متغيرة
 المشم تشبه الريح ^٤ الشمال ، و هي على مضادة الجاذبة فبذلك يعتدلان .
 و أما الهاضمة فتقوى المرة الصفراء ، فتستقر فتعضم الطعام بالحر ، و تعينها
 الكبد فتصفيه في المعدة إلى الفم متغيرة ^٥ المشم ، و هي حارة يابسة .
 كريح الدبور . و أما الدافعة [٢٥٤ : الف] فباردة رطبة تقوى البلغم
 و تدفع الطعام و الشراب من المعدة إلى الأمعاء إلى الأعفاج إلى الأرض

(١) في بن : الأثقال .

(٢) كذا في بن ، و الكلمة في بر : و تحرم .

(٣) بهامش بر : القوى .

(٤) زيد في بر : فهي جاذبة . - و لا وجود لها في بن و هو الصواب .

(٥) مطموسة في بن .

(٦-٦) العبارة ساقطة من بن .

(٧) الكلمة ساقطة من بن .

(٨) في بن : فتغيره .

وهي باردة معادلة لريح الصبا . وإذا كان في الفؤاد رياح و دود و تخمة
يؤخذ ١ من السنابل المكي أوقية و من الشمار أوقية ٢ أنسون أوقية ٢ و من
الشيخ نصف أوقية و عرق سوس نصف أوقية ٣ ، زر ورد درهم ،
٣ مصطكي نصف درهم ٣ ، عود ریح درهم ، كمن أبيض نصف أوقية ،
٥ يدق الجميع و يخلط بمثل نصفه سكر ١ ، و يستعمل بعد ذلك سفوفا ، يؤخذ
منه عند النوم قليلا ، و على الريق قليلا ، نافعا مجربا .

و اعلم أن الغذاء لا يصير جزءا من المتغذى حتى يعمل فيه عدة من
الملائكة ، و معنى التغذى أن يصير جزء ٥ من الغذاء جزءا من المتغذى ،
فان الغذاء لا يصير دما و لحما و عظاما بنفسه ٦ ، كما ان القمح بنفسه لا يصير
١٠ طحيننا و عجينا و خبزا حتى تعمل فيه الصناعات ، فصناعات الظاهر أناس ٧ ،
و صناعات الباطن ملائكة ، فقد ٨ أسبغ الله ٩ عليك يا ابن آدم نعمة ظاهرة

(١) في بن : فيؤخذ .

(٢-٢) ساقطة من بر و واردة في بن [١٩٤ : ب] .

(٣-٣) العبارة ساقطة من بن .

(٤) في بن : سكر ١ .

(٥) في الأصلين : جزء ١ .

(٦) في الأصلين : بنفسها .

(٧-٧) في بن : فظاهر الصناعات الناس .

(٨) في بن : فكيف .

(٩) زيد في بن : تعالى .

و باطنة ، فانه لابد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم و العظم ، فان الغذاء لا يتحرك بنفسه ، و لابد من ثان يمسكه حتى تعمل فيه الحرارة بغيرها ، ثم لابد من ثالثة ^١ تكسبها صورة الدم ^٢ ، ثم لابد من رابع ^٣ يدفع القدر الفاضل عن الغذاء ، ثم لابد من خامس يميز العظم واللحم و العروق و ما ^٤ يليق بها ، ثم لابد من سادس للصق ^٥ ما اكتسب صورة العظم بالعظم و ما اكتسب صورة اللحم باللحم ، ثم لابد من سابع يراعى المقادير في الالتصاق ، فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته ، و بالعريض ما لا يبطل عرضه ، و بالمجوف ما لا يبطل تجوفه ، و يحفظ على كل واحد مقدار حاجته و يدفع الزائد ، فانه لو جمع على الأنف ^٦ من الغذاء مقدار اللحمه للفخذ تشوهت الصورة ، بل ينبغي أن يسوق ^٢ إلى الأجفان رقيقها ، و إلى الحدة صافيتها ، و إلى الأنف غليظها ، و إلى العظم صلبها ، مع مراعاة القدر و الشكل و إلا بطلت

(١) في بن : ثالث .

(٢) مطموسة في بن .

(٣) كذا في بن ، و الكلمة في بر : دافع . - و هي جائزة أيضا .

(٤) في الأصلين : لمضيق ، و هو خطأ قلبي لا ينسجم مع سياق الحديث يتضح من عبارات قادمة في النص .

(٥-٥) العبارة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٦-٦) في بن : مقدار . و هي مطموسة جزئيا .

الصورة ، فلو لم يراع^١ هذا الملك^٢ الموكل به هذا القسط فساق الغذاء إلى جميع البدن ولم يسق إلى رجل واحدة مثلاً فتبقى تلك الرجل كما كانت في أيام الصغر وكبر جميع البدن ، فترى^٣ شخصاً في ضخامة رجل وله رجل كأنها رجل صبي صغير ، فلا ينتفع بنفسه ألبتة فمراعاة هذه الهندسة مفوضة إلى هذا الملك ، فهذا^٤ حال بعض الملائكة الموكلين بيد بنى آدم مشغولين بك برأيت في النوم [٢٥٤ : ب] أو تتردد في الغفلة ، وهم يصلحون بذلك .

روى أبو أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : وكل بابن آدم مائة وستون ملكاً يذبون عنه كما تذبون^٥ الذباب عن قصعة . العسل في اليوم العاصف - انتهى .

نعود - وصلاح الأمرجة وفسادها^٦ تابع^٦ لما تقدم^٦ بين^٧ الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة . والعلم الطبيعى لإصلاحها هو فائدته وغرضه . واعلم أن الغضب جرة في القلب ، أما رأيتم حمرة في عينيه وانتفاخ أوداجه ، فمن أحس بشيء من ذلك فليصق بالأرض والنفس

(١) في الأصلين : يراعى .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) مطموسة في بن .

(٤-٤) العبارة مطموسة في بن .

(٥) في بر : وفساد . وصحتها في بن كما أوردنا بالنص .

(٦-٦) في بن : لها تعد .

(٧) في بر : من . والأصح في بن ما أوردناه بالنص .

يكسب 'بمجاورته من الطبائع' ملكة أى قوة عند غلبة السوداء إلى غير ذلك كما يشبهه 'الرفيق من رفيقه' ، و متى 'كانت هذه الطبائع جارية على اعتدال كانت النفس أخرى إلى السلامة' ، و جميع هذا كله بتقدير الله سبحانه و تدبيره ، فمتى تأمل ٣ هذا القصد المحكم ، و الترتيب المنظم ، و معادلة بعض القوى لبعض ، و كيف خلقت اليد للبطش ، و اللسان ٥ للكلام ، و الحدقة للرؤية ، و كيف خلقت على شكل ملائم . و خلقت 'ماء جامدا فى أغشية لطيفة مكنته' ٥ بالأجفان . و جعل للأجفان أهداب تقيها المغيرات و النور الكثيف أن يغشاها ، و كل ذلك دال على أن هذا ٦ الصنع العجيب ، و الأمر الغريب ، مدبر ٧ دبره ٨ و عالم ٩ أتقنه ، و أن الصانع هو المخترع لتلك الصورة ، فتبارك الله ١٠ تعالى لا إله إلا هو ١٠ سبحانه لا إله غيره ١١ .

(١-١) مطموسة فى بن .

(٢) فى بر : رقيقه .

(٣) فى بن : تؤمل .

(٤) فى بن : خلقت . - و بهامش بر : العينين .

(٥) فى بن : مكنته .

(٦) فى بن : لهذا .

(٧) فى الأصلين : مدبرا .

(٨) فى بن : يدبره .

(٩) فى بر : و علما . و فى بن : و عالما .

(١٠-١٠) فى بن : سبحانه لا إله إلا هو .

[حمد الله على ثمانية]

فيجب على الإنسان أن يحمد الله تعالى من ثمانية^١ أوجه : الأول
ان^٢ أوجده من^٣ العدم ، الثاني أن^٤ خلقه حيوانا ولم يخلقه جمادا ،
الثالث أن خلقه ناطقا ولم يخلقه غير ناطق ، الرابع أن خلقه^٥ ذكرا
و لم يخلقه أنثى ، الخامس أن^٦ خلقه مسلما ولم يخلقه كافرا^٧ ، السادس
أن جعله سنيا ولم يجعله بدعيا^٨ ، السابع أن جعله من أهل العلم ولم يجعله
من أهل الجهل ، الثامن أن جعله لمعرفة هذه الرتب أو^٩ كلاما ذا معنى^{١٠} .

[وظيفة العين و الأذن و اللسان]

واعلم أن العين^١ خلقت لتهتدى بها في الظلمات ، و تستعين بها في
الحاجات و تنظر بها إلى عجائب ملكوت الأرض و السموات ، و تعتبر بما
فيها من الآيات و الأذن خلقت لتسمع بها كلام الله^٢ و سنة نبيه و حكمة
أوليائه و يتوصل باستفادة العلم إلى الملك المقيم و النعيم الدائم . قال الشيخ

(١) بهامش بر : يجب على العبد أن يحمد الله تعالى من ثمانية أوجه .

(٢ - ٢) مطموسة في بن .

(٣ - ٣) في بن [١٩٥ : الف] : جعله مسلما ولم يجعله بدعيا .

(٤ - ٤) العدد السادس ساقط من بن .

(٥ - ٥) مطموسة في بن ، وفي بر الكلمة الأخيرة : معناه .

(٦) من بن ، وفي بر : العينين .

(٧) زيد في بن : تعالى .

أبو العباس المرسى رحمه الله : إذا تكلم العارف بكلمة غاب^٢ فيها [٢٥٥ : الف] وجود المستمع لأن الكلام ذكر و السمع أثنى^١ و الرجال قوامون على^٣ النساء ، لو تنفس العارف^٤ في بلدة ثبت أيمان^٢ كل عبد فيها^٣ . و أما اللسان فانه خلق لتكثير به ذكر الله تعالى و تلاوة كتابه ، و ترشده^٥ به خلق^٢ الله تعالى إلى طريقه ، و تظهر به ما في ضميرك من حاجات دينك^٥ و دنياك و اعلم أن الألسنة ثلاثة : لسان نقل عن لسان ، و لسان نقل عن قلب ، و لسان نقل عن غيب . فالناقل عن لسان حال ، و الناقل عن قلب عالم ، و الناقل عن غيب عارف . فـ لسان اللسان هواء^١ عن هواء^١ ، و لسان القلب داع إلى هدى^٦ ، و لسان الغيب يشير إلى عالم^٦ الخو و الفناء^٧ . انتهى^٨ .

[ما قيل في الأزمنة و الطبائع]

١٠ . فلنذكر الآن ما قيل في الأزمنة و الطبائع إن شاء الله تعالى اعلم أن الأزمنة أربعة : الربيع و الصيف و الخريف و الشتاء . فالزمان الأول

(١ - ١) ساقطة من بن . (٢) مطموسة في بن .

(٣) ساقطة من برو واردة في بن . (٤) الكلمة ساقطة من بن .

(٥) في الأصل : يرشد . (٦) في بن : الهدى .

(٧) في بن : الثناء .

(٨) هذا القسم ابتداء من « فلنذكر الآن » [بن ١٩٥ : الف] لغاية « وقد يستفرغ البلغم بالقيء » فيما بعد ساقط بأكمله من بن و يستأنف الكلام في كلام الأصليين عند « اعلم أن أفعال القوى » [بر ٢٥٦ : الف] وقد حاولنا نسخ هذا الجزء حرفياً كما هو في المخطوط وهو مملوء بتشكلات مواصفات الطب القديم التي لا علم للناشر بها .

الربيع ، و هو طبيعة الدم حار رطب . و الزمان الثاني الصيف و هو حار يابس سلطانه المرة الصفراء . و الزمان الثالث الخريف و هو بارد يابس سلطانه المرة السوداء . و الزمان الرابع الشتاء و هو بارد رطب سلطانه البلغم . فشبّه فصل الربيع بفصل الطفولية حار رطب ، و فصل الصيف بالشباب حار يابس ، و الخريف بالكهول بارد يابس ، و الشتاء بالشيخوخة بارد رطب . و للدم و الصفراء و السوداء و البلغم علامات ، فان غلب الدم فنعاس و ثاؤب و تمطط و حك مواضع الفصد و ظهور بتور دموية و حلاوة الريق و الرؤيا في المنام و اللهوء و الطرب و الألوان الحمر ، و الرعاف الكافور المذاب في ماء الورد و ماء الخيار و يسعط به ١٠ فانه يقطع الرعاف . و إن غلبت الصفراء فمرارة الفم و العطش و خشونة اللسان و جفاف الأنف و استلذاذ التمسيم البارد و ضعف شهوة الغذاء و نارية البول و ظهور آثار الصفراء في القيء و البراز و رؤيا الطيران و النيران في المنام . و إن غلبت السوداء فقحل البدن و كمودته و احتراق المعدة و قوة شهوة الغذاء و سهر و وسواس و رؤيا الآيات و المخاوف . ١٥ و إن غلب البلغم فيياض البول و كثرة الريق و ضعف الهضم و الجشأ الحامض و الترهل و كثرة النوم و رؤيا المياه و الثلج . يؤكد هذه العلامات الفصل و البلد و السن ، فمتى غلب الدم وحده أو مع غيره فاستفراغه بالفصد أو الحجامة ، فان تخلف بعده سوء المزاج حار رطب

(١) في الأصل : اللهوء .

فيعدل [٢٥٥ : ب] باستعمال المبردات القائمة مثل شراب الورد الطرى
 والقراصيا و الحماض و الليمون أو التمرهندى أو الحصرم أو الرمان أو الهندبا
 أو العناب أو السكنجبين أو التفاح. و إن كانت الطبيعة لينة جدا فشراب
 الآس أو السفرجل أو الورد الأزرق، و إن كانت مصقلة فشراب الورد
 المكرر بمائه و بماء النوفر، و يحذر من الشديد الحموضة حيث يكون ه
 الصدر أو العصب أو الأمعاء ضعيفة، و عند السعال بالخس و الهندبا بالخل
 و السكر أو الرحلة و هى البقلة الحماة و سويق الشعير بالسكر أو فروج
 بماء الحصرم أو بحب الرمان، و إنما تستعمل الفراريج عند ضعف القوة،
 و متى غلبت الصفراء فيستفرغ بمطبوخ الفاكهة و صفته : إجاص أوقيتان،
 قراصيا و عناب و تمرهندى من كل واحد أوقية، زهر بنفسج و سنامكى ١٠
 من كل واحد خمسة دراهم، خطمية مقشورة أربعة دراهم، ينقع ليلة
 و يغلى و يلقى عليه سبع زهرات نيلوفر و سبع زهرات ورد نصيبينى
 إن وجد، و يصفى على عشرين درهما شيرخشك و عشرة دراهم ترنجبين
 أو ثلاثين درهما ورد نصيبينى مكررا و ثلاثين درهما سقر بنفسج،
 و إن احتمل الحال أكثر من ذلك، فيصفى عليه خمسة عشر درهما لب ١٥
 خيار شنبه ممروش بدرهم دهن لوز حلو، و يصفى على أوقيتين سكر،
 و يشرب سحرا و يفرك عليه خروبتين محمودة لتقوية فعله و إسراعته،
 و إن تأخر عمله يحرك بماء أغلى فيه شمار أخضر و خطمية مقشورة وحده
 أو مع سكر و يتقيا عند منتهى فعله، و يغسل الوجه و الأطراف بماء بارد
 (١) فى بر: بالحلب رمان.

مع نصف درهم بزر قطونا صحيح ، و يغتذى بعد ساعتين بمزورة رشتا
دقيقه خميرا و بسويق شعير مغسول محلى بشراب ورد طرى . و متى غلبت
السوداء استفرغ بمطبوخ الأفيمون و هو مطبوخ الفاكهة يزاد عليه
بسفانيج مجرود مرضوض ستة دراهم ، إهليلج كابل مرضوض أربعة دراهم
غاريقون مقطع مثقال ، و يلقى عليه في آخر الطبخ ستة دراهم أفيمون
أقريطشى مبسوس بدهن لوز حلو في صرة كتان رخوة ، و يدر على وجه
القدح نصف مثقال راوند و نصف درهم حجر أرمنى مصول ، و يفرك
عليه المحمودة أو يستفرغ بسفوف السوداء ، يؤخذ منه سبعة دراهم مقواة
بخروبطين محمودة ، و يحرك و يقطع كما تقدم ، و يغتذى [٢٥٦ : الف]
١٠ بدجاجة سمينة مصلوقة . و متى غلب البلغم فيستفرغ بمثقال غاريقون
أو درهمين وحده ، اما أن يلقى بشراب الليمون ، أو يعمل حبا يلع بجلاب
و يحرك بعد بلعه بمغلى من عرق سوس مجرد مرضوض و شمار أخضر
و خطمية مقشورة ، و يصفى على سكر ، و يستفرغ بمثقالين أيارج لوغاذيا
مقواة بمثقال غاريقون و خروبطين محمودة و يحبب بدهن لوز ، و يلسع
١٥ بجلاب سحرا ، و يحرك بالمغلى المذكور ، و يتقىأ عند منتهى فعله ، و يقطع
بأوقيتين شراب تفاح بماء لسان ثور مع نصف درهم بزر ريحان صحيح ،
و يغتذى بدجاجة مصلوقة ، و قد يستفرغ البلغم بالقى .

و اعلم أن أفعال القوى الطبيعية هضم الغذاء و استمرائه ٢ و دفع

(١) هنا يستأنف الكلام في كل من بر و بن معا .

(٢) كذا في بن ، و الكلمة في بر : و استمراره .

فضلاته . 'و البول يدل على ١ هضم الكبد و العروق ، 'و أجود البول ما كانت ١ أجزاءه كلها متشابهة في اللون و القوام ، و أجود أبوال المرضى ما أشبه بول ٢ الأصحاء ، و البول الصحي ٣ هو الأصفر اللون المعتدل ٣ القيام ' الذي يظهر فيه رسوب محمود و هو الأبيض الأملس المستوى غير كرية الرائحة ' الذي يبال كدرا و يبقى على حاله ، ثم الذي ٥ يبال صافيا و يتكدر ، و أزكاها الرقيق الشبيه بالماء الذي يبقى ١ على حاله ، و كل بول غير الأبيض و الأصفر و الأحمر دال على الهلاك .
'و أعلم أن الإنسان دائما في الدنيا سائرا إلى الموت . قال الشاعر :

و من عجب الأيام أنك قاعد على الأرض في الدنيا و أنت تسير
تسير الليالي بالفتى لا يحسها من الناس إلا عاقل و بصير ١٠
فابن آدم في الدنيا مثله كمثل فرخ في عشه ٧ ، فإذا استوى ريشه طار

(١-١) مطموسة في بن .

(٢) في بن ابوال .

(٣) الكلمة مطموسة في بن .

(٤) في بن القوام - و ربما كانت الأصح .

(٥) زيد في بن : ثم .

(٦) في بن : سائرا .

(٧) في بن : عش .

و تركه بطيرانه إما لصلاحه أو لفساده ، و ما يعلم ما يراد به ، ا بل دخل الدنيا مضطرا ، و عاش فيها حائرا ، و خرج منها كارها مع ما يقاسى في دنياه من الهموم و الانكاد ، و ما يبلغه من القول في فتنة الموت و فتنة ٢ القبر و الحساب و المعاد ٣ . قال أبو العلاء ٢ المعري ٤ :

ه نعذب في البطون و ما جنينا ٢ و يذبح ٥ في حشا الأم ٦ الحوار
و ننتظر الرزايا و البلايا و أما بالوعيد لنا انتظار
فكانت نعمة لو أن كنا نخير ٧ بعد ذا أو نستشار ٨

(١ - ١) العبارة مطموسة في بن .

(٢) الكلمة مطموسة في بن .

(٣) في بن : في المعاد .

(٤) في بر : المعري .

(٥) مطموسة في بن ، و في بر : يربح .

(٦) في بن : الأيام .

(٧) في بن : نخير و .

(٨) زيدت هنا في بن [١٩٥ : الف - ب] العبارة الآتية أثرنا إدراجها بالهامش

نظرا لما فيها من خيل و لأنها على هامش موضوع الكتاب : و اعلم أن أزواج

المؤمنين يتعاهد (كذا) بعد الموت بحفرة صاحبها عند كل مساء فيما فيه من لطيف

القدرة ، يعلم الميت بزاوئه ، و يجد التنعم في قبره ، و أرواح المؤمنين في قناديل

تحت العرش يرون أهلها على قدر منزلته من الله في صورة طائفة ، و منهم من

يزور في كل جمعة ، فيستر عنه القبيح ، و يبرز له الحسن ، فيسره . و قيل أوحى

الله تعالى إلى داود عليه السلام : يا داود حيثني إلى عبادي . فقال الهى =

[حكاية تشتمل على فرج بعد حرج]

حكاية تشتمل على فرج بعد حرج ، و حدوث حزن بعد سرور .
 حكي [٢٥٦ : ب] أن الإفرنج ٢ حين ظفروهم بالإسكندرية قبض بعضهم
 على جماعة نسوة ، حملوا كل امرأة منهن كارة مما نهوه ، و صاروا يسوقونهن
 بين أيديهم ، و على رأس إفرنجي منهم كارة كبيرة أثقلته ، فصادفوا مسلما ه
 قبضوه وحملوه ما على رأس الإفرنجي ، و صاروا طالين باب البحر ، فارتخت
 الكارة التي على رأس المسلم من ثقلها في بعض الشوارع منعتة نظر الطريق ٣ ،
 فقال الإفرنج : قد انحلت هذه الكارة و ارتخت فاربطوها حتى أسير بها ،
 'فأنزلها عنه الإفرنج' و اشتغلوا بعقدها ه و ربطها ، فقر المسلم هارباه ،
 و رمت امرأة من النسوة ما على رأسها و تبعته ، فتركها الإفرنج لما هم أهم ١٠

= و سيدى و كيف أحبك إلى عبادك ؟ فقال : ذكرهم نعمتى عليهم ، و احسانى
 إليهم . قلت : يا رب هذه رحمتك للأحياء فما الذى أعددت للموتى ؟ فأوحى الله إليه :
 يا داود لم اكن (مطموسة) . . . عنهم وهم أحياء يرزقون ، و كيف
 أنساهم وهم تحت أطباق الثرى و مغيبون ؟ يا داود لو أجاب لأهل القبور في
 جوابك لأخبروك أن لطفى بهم بعد مماتهم أعظم من لطفى بهم في حياتهم - انتهى .

(١) زيد في بن : و ظفر .

(٢) في بن : الفرنج .

(٣ - ٣) الكلمة مطموسة في بن .

(٤ - ٤) في بن : فأنزلوها . و في بر : « فأنزلتها » موضع « فأنزلها » .

(٥ - ٥) مطموسة في بن .

(٦) في الأصل : فتركها .

به منها ١، فصادفها مدرسة مفتوحة الباب، دخلها ٢ وتوصلا إلى ميضتها ٣، واختفيا بيت ماء غلس بها، وكانت المرأة ٤ عليها ملاءة ٥ ملتحفه، فنظر الرجل وإذا عليها ثياب حرير وقلائد ذهب وعنبر وفي يديها أساور الذهب ٦، فراودها عن نفسها فامتنعت بالعفاف ٧ والصون ٨ وقالت: أنا بنت بكر لا أعرف الرجال أبدا. ٩ فسألها عن أمرها ١٠ فقالت: لبست ما تراه عليّ، وقصدت الهروب به مع النسوة ١ التي رأيتهن قاصدات باب البحر لئلا ننجوا من الأسر فوقعنا فيه بمصادقة الإفرنج ٢ لنا، فلما استأسرونا حملونا ما كنا حاملينه ٣، وهذا الذي تراه عليّ شورني به أبي، وليس لأبي غيري ٤ ولا لي غيره ولا أدري أحي هو أو قتيل أو أسير. قال الرجل: فتعجبت ٥ من أمرى وأمرها في الخلاص من الأسر، وأقمنا خائفين بقية يومنا

(١) الكلمة مطموسة في بن .

(٢) في بن : فدخلاها .

(٣) في بن : ميضاتها .

(٤ - ٤) ساقطة من بر: و واردة في بن .

(٥) في بن : بالورع والعفة .

(٦) ساقطة من بن .

(٧ - ٧) في بن مطموسة .

(٨) في بن : الإفرنج .

(٩) في بن : حاملينوه .

(١٠) في بن : غير .

من يدخل علينا من الإفرنج ليستأسرونا^١ أيضا . فلما^٢ دخل الليل خرجنا من المدرسة ، و مضينا في^٣ الظلمة نعث في القتل إلى أن خرجنا من باب رشيد ، اذ هو كان مفتوحا قد خرج^٤ المسلمون منه ، و^٥ لم تفهمه^٦ الإفرنج بعده عنهم في الجهة الشرقية من الإسكندرية ، و اشتغالهم بنهب الجهة الغربية . قال فرنا حتى أتينا خليجها الذي بظاهرها ، فجلسنا مستأنسين . بمن وجدناه هناك من المسلمين الشاردين ، فقلت^٧ لها : ما^٨ جمع الله بيني وبينك إلا^٩ لا كون زرجك^{١٠} . فقالت : ان قدر الله ذلك سيكون . فلما أصبح الصباح أبصرت البنت شيخا فنادت^{١١} فأتى إليها ورمى^{١٢} بنفسه عليها^{١٣} با كيا فبككت هي^{١٤} أيضا و قالت : يا أبت الحمد لله الذي جمعك عليّ فلقد احترق قلبي^{١٥} لفقدك . فسألها^{١٦} عن أمرها ، فحدثته^{١٧} ١١ خبرها و خبري^{١٨} ١٠ و أثنت [٢٥٧ : الف] عليّ خيرا . و قالت : لم يمسنى سوء ، بل أنا من فضل الله^{١٩} تعالى كما تحب^{٢٠} و ترضى في نفسي^{٢١} ١٢ نفسي و مالي^{٢٢} ١٢ . فحمد الله

(١) في بن : يستأسرونا . (٢ - ٢) مطموسة في بن .

(٣) في الأصلين : خرجت . (٤) في بن : الإفرنج .

(٥) ساقطة من بن . (٦) في بن : قال فقلت .

(٧ - ٧) في بن : جمعني الله عليك .

(٨) زيد في بن : ان شاء الله تعالى .

(٩) الكلمة مطموسة في بن .

(١٠) كذا في بن ، وهي في بر : رمى - بسقوط واو العطف .

(١١) في بن : فأخبرته .

(١٢ - ١٢) في بن : النفس و المال .

تعالیٰ و شکرہ^۱ علی جمع شملہ بابتہ^۲ وصیانتہا و حفظ ما ہو علیہا^۳ . فنظر
عند ذلك أبوها إلى^۴ ۳ و قال : سأزوجك بها إن شاء الله تعالى . قال فأقنا
نهارنا و أنا مسرور بقول أبيها ذلك ، و الناس يموجون من كثرتهم ،
فاختلطا بهم فلم أعرف أين أخذا ، فلا أدري هل اختفيا مني أو لم يعرفا
مكاني ، فتألمت لفراق تلك البنت الجميلة التي طمعت أن تكون^۵ لي زوجة
حليمة^۶ ، نخب أُملي ، و ضافت^۷ حيلتي ، و عيل صبري ، و تحيرت في أمري
و قال بلسان حاله^۸ ، لعدم^۹ احتياله :

شكر الله لأيام^{۱۰} الوصال^{۱۱} ^{۱۲} فلقد كان^{۱۳} به العيش صفاء
و رعى الله لياليه التي كن في جيد الليالي كالآلى
۱۰ إن أوقاتا بوصل قصرت بعد أيام من الهجر طوال
^{۱۴} فوزت عني الغواني وجهها^{۱۵} عن قلا لا عن نجن و ملالى

(۱) الكلمة ساقطة من بن .

(۲-۲) في بن : و الصيانة .

(۳) ساقطة من بن : و واردة في بن .

(۴-۴) في بن : روجتي .

(۵) في بن : وضاعت .

(۶-۶) في بن : و قلت بلسان حالي .

(۷) مطموسة في بن [۱۹۶ : الف] .

(۸-۸) في بن : لقد كنت .

(۹-۹) في بن : فوزت عين الغواني .

ثم 'بكي و اشتكى' و تقرحت أجفانه بالبكاء ، و لسان حاله يقول :
 كل من أهوى يفارقني ذاك من شؤمي و من نكد
 لو هويت الشمس في بلد حجت عن ذلك البلد
 ثم إنه ٢ داوم النواح ، ٣ و زال عنه الإشراف ٤ ، ٥ من هيامه بها ، فصار
 محتبل العقل بسببها ، فصار يتكلم بالفضول ، و لسان حاله يقول :
 من المعين على خود بليت بها فبالمعونة تستكفي البليات
 حوت فؤادي فلا يفديه من أحد لوا حظ و عيون بابلات
 إذا الظباء رعت أحوى الحشيش في غزالة قد رعت مني الحشاشات
 ثم إنه صار لفقدها و لمان ، كثير البكاء و الأحزان . قوله من المعين
 على خود^٦ ، الخود المرأة الحسنة^٧ الخلق و الغادة الناعمة و الصيد^٨ المشنية^٩ ١٠
 من اللين^{١١} و الخفرة الحنية ، و كذلك الخريدة و العروب المتحبة إلى

(١-١) في بن : بكا و اشتكا .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٤) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٥) في بن : أخرى .

(٦-٦) مطموسة في بن .

(٧-٧) في بن : و إذ قد ذكرنا الخود فلنذكر ما قيل فيها و في غيرها .

(٨) في بر : الحسن ، و صحتها في بن كما أوردنا بالنص .

(٩) مطموسة في بن .

زوجها ، و الغانية صفة تمدح بها المرأة ، و الأصل في الغانية أنها ذات الزوج ، و حنة الرجل زوجته ، و هي أيضا حليته و عرسه و ظيعته و بيته ٢ و قعيدته و زوجته ٣ ، و قد يعمل على المرأة العفيفة و ترمى بقول الزور و ينجيها الله تعالى بكرمه من ألم الشرور .

[حكاية قاض من بني إسرائيل]

حكى أنه كان في بني إسرائيل قاضيا من قضاتهم ، و كانت له زوجة بديعة الجمال ، كثيرة الصون و العفة و الجمال ، فأراد القاضى [٢٥٧ : ب] النهوض إلى بيت الله الحرام بسبب الحج ، فاستخلف أخاه على القضاء و أوصاه بزوجته . و كان أخوه سمع عنها جمالا فائقا و حسنا بديعا ، فكلف بها كلفا عظيما ، فلما سافر أخوه ، وجه إليها ، و راودها عن

(١) ساقطة من بن .

(٢) مطموسة في بن .

(٣) زيد في بن : « قال بعضهم في التشبيهات :

خلوت بها و الروح ثلاثة لنا و جنح ظلام الليل قد مد و انقلب
فتاة عـد لا يقربها فهل في ابتغاء العيش و يحك من - (رج)
كأنى و هي و الكأس و الخمر و الدجا حياة و تر . . . التبر و الشبج »
و الأبيات أغلبها مطموس و غير واضح فأثرنا تركها بالهامش بعد قراءة ما
استطعنا قراءته منها .

(٤) هذا القسم من بر بما فيه حكاية قاضى بني إسرائيل برمتها ساقط من بن .
و يستأنف الكلام في كليهما ابتداء من « حكاية تشتمل على فراق الأخت بالأسر
و الغربة » .

نفسها ، فاستعصمت بالورع ؛ فلما يئس منها ، خاف أن تخبر أخاه بصنيعه
إذا قدم ، فاستدعى شهود زور ، و رفع أمرها إلى ملك ذلك الزمان
بأنها زنت و قد حكمتُ برجمها ، فقال الملك : إن كنت حكمت برجمها
فارجمها ، فحفر لها حفيرة ، و أقعدت فرجمت حتى غطتها الحجارة ، و قال :
تكون الحفيرة قبرها . فلما جُن الليل صارت تنن لشدة ما نالها ، فمر ٥
رجل يريد قرية ، فسمع أنينها ، فقصدها وأخرجها و حملها إلى زوجته
و أمرها بمعاناتها حتى استقلت ، و كان لامرأته ولد فدفعته إليها ، فصارت
تكفله و تبنت به في بيت ثانٍ ، فأراها أحد اللصوص فطمع فيها ،
و راودها عن نفسها ، فامتنعت فعزم على قتلها ، و أهوى بالسكين إليها ،
فوافق الصبي فذبحه ، فلما علم أنه ذبح الصبي أدركه الخوف و خرج من ١٠
البيت ، فأصبحت المرأة و الصبي مذبوح بين يديها ، و جاءت أمه فقالت
لها : أنت ذبحت ولدى ، و ضربتها ضربا وجيعا ، و جاء الرجل فقال
لزوجه : و الله إنها لا تفعل ، و هذا شيء جرى من غيرها . فأذققها
منها ، فخرجت المرأة فأرّة بنفسها ، لا تدري أين تذهب ، و لا أين
توجه ، و عندها بعض دربهات مربوطة على وسطها من حين رجمها ، ١٥
فمرت بقرية من القرى ، و الناس مجتمعون ، و رجل مصلوب على جذع
نخلة ، فقالت : يا قوم ما خبر هذا المصلوب ؟ فقالوا لها : إنه أصاب
ذنبا لا يكفره إلا قتله أو صدقة كذا و كذا دراهم ، و لم يوجد له

(١) في الأصل : تاني .

دراهم . فقالت : يا قوم خذوا منى هذه الدراهم وخلصوه . فأخذوها منها و أطلقوا سبيله ، فتاب على يديها ، فألى على نفسه أن يخدمها حتى يموت . فابتنى لها صومعة ، و صار يحطب الحطب يبيعه و يأتيها بقوتها ، و ينام تحت صومعتها ، و اجتهدت في العبادة حتى كانت لا يأتيها مريض أو مصاب أو ذو عاهة و تدعو له إلا شفاه الله . و كان قد أنزل الله بأخي زوجها القاضي عاهة بوجهه ، و أنزل بالمرأة التي ضربتها برصا ، و امتحن السارق بأن أقعد و صار مكسحا . و جاء القاضي زوجها من حجة ، فسأل أخاه عن زوجته ، فقال : إنها زنت و رجعت إلى أن ماتت فأسف عليها [٢٥٨ : الف] زوجها ، و احتسبها عند الله تعالى ، و قال : ١٠ عجبت من تلك المرأة العفيفة كيف زنت حتى رجعت ، لا قوة إلا بالله . ثم أنه وجد أخاه كسيحا مقعدا فتألم له . قال و تسمع الناس بخبر تلك المرأة حتى كانوا يأتونها من أطراف البلاد تدعو لهم فيحصل لهم الشفاء . فقال القاضي لأخيه : لو قصدت هذه المرأة الصالحة ، لعل الله أن يجعل لك على يدها فرجا و شفاء . فقال : يا أخي احملى إليها . ١٥ قال و سمع بها زوج المرأة البرصاء الذي ذبح ولدها ، فحملها زوجها إليها ، و سمع بها السارق الذي ذبح الصغير فصار إليها ، و اجتمع الجميع عند باب صومعتها ، و لا يراها أحد ، و انتظروا خديمتها حتى وصل ، فرغبوا إليه بأن يستأذن عليها ففعل ، فتنقبت و وقفت على باب الصومعة لزوجها و أخيه و اللص و المرأة ، فعرفتهم و هم لا يعرفونها ، فقالت لهم : يا هؤلاء !

(١) في الأصل : فابتنا .

إنكم لا تستريحون حتى تعترفوا بذنوبكم السالفة . فان العبد إذا اعترف
بذنبه تاب الله عليه ، و أعطاه منه ما قصد فيه . فقال القاضي لأخيه :
تب إلى الله و لا تصر على عصيانك . قال : يا أخى الآن أقول الحق
فعلت بزواجك و صنعت . و قالت المرأة : كانت عندى امرأة نسبت إليها
ما لا أعلمه فضربتها عمدا و نفيتها تعديا . و قال اللص : دخلت على امرأة
راودتها عن نفسها فامتنعت ، فذبحت صبيا كان بين يديها . ففتحت
المرأة عند ذلك صومعتها ، و أبدت إليهم وجهها ، فعرفوها و خضعوا
بين يديها ، فقالت : اللهم كما أريتهم ذل المعصية فأرهم عز الطاعة . فشفاهم
الله تعالى من مرضهم . فرجع إليها زوجها ، و لزم الجميع خدمتها حتى
أتاهم الموت . قال بعضهم :

١٠

أيا نفس للعن الأجل تطلبي و كفى عن الدار التي قد تقضت
لعمرك ما الدنيا بدار أخى حجا فتلوه بها عن دار فوز و عزت
عن الموطن الأسنى عن القرب واللقا عن العيش كل العيش عند الأحبة
فو الله لولا ظلمة الذنب لم يطب لك العيش إلا دون مى و عزة
و لم ترتضى إلا الأجيرع مربعا و ما دمت معنى دون سلع و رامة
مواطنك الأولى مرابعك الأولى تشاغلث عنها بالأمور الخسيسة
مواطن أنس كلها دار ذكرها تسامى إلى لقيائها كل همى
أيارب هذا منهج الحق قد بدا و قد وضحت للنفس سبل الهداية
/ فيارب بالهادى البشير محمد صفيك فى الدارين خير الخليفة
أعنى على نفسى و حبب لقاك لى و بغض لى الدنيا و عجل بتوبتى

٢٠

و کن مؤنسی فی وحدتی وملقتی إذا سأل السؤال يا رب حتى
وخذ يدي وارحم من العجز وصفه ولا تخزني يا رب يوم الفضيحة
و هب لي علما نافعا أهتدي به إليك و اسلك بي سواء الطريقة
و سدّد مقالی و الفعّال و عاقی إلهی فی الدارين من كل محنة
و صل و بارک ما تغرد طائر علی خير مبعوث إلى خير أمة

[حکایہ تشتمل علی فراق الاحبة]

۱. حکایہ تشتمل علی ۱ فراق الاحبة بالاسر و الغربة . حکى أن
۲ الإفرنج دخلوا ۲ دارا بالإسكندرية حين ظفروهم بها ، فوجدوا امرأة
بارعة الجمال ، فاختارها كبيرهم انفسه . وكانت أمها ساكنة بدار تقابل
۱. دارها . فلما رأت الإفرنج هجموا دار ابنتها ، ۳ خرجت من دارها
و دخلت دار ابنتها ۳ من ۴ حرقها عليها ، و توهمت ۵ أنهم يقتلونها ۶
و لا يحيوها ۷ ، فجعلت تقول : اقتلوني و لا تقتلوها . فقال كبيرهم : لسنا
نقتلك و لا نقتلها ، بل نحسن لك و لها ، ۸ و إنما أنا فقد ۹ أحببتها و أريد (ان ۹)

(۱-۱) مطموسه في بن ، و بهامش بر : حکایہ و هنا يستأنف الكلام في كل
من بر و بن .

(۲-۲) العبارة مطموسه في بن .

(۳-۳) ساقطة من بن .

(۴) في بن : فمن .

(۵) في بن : توهمت .

(۶) في بر : يقتلوها . و الصواب في بن كما أوردنا بالنص .

(۷) في بن : يبقوها .

(۸-۸) في بن : و أتى قد .

(۹) لا وجود لها بالأصلين ، و أضفناها لاستقامة الجملة و السياق .

أحملها

أحلبها معي تقيم ١ عندى سنة و أردھا ١ إليك ، و لا أمكن أحدا من
نهب دارك و لا دارھا إكراما لها . قال لها ذلك ، و ابنتھا اترعد من
خوفھا منهم و تبعد عنهم ، فتقدم ١ الإفرنجى إليها سكن روعتها ، و مسح
بأنامله ٢ عبرتها ٣ و قال لها : لا تخافى أو لا تخزنى ١ ، سوف أردك بالهدايا
إلى أمك . ثم قال لأمھا : افتحى كفك ٤ . فعد لها فيه خمسة و عشرين ٥
دينارا استجلابا لقلبھا ، و لسان الحال يقول :

إن • الهدايا حلوة • كالسحر تجتذب القلوبا

تدنى البعيد من الهوى حتى يصيره قريبا

و لسان الحال أيضا يقول :

١ هدايا الناس بعضهم لبعض يولد فى صدرهم الوصالا

و يزرع فى القلوب هوى و ردا و يكسوهم إذا حضروا جمالا

ثم قال : ١ لا تخشى عليها . و حلف بدينه ٢ أنه يرسلها إليها . قالت ٣ :

(١-١) مطموسة فى بن .

(٢) فى بن : بيده .

(٣) فى بن : دمعتها .

(٤) فى بن : يدك .

(٥-٥) فى بن : الهدية الحلوة .

(٦) زيد فى بن : الفرنجى لأمھا .

(٧) فى بن : فقالت له إذا .

فاذا أخذت منى ١ ابنتى ، ما ٢ تكون حيلتى إذا نهبوني أصحابكم ، و قتلوني
بعد رواحكم ٢ ، فدفع ٣ لها شنيارا يعرف به وقال : اجعليه ٤ فى رأس
قطارية ٥ . [٢٥٩ : الف] ٦ و أظهرى الشنيار ٦ من طاق دارك ، تأمنى
به ممن يقصد شارعك جميعه . فأخذت منه ذلك الشنيار ، و فى قلبها ٣
من فراق ابنتها لهب النار . ثم إنها ودعت ابنتها و تباكيا ، و لسان
الحال ٧ يقول :

النوى قد أضرمت جرة فى أضلعى
فترانى بعدهم مستهاما لا أعى
مقلتى سحى دما بعد فيض الأدمعى
كيف آوى بعدهم فى ديار بلقى
يا ليلينا ارجعى ثم عودى و ارجعى

١٠

(١) ساقطة من بن .

(٢-٢) فى بن : و ذهبت جاء غيرك من الفرنج بعدك نهبنى و قتل (بوني) .

(٣) الكلمة مطموسة فى بن .

(٤) فى بن : ضعيه .

(٥) فى بن : رمح .

(٦-٦) فى بن : و أظهرى .

(٧) فى بن : حالهما .

و اجمعى^١ شمل على شمل أحباني معي

ثم أن البنت^٢ صارت حين مضيتها معهم^٣ تلتفت إلى أمها ، و تتأوه من همها و غمها ، و لسان حالها يقول :

و سائلي بمزجي عن^٣ وطني ما ضاق بي جانبه و لا بنا

قلت القضا ما لك أمر الفتى من حيث لا يدري و من حيث دري ٥

لا بد ما يلقي امرء ما خطه ذو العرش بما هو لاق و وحا

ثم أن أمها^٤ لزمت^٣ الدار ، و أظهرت^٣ من الطاق^٥ الشنار ، فأمنت

هي و جيرانها^٦ من معرة الكفار . فلما أمن^٧ المسلمون بوصول^٨ النجدة

من مصر ، و تحصنت الإفرنج^٩ بمراكبها في البحر ، أتى زوج ابنتها

فلم يجدها بداره ،^{١٠} و التهب بلهيب ناره^{١١} ، فسأل أمها عنها ، فأخبرته بما ١٠

جرى ، فانطرد عن جفنه الكرى ، و صار يضرب على صدره^{١٢} يديه ،

(١) في بن : فاجمعي .

(٢-٣) في بن : سارت معهم و هي .

(٣-٣) مطموسة في بن .

(٤) في بن [١٩٦ : ب] أم الصبية .

(٥) في بن : كوة دارها .

(٦) في بن : و أهل شارعها .

(٧) في الأصلين : أمنت .

(٨) الكلمة مطموسة في بن .

(٩) في بن : الإفرنج .

(١٠-١٠) ساقطة من بر و واردة في بن .

(١١) في بن : وجهه و صدره .

و دمه اسائل على خديه ١٠ و لسان حاله يقول :

تقطعت الأوصال بالهجر و البين و سحت سحاب الدمع من أبحر العين
و ذاب الحشى من لوعة البعد و النوى و صاح غراب البين بالهجر و البين
ألا يا عذولى ٢ كم تلوم متيما رماه الجفا و الوجد حقا بسهمين
٥ أيسلوهم من أنحل الحب جسمه يود أن يسعى إليهم على العين
و يبذل ثم الروح فى حضرة اللقا يوفى نذورا ٣ و النذور ٣ من الدين
ثم إنه هام بوجدده ، و غاب ٤ عن رشده . و لسان حاله يقول :
زاد الغرام ٥ و هاج الشوق من ٥ حرقى فالقلب فى لهف ٦ و الجفن فى أرق
و لؤلؤ الدمع فوق الخد منتشر شبه العقيق بدا من أبحر الحدق
١٠ و صارم الهجر فى الأكباد قطعها و البين يرمى ٦ بسهم منه مر تشق
ركبت بحر الهوى غرا فصادفتى عواصف الريح ٧ أشرفنا على الغرق

[حكاية العجوز النصرانية]

حكاية تشتمل ٨ على نهب مال و عدم أسر و قتل ٩ . حكى ٩ أن ٨ عجوزة
نصرانية [٢٥٩ : ب] كسيحة غنية تعرف ١٠ بنت القسيس ١١ جرجس بن فضائل تسكن
١٥ دارا حسنة ١٢ البنيان ، عالية الأركان ، مجاورة لكنيسة موضع يعرف بالإسكندرية

(١-١) فى بن : جار من مقلتيه على خديه .

(٢) فى بن : يا عذولى .

(٣) فى بن : و النذر .

(٤) الكلمة مطموسة فى بن .

(٥) بهامش بر : حكاية .

(٦-٦) مطموسة فى بن .

بقلزى ١ . فكسرت الإفرنج ٢ حين ظفرهم بها بابها ٣ ، و دخل لها عشرون ٤
 علجا على كواهلهم القسى الموتورة ٥ ، و بأيديهم السيوف المشهورة ، فلما
 رأتهم جوار النصرانية و وصفانها فروا ٦ هربا منهم ٧ إلى سطوح الدار ،
 و لتلك ٨ الدار أبواب ٩ مجالسها منقوشة ، و أصفانها بأنواع الرخام مفروشة ١٠ .
 فرأوا العجوز جالسة مستقبلة الشرق . فقالوا لها : من تكونى ؟ قالت : ه
 عجوز ١١ نصرانية ذمية مقعدة ١٢ . ١٣ ثم أنها صلبت ١٤ على وجهها باصبعها .
 فعلموا أنها صادقة ١٥ فيما قالت ١٦ ، ثم قالوا لها : أين الذهب و الفضة ؟

(١) انظر مجلة آثار الإسكندرية عدد ٣٤ ص ٧٣ فى تعريف الكلمة اليونانية
 Ekklesia = Ekklysia بمعنى كنيسة و قد ورد فى « نهاية الأرب » للنويرى
 (ج ١ ص ٣٨٢) : و من المباني القديمة القليس و هى كنيسة كانت باليمن ، بناها
 أبرهة بن الصباح ملك اليمن بصنعاء .

(٢) مطموسة فى بن .

(٣) فى بن : باب دارها .

(٤) فى بر : عشرين و فى بن : العشر .

(٥) فى بن : الموترة .

(٦ - ٦) فى بن : هاربين .

(٧) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : تلك .

(٨ - ٨) مطموسة فى بن .

(٩ - ٩) فى بن : و صلبت .

(١٠ - ١٠) فى بن : فى قولها .

فقلت : ١ في هذا الصندوق الذي ترونه . و رمت لهم مفتاحه ٢ ، قالت ٣
فوضعوا قسيهم إلى جانب حائط المجلس وفتحوا الصندوق أخذوا ما فيه
من ذهب و فضة و قماش ، ثم قالوا : و أين ؛ بقية * المال أيضا ؟ فقلت :
ليس عندي سوى ٤ ما أخذتموه ، و صرت لأخذكم ٥ له فقيرة ٦ من فقراء
النصارى . قالوا ٧ : و مثل هذه الدار لك و تكوني فقيرة ؟ قالت ٨ : هي
حبس على هذه الكنيسة المجاورة لها ، و لا يحل لي أن أرجع ٩ فيما حبسته ١٠
و لا أبيعها بسبب فقرى خوفا من غضب المسيح على . فحينئذ انظر بعضهم
إلى بعض و تركوها و خرجوا ١١ من الدار بما أخذوه و لم ١٢ يأسروا أحدا من ١٣
عائنيه من جواربها و وصفانها ١٤ الذين صعدوا هربا منهم ١٥ .

(١ - ١) مطموسة في بن .

(٢) في بن : مفتاحه .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : أين .

(٥) ساقطة من بن و واردة في بن .

(٦) في بن : غير .

(٧ - ٧) في بن : فقير .

(٨) في بن : فقالوا .

(٩) في بن : فقلت .

(١٠) في بن : و لا .

(١١) في الأصليين : مما .

(١٢ - ١٢) في بن : الذين هربوا إلى السطح .

[حكاية تشتمل على غنى بعد فقر]

حكاية تشتمل على غنى بعد فقر ، و خلاص بعد أسر . حكى
 أن الإفرنج لما ظفروا بالإسكندرية ، دخلوا إلى دار وجدوا بها امرأة
 لم يكن عندها شيء يرضيهم أخذه ، وكان معهم شيء من النهب فوضعوه
 في دارها ، و خرجوا ينهبون دور جيرانها ، وكل ما تحصل لهم شيء .
 أتوا به إليها ، فجعلوها كالحارسة لهم ، وقد انطبعت معهم بالكلام
 والمساعدة في تناولها منهم ، وفي شيل هذا و حط هذا ، كأنها تنصحهم ،
 فركنوا إليها لبشاشتها لهم ، و قولها لهم : إني محبة لكم و خذوني معكم
 انشرح في بلادكم ، وإن في ديار الإسكندرية المال الكثير ، والخير
 الغزير ، فاجمعوا ، و أتوا به و احمولوني معكم ، أصير جارية لكم ،
 و حارسة لامتعتمكم . فخرجوا من عندها طامعين في مقالتها . ففتشت المرأة

(١) بهامش بر : حكاية .

(٢) في الأصلين : ينهبوا .

(٣) في بن : حصل .

(٤) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٦) في بن : محبتكم نخذوني .

(٧) في بن : الكبير .

(٨) في بن : الكثير .

(٩-٩) مطموسة في بن .

(١٠-١٠) في بن [١٩٧ : الف] : وأصير لكم جارية .

النهب بعد خروجهم ، فوجدت خريطين مملوءتين مالا ، فحملتها و نزلت
 بهما من مكان بأعلا دارها إلى خربة بجوارها اختفت بها فلم ^١ [٢٦٠ : الف]
 نزل ^٢ مقيمة بتلك الخربة ^٢ إلى أن أمنت ^٣ على نفسها بدخول المسلمين ^٣
 البلد ، فزال عنها بعد ذلك النكد ، و رجعت بما معها إلى دارها ، فصار لها
 هـ بذلك المال ^٤ أحسن حال ، و أنعم بال ، فكانت مكيدتها ^٥ ، ^٦ بسبب
 حسن مخاطبتها ، وكانت حراستها سبب سعادتها ، وكانت حيلتها بمكرها
 و هربها سببا لعدم أسرها ^٧ .

[حكاية حرجة مؤلمة مزعجة]

حكاية ^٨ حرجة مؤلمة مزعجة . حكى أن نسوة اجتمعن بدار و معهن
 ١٠ رجلا ^٩ حين ظفر الإفرنج ^{١٠} بالإسكندرية . وكان رجل له زوجة
 بتلك الدار ^{١١} . فأتى إليها يخرجها معه من باب البر ، فرأى الإفرنج ^{١٢} حالوا

(١) في بن : و لم .

(٢-٢) في بن : مختفية بها .

(٣-٣) في بن : الناس بدخولهم .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) زيد في بن : في .

(٦) عن بن ، و الكلمة في بر : ملأتها .

(٧-٧) في بن : و حراستها سبب سعادتها .

(٨) بهامش بر : حكاية .

(٩) في الأصلين : رجلين .

(١٠) في بن : الفرنج .

(١١) في بن : النسوة

بينه وبين الدار، فنجأ بنفسه هرباً^١ منهم. فلما اطمانت الناس، عاد إلى الدار^٢ فلم يجد فيها غير^٣ زوجته مطروحة^٤ وهي^٥ عريانة مجروحة وشتم بالدار رائحة كرهة، فستر زوجته ببعض ثيابه وسألها عن حالها وحال^٦ الرجلين والنسوة فأشارت إلى جهة بالدار، فمشى ونظر فاذا^٧ الرجلان قتيلا^٨ ورأس امرأة مطروحة وجثتها كذلك، وقد علمت^٩ رائحة تلك الجيف وانتفخت^{١٠} وأزرق، فعاد إليها وقال: أخبريني ما اتفق لكم. فقالت: دخلت لنا^{١١} الإفرنج^{١٢} بأيديهم السيوف المسلوكة. فأتى أحدهم إلى^{١٣} فلانة مسك يدها، ففثرت^{١٤} يدها منه وقالت: ما أوحش وجهك، فرمى رأسها سريعا بسيفه لغيظه من كلامها له^{١٥} واحتقارها إياه^{١٦}، فوقع رأسها بحجر فلانة، ورمت بقية الإفرنج رأس الرجلين^{١٧}، فارتعبن^{١٨} النسوة مما شاهدن ورأين^{١٩}، وأخذونا^{٢٠} سبائا بعد أن ربطواكم الواحدة بكم الأخرى، واستاقونا^{٢١} بين أيديهم. فدخلوا بنا^{٢٢} دار الصناعة، فقتلوا رأس بقر هناك^{٢٣}، وبضعوا لحمها^{٢٤}،

(١) في بن: هاربا.

(٢-٣) مطموسة في بن.

(٣) ساقطة من بن.

(٤-٤) في الأصاين: الرجلين قتيلاين.

(٥) في بن: علينا.

(٦) مطموسة في بن.

(٧) في بن: ففتشت.

(٨-٨) ساقطة من بن.

(٩) في بن: فارتعب.

وأتونا بقدر، فسلقنا لهم من لحمها . فأكلوا ورجعوا إلى البلد
 ينهبون^١، فبينما نحن جلوس وإذا بطائفة أخرى أتوا إلينا، فأخذ كل
 واحد امرأة منا، وأخذني^٢ منهم آخر^٣. و صاروا يستحشونا في المشى
 يريدون^٤ المراكب، فتضجرت من عنفه لى بسرعة المشى، وكان قد شق بى
 بين قتلى المسلمين، فلما رآنى ولولت وتسخطت حنق^٥ على وضربى
 بسيفه جرحنى، فوقعت^٥ على وجهى^٥ بين القتلى، فعرانى بما^٦ كان على
 وتركنى ومضى،^٧ وصرت أنظر إلى الإفرنج^٨ يمرون على^٩ ويرجعون^٩،
 فلم أزل على تلك الحالة إلى أن رأيت طائفة من^{١٠} المسلمين يمرون متعجبين
 من قتلى المسلمين، وإذا يدوى على فرس^{١١} فصحت^{١١} [٢٦٠ : ب] به
 صياحا خفيا، فشعر بى، فتقدم إلى وكلمنى فكلمته، فنزل عن فرسه
 ولفنى بكساء، واستوصف^{١٢} منى دارى^{١٢} فوصفتها له، فأردقنى خلفه
 وسار بى إلى هنا، فأنزلنى وأخذ منى الكساء ومضى إلى حال سبيله. وها أنا
 (١) فى الأصلين : ينهبوا .

(٢ - ٢) فى بن : واحد منهم .

(٣) فى الأصلين : يريدوا . وزيد فى بن : بنا .

(٤) كذا فى بن، والكلمة فى بر : حنف .

(٥ - ٥) مطموسة فى بن .

(٦) فى بن : ما .

(٧ - ٧) فى بن : فصارت الإفرنج .

(٨) ساقطة من بر واردة فى بن .

(٩) ساقطة من بن .

(١٠) مطموسة فى بن .

كما ترانى . فتعجب زوجها مما اتفق لها و لاطفها ، فأقامت أياما يسيرة ،
و انتقلت بالوفاة إلى رحمة الله تعالى .

[حكاية تشتمل على فرج بعد أسر]

حكاية ^١ تشتمل على فرج بعد أسر ، و فقر بعد غنى ، و ضلالة
بعد هدى . ^٢ قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى : المؤمن فى الدنيا ^٣ أسير هـ
ولا فكاك للأسير إلا باحدى ثلاث . إما بالحيلة ، وإما بالعناية ، وإما ^٤ بالفدية
مأخوذ من ^٥ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : الدنيا سجن المؤمن و شأن
المسجون التحديق بعينه ، و الأصغا بأذنيه ، ليعمل الحيلة فى فكاك نفسه
منها .

حكى أن امرأة من أسارى الإسكندرية أخبرت عن نفسها أن ^{١٠}
الإفرنج ^١ استأسرتها حين ظفروهم بالإسكندرية ، فلما كانت ليلة الأحد
ثانى ليلة الواقعة ، اجتمعت جماعة من الإفرنج ^٢ فى مغارة بالجزيرة ظاهر
باب البحر معهم النسوة الأسارى ، قالت فكنت من جملة تلك النسوة ، فأتوا
بدجاج وأمروا النسوة ^٣ بطبخها فطبختهن ^٤ و أكلوا هم و هن ^٥ منها ، و أحضروا

(١) بهامش بر : حكاية .

(٢ - ٣) مطموسة فى بن .

(٣) مطموسة فى بن .

(٤) فى بن : الإفرنج .

(٥ - ٥) فى بن : بسلقها فسلقتها .

(٦) فى بن : ونحن .

الخمير فشربوا ، و عبثوا بالنسوة ، و رقدوا سكارى ، تعابا ، قالت المرأة :
و كنت أتذكر حيلة أعملها لأتخلص من الأسر ، فعينت هناك قفة ٣
فرزتها فوجدتها ثقيلة ، فحملتها ثم تخطيتهم ، و خرجت من المغارة ، و كانت
الشموع بها مركوزة تقد . قالت : فلما صرت خارجها رأيته ليلة مظلمة
مدلّمة ، فاخرقت الجزيرة في تلك الليلة المطيرة ، و أنا خائفة ، من أن
يدركنى منهم أحد . فطلبت باب البحر ، فصرت اعثر في جثث القتلى
إلى أن صرت داخل الإسكندرية ، فلم أزل ماشية بشوارعها إلى أن
أتيت دارى ، فلم أجد فيها شيئا مما كان بها ، فجلست فى أحد أركانها
إلى قريب الفجر ، فحفت أن يأتى أحد من الإفرنج . يستأسرنى ثانيا .
١٠ ففتحت القفة و جسييت ما فيها ، و إذا هى دراهم فى خريطة كبيرة ، فحفرت
و دفنتها ، و خرجت أنظر مكانا خربا أختفى به ، فوجدت فرنا قد كسر
بابه ، فدخلته و قصدت بيت النار ، فوجدته باردا و غطاؤه عليه ، فزحزحت
الغطاء و دخلته و سدده بغطائه كما كان ، فلم أزل مقيمة به إلى أن سمعت
صوت المؤذنين يؤذنون ، فعلمت أن أهل الإسكندرية رجعوا إليها ،

(١) فى بن : سكارا .

(٢) فى بن : مفكرة فى . (٣) مطموسة فى بن .

(٤ - ٤) مطموسة فى بن . (٥) فى بن : الفرنج .

(٦) فى بن : ١٩٧ : ب : فاذا .

(٧) فى بن : فزحفت .

(٨) فى بن : أصوات .

(٩) فى بن : عادوا .

فخرجت مسودة الثياب [٢٦١ : الف] جائعة الكبد ، فتمشيت إلى أن أتبت داري لآخذ من تلك الدراهم المدقونة شيئاً أشتري به ما أتبلغ به ٢ فوجدتها محفرة^١ الأرض ، ولم أجد الخريطة ، فحمدت الله تعالى وشكرته على السلامة من الأسر و الاسترقاق و البعد عن ٣ ديار الكفر ٣ و الإقامة بدار الإسلام ، و قلت الذي خلصني^٤ من الأسر لم يضيعني ، فوقع في ه أهل البلد الوباء من رائحة^٥ تغير الهواء^٦ و رائحة^٧ جيف القتلى و فراغ^٨ الآجال ، فصار^٩ يموت في كل يوم ما يزيد على المائة نفر^٩ ، فصرت غاسلة أغسل النسوان ، فحصل لي بذلك من المال ما^٨ استغنيت به^٨ عن ذل السؤال .

[حكاية المرأة المرتدة]

١٠

قال المؤلف * اعفى الله عنه و غفر له ١ : أخبرني الشيخ أبو عبد الله

(١) في بر : شيء . و هي مطموسة في بن .

(٢-٢) في بن : فوجدت الأرض قد حفرت .

(٣-٣) في بن : أرض الكفرة .

(٤) مطموسة في بن .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) في بر : الهوى . و في بن : الهواء .

(٧) في بن : برائحة .

(٨-٨) مطموسة في بن .

(٩) في بن : نفس .

(١٠-١٠) في بن : رحمه الله تعالى .

ابن يوسف البغدادي معلم دار الطراز بالإسكندرية قال : قدم كتاب من قبرس عند قدوم رسل القبرسي إلى الإسكندرية مع بعض الأسارى اللذين أرسلهم صاحب قبرس بسبب الصلح أرسلته امرأة من أسارى الإسكندرية وهي تقول لأمها فيه : إني مقيمة بقبرس وأن المصاغ الفلاني دفنته في المكان الفلاني من الدار ، فاحفري عليه وانتفعي به ، ولا تطمعي برجوعي إلى الإسكندرية أبداً ، فاني وجدت راحتي بها ، فقرحت أمها بوجود المصاغ الذي كانت تيقنت أنه أخذ كما أخذت ابنتها لتسد به فقرها وجوعتها ، وحزنت على ترك ابنتها لدين الإسلام ودخولها في دين الكفرة اللثام . وعدم رجوعها إلى الإسكندرية مع الأسارى ، ورضيت لنفسها الإقامة بين النصارى ، فصارت ١٢ باكية

(١) في بن : ورد .

(٢) في الأصلين : الذي .

(٣-٣) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٤-٤) في بن : لأمها وهي تقول .

(٥-٥) مطموسة في بن .

(٦-٦) في بن : مع .

(٧-٧) في بن : سدت بشمعه .

(٨) في بن : وجزعت .

(٩) في بن : دين .

(١٠) في بن : الطعام .

(١١) في بن : بالإقامة .

(١٢) في بن : فسارت .

العين ، حزينه القلب على فراق ابنتها وكفرها بغربتها ١ .
 وسيأتى فيما يرد من هذا الكتاب سبب ارسال القبرسى تلك
 الأسارى إلى الإسكندرية إن شاء الله تعالى . فانظر رحمك الله إلى المرأة
 الأولى كيف سعت في خلاص نفسها من النصارى الذين كانوا بالمغارة
 ٢ وخروجها منها هربا منهم بسعيها في ظلام ٣ الليل الممطر ، و تغيرها ٥
 بنفسها من يلحقها منهم يقتلها ، ودوسها في القتل ٢ ، وإخفائها نفسها ٢
 في فرن قد ٣ تضيخت بسواده ٤ حتى نجت من الكفرة الطغاة ٥ لتصير
 باقية على دين الإسلام . وانظر إلى المرأة الثانية كيف رغبت في دين
 الكفرة ٦ و معاشره الفجرة ٧ ، واختارتهم على دينها وأمها ووطنها لغرضها
 الفاسد ، ولعبها الزائد ، وإرادتها الفجور ، وشرب ٨ الخمر ، و سماع حس ٩
 الناي والطنبور ، و ركونها إلى النصارى ، و عدم رجوعها [٢٦١ : ب]

(١) في بن : في غربتها .

(٢ - ٢) مطموسة في بن .

(٣) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٤) كذا في بن ، وهى في بر : بسوادها .

(٥) في بن : اللثام .

(٦) في بن : الكفار .

(٧) في بن : أشرار الفجار .

(٨) في بن : مع شرب .

(٩) كذا في بن ، والكلمة في بر : حسن .

مع الأسارى ، فصارت مرتدة ضالة بين الأثام . نعوذ بالله من الضلال والآثام ، ونسأله الوفاة على الإسلام ، وما جاء به نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

[حكاية المرأة المهتدية]

و سأذكر هنا ٢ ضد حكاية هذه المرأة المرتدة إن شاء الله تعالى ٣ . قال سيدى إبراهيم الخواص : طالبتنى نفسى فى وقت من الأوقات بالخروج إلى بلاد الإفرنج . فخوفت نفسى فلم تكف ، وعملت على ٦ القاء الخطر ٦ فلم تنتف ٧ ، فخرجت اخترق ٨ ديارها ، وأجول أقطارها ، والعناية تكنفى ، والرعاية ١٠ تلهفى ، لا ألقى نصرانيا إلا أغض ناظره عنى ، وتباعد منى إلى أن أتيت مدينة من مدنها ، فاذا عند باب المدينة رجال معهم الأسلحة والمقامع ، فلما رأونى قاموا إلى وقالوا : أطيب أنت ؟ قلت : ما تريدون ؟ قالوا ٩ : ابنة الملك ضعيفة تدأويها . فقالوا ١٠ عرفوه الشرط قبل أن تحملوه إليها . فقلت : وما

(١ - ١) واردة فى بن وساقطة من بر .

(٢) ساقطة من بن .

(٣ - ٣) الجملة ساقطة من بن .

(٤) كذا فى بن ، وهى فى بر : سيد الخواص .

(٥) فى بن : العلوج .

(٦ - ٦) مطموسة فى بن .

(٧) فى بن : تنفته .

(٨) مطموسة فى بن .

(٩) كذا فى بن [١٨٩ : الف] ، وفى بر : قال .

(١٠) فى بن : فقال بعضهم .

هو الشرط ؟ فقالوا : قد أصابها اعتلال شديد ، و قد أعيا^١ الأطباء علاجها ،
و ما من طبيب دخل عليها و عالجها فلم يفد علاجه إلا قتله الملك ، فانظر
لنفسك . ثم إنهم حملوني إليها و قرعوا الباب التي هي داخله ، فاذا هي
تنادى : ادخلوا بالطبيب . ففتح الباب ، فاذا بيت مبسوط بالرياحين ،
و إذا ستر مضروب في زاوية البيت ، و من خلفه أنين^٢ ضعيف ، يخرج
من هيكل نحيف . قال : فقعدت بازاء الستر ، و أردت أن أسلم فذكرت
قول النبي صلى الله عليه و سلم « لا تبدوا^٣ اليهود و النصارى بالسلام ،
و إذا لقيتهم في طريق^٤ فاضطروهم إلى ضيق ، فأمسكت عن السلام ،
فنادت من داخل الستر : أين سلام التودد و الإخلاص ، يا إبراهيم
الخواص . فعجبت من ذلك و قلت : من^٥ أين عرفتي ؟ فقالت : إذا
صفت القلوب و الخواطر ، أعربت الألسن عن مخفيات الضمائر . سألت^٦
البارحة رب العزة أن يقيض^٧ لي وليا من أوليائه^٨ ، يكون لي على يديه
الإخلاص ، فتوديت إننا^٩ سنرسل إليك إبراهيم الخواص . فقلت : ما خبرك ؟
فقالت : إن لي أربع سنين قد لاح لي الحق المبين ، فهو المحدث و الأنيس
و المقرب و الجليس ، فظن بي أهلي الظنون ، و نسبوني إلى الجنون ، فما
دخل على منهم طبيب إلا أوحشني ، و لا زائر^{١٠} إلا أدهشني . قال : فبينما

(١) في الأصلين : أعيا .

(٢) مطموسة في بن .

(٣) في بن : الطريق .

(٤-٤) الجملة مطموسة في بن .

(٥) في الأصلين : زائر .

أنا أكلها، إذا دخل شيخ قسيس موكل بها قد دخل عليها . فقال :
 ما فعل طبيبك ؟ فقالت ^١ : عرف ^٢ العلة و أصاب الدواء ^٣ . فظهر عليه ^٤
 السرور ، و قابله ^٥ بالخطاب المبرور ^٥ ، و مشى ^٦ إلى الملك و أخبره ^٧ فأمره
 باكرامى ^٨ ، فبقيت أختلف إليها [٢٦٢ : الف] سبعة أيام . فقالت ^٩ :
 يا أبا إسحاق ^٩ الهجرة إلى دار السلام ، لاستريح من رؤية الكفار الطغام ^٩ ،
 فقلت : و كيف يكون خروجك ^{١٠} ، و من يتجاسر عليه ؟ فقالت : الذى
 أدخلك على ^{١١} ، و ساقك إلى ^{١٢} . فقلت : نعم . فلما كان من الغد ، خرجت أنا
 و إياها على باب المدينة ، فحجب عنا محجب العيون ، من إذ أراد أن يقول
 للشيء كن فيكون . فما رأيت أصبر منها على الصيام ، ولا أدوم على القيام ،
 ١٠ و جاورت بيت الله الحرام ، سبعة أعوام ، ثم قضت نحبها ، و كان بمكة قبرها .
 فانظر إلى هذه المرأة من تلك المرأة الأسيرة ^{١١} المسلمة التى أقامت بقبرس ^{١١}

(١) مطموسة فى بن .

(٢) فى بن : قالت .

(٣-٣) الجملة مطموسة فى بن .

(٤) فى بن : على القسيس .

(٥-٥) كذا فى بن ، و فى بر : بالبرور .

(٦) فى بن : و مضى .

(٧) فى بن : فأخبره .

(٨) فى بن : يا إبراهيم .

(٩) كذا فى بن ، و فى بر : الطفاة .

(١٠) ساقطة من بن .

(١١-١١) ساقطة من بر و واردة فى بن .

كيف تخلت عن دين الإسلام ، و اختارت دين الكفار الطغاة ١ ،
و إلى هذه المرأة كيف ٢ رغبت في الدين القويم ، و اهتدت إلى الصراط
المستقيم ٣ : ” من يهد الله فهو المهتد و من يضل الله فلن تجد له وليا مرشدا ٤ “ .

(١) في بن : اللام (اللثام !) .

(٢) في بن : التي .

(٣) مطموسة في بن .

(٤) قرآن كريم ١٨ : ١٦ - كذا في بر ، و الآية في بن : « انك لا تهدي من
احببت و لكن الله يهدي من يشاء » و هي من سورة القصص ٢٨ : ٥٦ . و
زيد هنا على بن ما يلي [١٩٨ : الف - ب] :

روى أن عيسى عليه السلام مرّ برجل عند قبر و كان يراه كلما مر به
جالسا فقال : يا عبد الله أراك تكثر اجلاوس بهذا القبر . قال : يا روح الله هو
قبر امرأتى كان من جمالها و موافقتها لي كيت و كيت و لي عندها وديعة . قال :
أتحب أن يحييها الله تعالى ؟ قال : نعم ، فصلى ركعتين و دعا الله تعالى ، فاذا رجل
أسود قد خرج من القبر كأنه جذع محترق ، فقال له : من أنت ؟ قال : رسول الله
أنا في عذاب مقدار أربعائة سنة ، فلما كان في هذه الساعة قيل لي : أجب فأجبت
ثم قال قد مر على من أليم العذاب ما (مطموس) . . . الله تعالى أعطيه
عهدا أن لا أعصيه فادع الله تعالى لي . فرق له عيسى و دعا له ، ثم قال له :
امض . فمضى . قال صاحب قبر المرأة : رسول الله قد غلطت بالقبر ، و إنما قبرها
هذا . فدعا عيسى ربه فخرجت (مطموس) . . . جميلة ، فقال : هذه
امرأتى ، فأخذ بيدها حتى انتهى إلى شجرة فنام تحتها ووضع رأسه في حجرها ، فمر بها
ابن الملك فنظر إليها و نظرت إليه فأعجبها وأعجبته ، فوضعت رأس زوجها =

[حكاية مروءة مع تغرير بالنفس]

حكاية تشتمل على مروءة مع تغرير بالنفس. أخبرني بعض المشايخ قال: لما دخلت الإفرنج الإسكندرية حين ظفرهم بها، قفلت^١ داري، وخرجت من باب السدرة بعيالي، وذلك قبل تمكنهم من البلد، ففكرت في نفسي، وقلت^٢ من المصلحة رجوعي إلى الدار أحرسها^٣، فان كان^٤ بقي في أجلى^٥ فسحة^٦ سلمت و سلمت الدار من النهب، وإن فرغ أجلى مت شهيدا^١ سعيدا، قال فرجعت أنا وصهرى أوثقنا الباب من داخله بالآقفال، وأركزنا خشبة خلفه، ونقلنا حجارة ضخمة^١ ركزناها وراءه، وصعدنا^١ إلى سطح الدار، نقضنا^١ من ستائره^١ حجارة صارت^١

= على حجر و تبعته، فاستيقظ زوجها، فقدها و طلبها فرآها فتنازع هو وابن الملك فيها، فبينما هو كذلك طلع عيسى فقطن عليه القصة، فقالت: أنا جارية هذا الفتى، تعنى ابن الملك، ولا أعرف هذا، تعنى زوجها. فقال عيسى لزوجها: رد علينا ما أعطيناك. قال: قد فعلت. فسقطت المرأة ميتة. فقال عيسى: هل رأيتم رجلا أماته الله تعالى كافرا ثم بعثه فآمن و امرأة أماتها الله تعالى مؤمنة ثم أحيها فكفرت.

(١) مطموسة في بن.

(٢) في بن: فعلقت.

(٣) في بن: فقلت.

(٤) في بن: لأحرسها.

(٥ - ٥) في بن: في الأجل.

(٦) في بن: واتخذنا.

عدة رمى بها من يأتينا منهم ١ ، فبينما نحن كذلك ، و 'إذا بالإفرنج' ٢
 قصدوا باب الدار و هو ٣ في زقاق اغـير نافدا ، فرميناهم من طاقتين
 ٤ بالحجارة على أعلى بابها ٤ ، فتركونا و مضوا من تتابع الحجارة عليهم .
 ثم عاودونا فعاودنا الرمي عليهم فمضوا آيسين منا بعد أن صاروا ينظرون ٦
 هل يحدون ٧ ٨ مسلقا يتسلقون ٨ منه إلينا ، فلم يحدوا مكانا لعلو الدار . ٥
 قال ٩ : فكان رجوعنا إلى الدار سببا لسلامتها من الإفرنج ١٠ و العرب
 النهاية التي تنهب ١١ من الديار ، ما فضل عن الكفار ، و سلم ١ بسبينا من ١
 كان حولنا من ١ الجار ١٢ ، و رجعت العيال إلينا سالمين ، فصرنا لربنا

(١) الكلمة مطموسة في بن .

(٢ - ٢) العبارة مطموسة في بن .

(٣) في بن : و هي .

(٤ - ٤) في بن : على بابها بالحجارة .

(٥) في الأصل : أعلا .

(٦) في بر : ينظروا ، و في بن : يتأملوا .

(٧) في الأصاين : يحدوا .

(٨ - ٨) في بن : مسلكا يتوصاون .

(٩) ساقطة من بن .

(١٠) في بن : الفرنج .

(١١) في بن : نهبت .

(١٢) في بن الجيران .

حامدين و شاكرين^١ ، فلو أن أهل الإسكندرية أقاموا بديارهم ، و رموا
 على^٢ الإفرنج بحجارهم ، كما فعل الشيخ و صهره^٣ ، و كما فعل ابن نخالة المتقدم
 ذكره بشارع المحجة ، ما كانت الإفرنج^٤ تصل منها إلى^٥ بيضة عجة^٦ ،
 و كان قد^٧ سلم من الأسر النساء و الرجال ، و الاماء^٨ و الأطفال ،
 إذ كانت عدة^٩ [٢٦٢ : ب] الإفرنج^{١٠} على ما قيل ستة عشر ألفا^{١١} ، و أهل
 الإسكندرية نحو مائة ألف ، و الكثرة بعون الله تعالى تغلب القلة^{١٢} . و كما^{١٣}
 قال الشاعر :

لا تقابل بواحد أهل بيت فضيفان^{١٤} يغلبان قويا^{١٥}

لكن أهل الإسكندرية لم يتقدم لهم قبل ذلك الوقت مع الإفرنج قضية ،
 بل كانوا مدة^{١٦} " طويلة هم و آبائهم " في عافية ، فلما رأوا ما حل بهم

(١) في بن : شاكرين .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن الفرنج .

(٤ - ٥) في بن : شيء .

(٥) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٦) في بن : هذه .

(٧) في الأصل : ألف ، و في بن : ألف نفس .

(٨) في بن : القوة .

(٩ - ١٠) مطموسة في بن .

(١٠ - ١١) في بن : سنين كثيرة .

من الداهية ١ ، ٢ فزعوا فتركوا ٢ ديارهم مقفولة ، حين ٣ رأوا سيوفهم ٤
مسلولة ، و شرد كل أحد من البلد فازع ، و عقله من الخوف جازع ،
فخرجوا من الأبواب شاردين ، و إلى البر طالبين ، فتمكنت من نهب
دورهم الإفرنج ٥ الكافرون ٦ ، ٧ و قتلوا من وجدوه بها مقيم ٨ ، من
الرجال و الحریم ، و كان ذلك بتقدير العزيز العليم . و لله در القائل ٥
٨ حيث يقول :

قالت ٨ أبحت بسرّ كنت تكتمه و صار شرك بين الناس مبدولا
فقلت يا هذه دمعى أباح به ليقضى الله أمرا كان مفعولا
فانظر إلى أرباب المروءات ، كيف يلقون أنفسهم للهالكات ، كفعل الشيخ
و صهره ، إذ حمى كل ٨ واحد منهما ظهر الآخر بظهره ، فالشجاع يحمى ٩
نفسه و جاره ، و الجبان تقتله الأعداء و تنهب داره .

(١) زيد في بن : الدمياة .

(٢-٢) في بن : تركوا .

(٣) في بن : لما .

(٤) في بن : سيوف الفرنج خلفهم .

(٥) في بن : الفرنج .

(٦) في الأصلين : الكافرين .

(٧-٧) في بن : و أسروا من وجدوا منهم . و صحة بر « مقيما » تركناها للسجع .

(٨-٨) ساقطة من بن .

[حكاية تشتمل على قوة قلب و تعزيز بالنفس]

حكاية تشتمل على اقوة قلب و تعزيز بالنفس . حكى أن بعض المغاربة أقام هو و عياله بداره حين ظفر الإفرنج بالإسكندرية ، فيما هم كذلك و إذا ' بالإفرنج ٣ ، أتوا بشارعهم ٤ ، فصادفوا فيه رجالا من المسلمين قتلوهم ، و كسروا أبواب ٥ دور به ٥ نهبوا غير دار المغربي لاستغنائهم بما أخذوه من تلك الدار ٦ ، فحمل كل واحد منهم ٧ ما أثقله حمله و مضوا ٨ . فقال المغربي : ' إن كنا سلمنا من هؤلاء لم نسلم من غيرهم ، و كان ينظر إلى فعلهم من تابوت ' خشب بطاقة بداره ' ، فنزل عند مضيه فتح باب داره ، و جر قتيلا ٩ مسلما ألقاه ' بدهليز داره ، ١٠ و جر قتيلا آخر ألقاه على عتبة ٢ بابها ، و ترك باب الدار مفتوحا ، و دخل و غلق باب قاعة الدار عليه و على عياله ، و صعد ينظر ٢ إلى

،

(١ - ١) العبارة ساقطة من بن .

(٢) مطموسة في بن [١٩٩ : الف] .

(٣) في بن : بالفرنج .

(٤ - ٤) في بن : قد أتوا إلى شارعهم .

(٥ - ٥) في بن : دويرة .

(٦) في بن : : الدور .

(٧) ساقطة من بن و واردة في بن .

(٨) ساقطة من بن .

(٩) في بن : فلا .

(١٠ - ١٠) في بن : بالدار .

(١١ - ١١) في بن من تلك القتل فآلقاه .

الشارع من ١ التابوت الخشب المحرم ، فصارت الإفرنج ٢ تمر عليه ٣ بالشارع ،
 فيجدون باب تلك الدار مفتوحا والقتلى به ، و في الشارع أيضا
 قتلى مطروحة ، و الأبواب مفتوحة ٤ ، فيتوهموا أنه لم يبق بذلك الشارع داره
 إلا ٥ و قد نهبت ٦ ، و لا رجال إلا ٧ و قد قتلت ٨ ، فيتركونه و يمضون
 إلى شارع ٩ غيره . فلما اطمأن المغربي [٢٦٣ : الف] بدخول المسلمين ٥
 البلد ، ألقى تلك القتلى التي بدهلز داره و على بابها ١ في الشارع ، و سلم
 هو و عياله من القتل و الأسر و النهب و الفرار مع من ٩ فر من أبواب البر .
 [حكاية تشتمل على فزع و جزع و فرج بعد شدة]

حكاية تشتمل على فزع و جزع و فرج بعد شدة و هلع و غير
 ذلك من ١٠ الواردات المستطردات ١٠ . حكى أن الإفرنج ١١ لما ظفروا ١٠
 بالإسكندرية ، و خرجوا ١١ منها بعد أن أوقروا مراكبهم بأموالها و أثاثها ٨

(١) مطموسة في بن .

(٢) في بن : الفرنج .

(٣) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٤) في بن : مفتحة .

(٥) في الأصلين : دارا .

(٦-٦) في بن : ونهبت .

(٧-٧) في بن : و قتلت .

(٨) ساقطة من بن .

(٩) زيد في بن : قد .

(١٠-١٠) في بن : الاستطردات .

(١١-١١) مطموسة في بن .

و أسراها، و رجعت أهلها الفارون^١ منها حين الوقعة إليها، أتى رجل منهم إلى باب^٢ داره، فوجد والدته بها^٣ صحيحة الجسم،^٢ سليمة من الجراح^٣، و مقنعتها و ثيابها مضمخة بالدماء، فتعجب من ذلك و قال: ما هذه الدماء التي أراها بثيابك و مقنعتك التي على رأسك^٤، و ليس بك جرح و لا ألم؟ فقالت: خبري عجيب، و أمرى غريب. فقال لها: أخبريني و بحالك^٥ حدثيني. فقالت: اسمع حديثا ما طرق أذنك أبدا، و لا سمعه مني إلى الآن أحد^٦. فقال: هبّيه و اذكره، و على يا أماء قصيه. قالت: نعم^٥. و ذلك أن الإفرنج^٧ لما أتوا إلى^٨ شارعنا، و أنا أنظر إليهم من كوة^٩ دارنا، أيقنت^{١٠} أنهم لم يتركوني، إما أن يقتلوني^{١٠} أو يأسروني، فكسروا باب دار فلان و دخلوها، فبادرت و خرجت من باب^٢ داري، و مضيت أطلب مكانا أختفي فيه^{١١}. فدفعت باب دار فانفتح فدخلتها، و صعدت من سلمها، فتوصلت منه إلى غرفة ليس بها سوى عجوزة كبيرة السن^٨ جالسة على سرير، فلما رأتني قالت: اصعدى

(١) في بن: الفارين. (٢) ساقطة من بن.

(٣-٣) ساقطة من بن.

(٤-٤) في بن: برأسك.

(٥-٥) مطموسة في بن.

(٦) في الأصليين أحدا.

(٧) في بن: الفرنج.

(٨) ساقطة من بن و واردة في بن.

(٩) في بن: طاق.

(١٠) مطموسة في بن. (١١) في بن: به.

عندى لأنى هاهنا وحدى ، وقد حصل لى ولها الرعب من جهة الإفرنج^٢
 فى الشوارع . قالت فلم يعجبني^٣ جلوسى معها على السرير ، بل^٣ انحنيت
 و دخلت تحته ، فبينما نحن كذلك و إذا بالإفرنج^٢ صعدوا إلى الغرفة ،
 فحين رأوا العجوز^٣ جالسة على السرير^٣ ، ولم يحدوا^٤ بالغرفة ما يأخذونه ،
 اختطفوها سيوفهم ، فصار دمها يسيل على رأسى و وجهى و ثيابى ؛ و أنا^٥
 خائسة مرتعبة^٥ ، فلو رأونى ، كانوا بها الحقونى ، و بسيوفهم هبرونى .
 ثم أنهم ولوا راجعين ، فبقيت بمكانى جالسة مرعوبة خائفة ، لا أقدر
 على حركة ، بل صار قلبى يضطرب كاضطراب السمكة ، فلم^٦ أزل مقيدة
 بذلك المكان ، حتى سمعت الأذان ، فعلت أن الناس وجعوا من
 فرارهم إلى ديارهم ، فأتيت إلى دارى ، فلم أجد بها قليلا و لا كثيرا ،^{١٠}
^{١٠} و لا جليلا و لا حقيرا^٧ ، فحصل لى الخوف الشديد من معاينة الإفرنج^٢
 و قتلهم للمرأة و سيلان دمها على و استنشاق^٨ لرائحة جيفتها حين جافت ،

(١) فى بن : هجمة .

(٢) فى بن : الفرنج .

(٣-٣) مطموسة فى بن .

(٤) فى بن : يروا .

(٥) فى بن : مرعوبة .

(٦) فى بن : ولم .

(٧-٧) ساقطة من بن .

(٨) فى بن : و انتشاق .

و روي [٢٦٢ : ب] حين خرجت من تحت السرير إلى صفة ما فعل بها ، و تفكرى فى أمرك ' هل أنت ' قتل أو أسير ' ؟ مع حزن على ضياع سترتنا ' المنهوبة من دارنا . فأى عجب أعجب مما رأيت ، و أى خبر أغرب مما وصفت ؟ فقال لها : صدقت . ثم أنه الآخر حدثها بما جرى عليه من فراره ' من الإفريج مع من فر ، و هم تابعونهم ' بسيوفهم المجردة عند خروجهم من الباب ، و كيف كان ' المسلمون ' يدوسون بعضهم بعضا من شدة الزحام إلى أن صار بعضهم موتى ١٠ من ذلك ، مع ما أخبرها بجوعه و إفلاسه ، و حفائه لضياع مداسه ، و خطف العرب لعمامته التى على رأسه . فقالت : يا بنى ما أظن أحدا فى هذه الدنيا ١١ مستريحا ١٠ و لا مريحا ' . فقال لها : و لا الرجل الذى حسد الكلب على النيع .

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) عن بن ، و الكلمة فى بر : أمرى .

(٣) ساقطة من بن .

(٤-٤) فى بن كذلك ، و فى بر : قتيلا أو أسيرا .

(٥) عن بن ، و فى بر : سترتها .

(٦-٦) فى بن [١٩٩ : ب] : له فى فراره .

(٧) فى الأصليين : تابعينهم .

(٨) فى الأصليين : كانت .

(٩-٩) عن بن ، و فى بر : تدوس بعضها .

(١٠) فى بن : ميتا .

(١١-١١) فى الأصليين : مستريح و لا مريح .

فقلت

فقلت : العجب العجاب و من يحسد يا ولدي ^١ السكلاب . قال ^٢ : أما سمعت خبر الرجل الذي طلبه الحجاج ليقتله فهرب منه في كل الفجاج ؟ قالت : و ما ذاك حدثني بحديثه .

[حكاية عن الحجاج بن يوسف الثقفي]

قال ^٣ كان الحجاج بن يوسف الثقفي أميرا على العراق ، و كان ^٤ سفاكا للدماء ، و يقول أكبر لذاتي سفك الدماء ^٥ ، و جريها ^٦ على الأرض كالماء ^٧ . فقتل ^٨ من الناس ^٩ كثيرا ، حتى من الصالحين ^{١٠} والعلماء ، تخاف الرجل منه حين طلبه ليقتله ، فصار هاربا منه ^{١١} يمينا و شمالا ^{١٢} لا يستقر بقرار ، و لا يقيم بيت ^{١٣} و لا دار ^{١٤} ، و لا يأوى بمكان

(١) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٢) في بن : فقال .

(٣) زيد في بن : نعم .

(٤) ساقطة من بن .

(٥ - ٥) الحملة ساقطة من بن .

(٦) في بن : و جريانها .

(٧) في بن : بكري الماء .

(٨) عن بن ، و في بر : الصالحين .

(٩) في بن : انه قتل الصلحا .

(١٠ - ١٠) العبارة ساقطة من بن .

(١١) في بن : بيلد .

(١٢) في بن : ديار .

ولا يطعمن إلى إنسان ۱ ، بل صار ۲ بعيدا عن سكنه ، بعيدا عن وطنه .
 فر بکلب بین جنین ۳ یفطر علیہ ماؤہما . فقال : لیتنی کنت ؛ مثل هذا
 الکلب فی الراحة و الأمن . فالبث ۴ أن مر به ذلك الکلب ، و فی
 عنقه ۵ حبل و هو یجر ، و علیہ آثار الشره . فسأل عنه فقال : جاء
 ۵ کتاب الحجاج إلى ۵ الولادة و الکتاب ؛ بقتل الکلاب ، فی کل الفجاء
 فقال ۵ الرجل ۵ : إذا لیس فی الدنیا مستريح ، و هج علی وجهه فی الفلأ
 خوفا ۶ أن یضرب ۶ بسیف الحجاج مندرجا ۶ فی جملة القتلی . ۶ و أنشد
 یقول ۶ فی المعنی :

کل من أشکو له قصتی لم ألاق غیر ذی قلب جریح
 ۱۰ یتشکی مثل شکوایا ۱۰ له یا لقومی ما علیها مستريح

(۱ - ۱) فی بن : یطمان لانسان .

(۲) فی بن : سار .

(۳) کذا فی بر ، و فی بن : حسی ، و نقطها ناقص و المعنی غیر واضح .

(۴) ساقطة من بن .

(۵) مطموسة فی بن .

(۶) فی بن : الفجاء .

(۷) زید فی بن : من .

(۸) کذا فی بن ، و الکلمة فی بر : یسیر .

(۹ - ۹) فی بن : فأنشد لسان حاله .

(۱۰) فی بن : شکوای .

فقلت المرأة لولدها ^١ : يا بني 'و كيف أن الحجاج يقتل العلماء و الصالحين ،
أما يخشى عقاب رب العالمين ؟ قال : لو كان فيه بعض الخير ^٢ ما قتل سعيد ^٣
ابن جبير سيد العلماء و قدوة الصالحين ^٤ و الاتقياء . فقلت ^٥ بالله حدثني ،
و بخبره ^٦ معه ^٧ عرقى .

قال ^٨ بلغني أن سعيد بن جبير كان عبدا لرجل من بني أسد ^٩
[٢٦٤ : الف] فاشتراه سعيد بن العاص في مائة عبد فاعتقهم أجمعين .
فكان سعيد بن جبير أفضل أهل المدينة ^{١٠} فقها و زهدا ، فخرج مع
عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج ، فلما انهزم ابن الأشعث إلى أصبهان
هرب سعيد بن جبير إلى مكة . فقبل لسعيد : ما أوجب خروجك على
الحجاج ؟ قال : سمعته يقول - أليس خليفة أحدكم ^{١١} في أهله خير من ^{١٢}
رسوله إليهم ؟ يعنى به أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان . فقلت :

(١) ساقطة من بن .

(٢-٢) في بن : أما كان رجل مسلم ، قال نعم هو الحجاج بن يوسف بن
الحكم بن عامر بن غروة بن مسعود صاحب النبي صلى الله عليه وسلم كان
في الحجاج خير ما قتل - الخ .

(٣) في بر : لسعيد . وهى كذا في بن .

(٤) في بن : الصلحاء .

(٥) زيد في بن : يا بني .

(٦) مطموسة في بن .

(٧) زيد في بن : نعم .

(٨) في بن : الدنيا .

‘لله على لا أصلي خلفه’ صلاة أبدا ، ولئن وجدت قوما يقاتلونه لأقاتلنه معهم . قال أبو حصين فبلغنا أن خالد^٢ القسري قد أمر على مكة . فقلت يا سعيد إن هذا الرجل لا يؤمن ، وهو رجل سوء ، وأنا أخاف عليك منه . قال سعيد : يا أبا حصين قد والله^٣ فررت حتى استحييت من الله تعالى ، مرحبا بما كتب الله لي . قلت^٤ : أظنك والله سعيدا كاسمك . فكتب الحجاج إلى خالد القسري بطلبه ، وذكر عن عون بن أبي شداد قال ذكر سعيد بن جبير عند الحجاج ، فدعا^٥ قائدا من أهل الشام يقال له المتليس بن الأخوص^٦ الثقفي وعشرين رجلا من ثقة^٧ أصحابه ، وأمرهم بطلب سعيد بن جبير ، وكتب معه كتابا إلى خالد القسري وهو ١٠ . إذ ذاك أمير على^٨ مكة يأمره بالقبض عليه وتسليمه إلى رسله مستوثقا به ، فطلب سعيدا فوجده قائما يصلي في الحجر ، قال المتليس^٩ : فرأيت أحسن الناس وجها^٩ وأفصحهم لسانا ، له^٢ وفرة إلى شحمة^٣ أذنيه .

(١-١) الجملة ساقطة من بن .

(٢) مطموسة في بن .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : قال .

(٥) عن بن ، وهي في بر : فدعى .

(٦) في بن [٢٠٠ : الف] : الأخوص (بدون نقط) .

(٧) في بن : ثقات .

(٨) زيد في بن : ابن الأخوص .

(٩) ساقطة من بر واردة في بن .

لم أر مثل هيبة و لا مثله لرجل من أهل زماننا . قال : فأخذته فانطلقت^١ به حتى نزلنا^٢ ماء لبني أسد . فقال : بهذا الماء جماعة من أهلي ، فان رأيت أن تطلق عني هذا الحديد . قال^٣ فأطلقت عنه حديدة ، فقال لك الله تعالى^٤ عليّ أن أرجع إليك . فلما كان في آخر النهار ، أتاني فأوثقته بحديده ثم مضينا . قال فأدركنا المساء ، عند صومعة راهب ، ه فأشرف علينا الراهب و قال : اصعدوا الدير فان حوله أسودا أخشاها عليكم . فصعدنا وأبى سعيد أن يدخل الدير ، و قال : والله لا أدخل بيت مشرك أبدا . قال : فانا لا ندعك^٥ فان السباع تفتلك^٥ . قال : فان معي ربي^٦ سبحانه و تعالى سيصرفها عني ، و يجعلها حرسا حولي ، فصعدنا و تركناه ، فاذا بلبوة قد أقبلت حتى دنت منه ، فمسحت به ، ١٠ و ربضت^٧ قريبا منه ، و أقبل^٨ الأسد فصنعوا به مثل ذلك^٩ . فلما رأى الراهب ما رأى من طاق صومعته نزل إليه و قال له : أنبي أنت ؟ قال : لا ولكنني عبد من عبيد الله خاطئ مذنب . قال : فسأله عن شرائع

(١) في بن : و انطلقت .

(٢) زيد في بن : على .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) كذا في بن ، وهي في بر : الليل .

(٥-٥) في بن : تأكلك السباع .

(٦-٦) في بن : فقال إن معي الله .

(٧) كذا في بن ، و الكلمة في بر : و ربطت .

(٨-٨) في بن : الأسد فصنع مثله ذلك .

١ دينه . [٢٦٤ : ب] ففسر^١ ذلك كله ، وأسلم الراهب على يديه .
ثم أن الرسل ساروا بسعيد حتى أتوا إلى مدينة واسط^٢ بعد أن
عرفوا بركته وحراسة السباع له ، فلما أشرفوا به على واسط^٣ قالوا :
ليتنا^٤ لم نرسل إليك ولم نرك ، فاعذرنا^٥ عند ربك . قال سعيد :
ما أعذرني لكم وأرضاني بما سبق من علم الله في ، فهل لكم أن تتركوا
سبيلي^٥ حتى أتزود ابقية ليلتي من الدنيا ، فخلوا سبيله^١ ، فغسل رأسه
وبدنه ومدرعته وكساه . فلما انشق عمود الصبح ، دخلوا به على المحجاج
افقال : ما اسمك أيها الرجل ؟ قال : سعيد بن جبير . قال : بل أنت
شقي بن كسير . قال : أمي كانت أعلم باسمي منك . قال : شقيت وشقيت
١ . أمك . ثم قال له^١ : لأبدلنك بدنياك^٢ نارا تلظى . قال : لو علمت أن
ذلك بيدك لاتخذتك إلها . قال : ما قوالك في محمد ؟ قال : نبي الرحمة
ورسول^٣ صلى الله عليه وسلم ، ختمت به الرسل . قال : فما تقول في
علي بن أبي طالب ؟ أفي الجنة هو أم في النار ؟ قال : لو دخلت الجنة
عرفت من فيها . قال : فما تقول في الخلفاء ؟ قال : لست عليهم بوكيل .
قال : فأيهم أعجب إليك ؟ قال : أرضاهم للخالق بعلمه الذي يعلم سرهم

(٢) مطموسة في بن .

(١-١) مطموسة في بن .

(٣-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٤) في بن : ليت أنا .

(٥-٥) في بن : تتركوني .

(-) ساقطة من برو واردة في بن .

و نبحواهم . قال : فأى الرجل أنا ؟ قال : أنا أهون^١ على الله من أن يطلعنى على غيبه . قال : أبيت أن تصدقنى . قال : بل لم أرد^٢ أن أكذبك . قال : الويل لك يا سعيد . قال^٣ : الويل لمن زحزح عن الجنة و أدخل النار . فقال له الحجاج : ألم أقدم الكوفة و لم^٤ يؤم بها الأعربى فجعلتك إماما : قال^٥ : بلى ! قال : ألم أوليك القضاء^٦ فضج أهل الكوفة^٧ و قالوا لا يصلح للقضاء إلا العربى فاستقضيت أبا بردة بن أبى موسى الأشعرى^٨ و أمرته أن لا يقتفى أمرا دينك ؟ قال : بلى ! قال : أو ما أعطيتك خمسمائة^٩ درهم ففرقتها فى أهل الحاجة^{١٠} فى أول ما رأيتك ثم لم أسألك^{١١} عن شيء منها ؟ قال : بلى ! قال : فما بالك لم تضحك قط ؟ قال : وكيف يضحك مخلوق من طين ، و الطين تأكله النار^{١٢} ، و لا يدرى^{١٣} بعد ذلك أىصبحه الموت أم يمسيه ؟ و كان الحجاج رقق عليه ، و رجا له كل من حضر الخلاص من بين يديه . ثم قال له الحجاج^{١٤} : فما أخرجك على ؟ قال : بيعة كانت لعبد الرحمن بن الأشعث فى عنق . قال فغضب

(١) فى بن : اهر .

(٢) فى الأصلين : اريد .

(٣) مطموسة فى بن .

(٤) فى بن : و ليس .

(٥) فى بن : مائة الف .

(٦-٦) كذا فى بن ، و الجملة فى بر : لم أسئلك .

(٧) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : الناس .

(٨) ساقطة من بن .

الحجاج حتى زال رداؤه عن منكبيه وقال ١ : أو لم تتقدم في عنقك بيعة ٢ ٣ أمير المؤمنين ٣ عبد الملك بن مروان من قبل ؟ ثم قال : يا شقي اختر لنفسك قتلة أقتلك . قال له : بل اختر لنفسك فان القصاص أمامك . قال : والله لأعجلنك إلى النار . قال : لو علمت أن ذلك ٥ [٢٦٥ : الف] بيدك لاتخذتك إلها . قال فاغتاظ عليه الحجاج وقال : اقتلوه ! قال : أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمدا عبده و رسوله . ثم ضحك ، فقال : ما أضحكك ؟ قال : عجبت من جرأتك ٦ على الله و من حلم الله تعالى عنك ٧ ، و أنا أسأل الله تعالى بعزته و سلطانه أن لا يسلطك على قتل ٨ أحد من المسلمين بعدى ٩ ، و أكون فداء المسلمين أجمعين ، فهذه ١٠ دعوتى عند قتلتى ٩ . قال فلما أراد قتله ، استقبل القبلة و قال : ” وجهت وجهى للذى فطر السموات و الارض حنيئا و ما انا من المشركين ١١ “ . قال الحجاج : حولوا وجهه عن القبلة ، قال : ” فإنيما تولوا فثم وجه الله ١٢ “ . قال فأمر به فأضجع و قال : كُتبوه على وجهه . فقال : ” منها خلقنكم ، و فيها نعبدكم و منها نخرجكم تارة اخرى ١٣ “ . قال : اذبحوه من قفاه !

(١) في بن : قال . (٢) ساقطة من بن .

(٣-٣) ساقطة من بر و واردة في بن : أمير المعين .

(٤-٤) ساقطة من بن .

(٥) الكلمة ساقطة من بر و واردة في بن [٢٠٠ : ب] .

(٦) مطموسة في بن . (٧) في بن : منك . (٨) في بن : بعد .

(٩) في بن : قتلى . (١٠) قرآن كريم ٦ : ٧٩ .

(١١) قرآن كريم ٢ : ١١٥ . (١٢) قرآن كريم ٢٠ : ٥٥ .

قال قذبح فجرى منه دم عظيم استكثره كل من حضر و هاهم ذلك .
فقال الحجاج : هذا لاجتماع نفسه و أنه لم يجرع من الموت و لا هابه
ما فعلت به ، و غيره نقتله و هو مفتوق النفس ، فيقل^١ دمه لذلك . ثم
أنهم^٢ قتشوه فوجدوا في ثوبه ثلاثة عشر درهما ، فاختصم فيها الذي قتله
٣ و الذين جا (ءوا) ٣ به ، فقضى بينهما^٣ الحجاج للذي قتله . و اختلط
عقل الحجاج في الوقت ، فجعل يقول : " قيدونا ثم قيدونا " . فلم يعلموا
ما الذي أراد ، فقطعوا ساقى سعيد من أنصافها بالقيود التي كانت عليه ،
و حزوا عنقه^٤ إلى أن بان رأسه عن جسده ، و كان قتل سعيد بن
جبير و هو ابن سبع و أربعين سنة .

و قيل لما بلغ الحسن البصري قتله قال : اللهم يا قاصم الجبارة ١٠
اقصم الحجاج .^٥ فلم يعيش الحجاج^٦ بعد قتل سعيد بن جبير إلا^٧ ستة
عشر يوما^٨ . و وقعت أكلة في بطنه ، و دعى^٩ بالطبيب لينظر إليه ،
فأخذ لحما و علقه في خيط إبريسم و شرّحه في حلقه و تركه ساعة ثم
استخرجه^{١٠} و قد لصق به دود كثير ، و سلط الله^{١١} عليه الزمهرير ،

(١) مطموسة في بن .

(٢) ساقطة من بن .

(٣-٣) كذا في بن و بعضها مطموس ، وإهي في بر : و الذي جاء .

(٤) في بن : فيها .

(٥-٥) في بن : قيودنا قيودنا .

(٦) كذا في بن ، و الكلمة في بر : برأسه .

(٧-٧) مطموسة في بن .

(٨) زيد في بن : تعالى .

فكانت الكوانين تجعل حوله مملوءة نارا، و تدنى منه حتى يحترق جلده^١، و مُنع من النوم، فاذا همَّ أن يغنى^٢ وثب مذعورا و قال: ما لي و لسعيد^٣ بن جبير . و أرسل في طلب الحسن^٤ البصرى، فأتاه فشكى^٥ إليه ما نزل به . فقال الحسن: قد نهيتك أن لا تتعرض للصالحين . فلاححت ليقضى الله أمرا كان مفعولا . و خرج الحسن من عنده فسئل عنه فقال: دخلت عليه و قد تغير لونه، و غارت عيناه من السهر، و احترقت ثيابه، و تسلق جلده من حر النار في تسعة كوانين حوله، فكلمني و قد ضعف و سحج صوته ثم قال: [٢٦٥ : ب] يا حسن ألا أسألك^٦ أن لا تسأل الله أن يفرج عني، و لكن أسألك^٧ أن تسأله أن يقتص مني، و يقبض روحي و لا يطيل عذابى، و يفعل بى ما شاء . قال فبكى الحسن بكاء شديدا . و أقام الحجاج بهذا الحال خمسة عشر يوما و مات .^٨ فقال الشاعر:

و من عجب الأيام أنك قاعد على الأرض في الدنيا و أنت تسير
تسير الليالى بالفتى^٩ لا يحسها^{١٠} من الناس إلا عاقل و بصير

١٥ فسيرك يا هذا كبير سفينة يقوم جلوس و القلوع تطير

(١) مطموسة في بن

(٢) في بن: يغفا .

(٣) في بن: فشكا .

(٤) كذا في بن، و الكلمة في بر: أسئلك .

(٥) ساقطة من بن . كذا من بر و هامشها، و لعل الصواب « لا أسألك أن

تسأل الله أن يفرج عني و لكن الخ » .

(٦-٧) مطموسة في بن .

فلا تطلب الدنيا بطول غنائها فتأتى إلى الأخرى و أنت فقير
أما تنظر الحجاج من بعد ظلمه و كثرة أموال له و قصور
غدا للثرى بالذل من شؤم ظلمه و صار حديثا فى الأنام نكير
و نظرت هند بنت أسماء بن خارجة زوجة الحجاج إلى الحجاج مُسَجَّجًا
و هو ميت فقالت :

ألا يا أيها 'الجسد المسجج' لقد قرت بمصرعك العيون
و كنت قرين شيطان رجيم ٣ فلما مت أسلمك القرين
و قيل إن هند لما معه أخبار منها أنها ولدت منه ولدا، فلما رآه
ذمه بكل ذم قبيح، فأنشدته تقول :

و هل هند إلا مهرة* عربية سليمة أفراس تحملها بغل ١٠
فلما سمع ذلك منها طلقها لوقتها، و دفع لها صداقها مائتى ألف درهم،
و لحقت بقومها^١، فأرسل أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خطبها

(١) يمكن قراءة الكلمة فى بر « مسججا » و لكن بمقارنتها مع بن يظهر بوضوح
أنها « مسججا » أو « مسجى » بمعنى « مغطى » .

(٢) فى بن : أيها .

(٣) فى بن : صريد .

(٤) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٥) كذا عن بن [٢٠١ : الف] ، و الكلمة فى بر : مرأة .

(٦) زيد فى بن : بعد أن بهتته بأبيات منها :

و إن جياذ الخيل و هى صواهل مطايا لأبناء الحمير النوا (هق)

و فى الأصل « الحمير » و كلمة « النوا هق » آخرها ضائع فى الترميم ، انظر النص
فيما بعد .

بعد وفاء^١ عدتها ، فأرسلت تقول له : شرطى يا أمير المؤمنين بعد صدأى
 أن تأمر عاملك الحجاج أن يأخذ بزمام ناقتى من الكوفة إلى دمشق .
 فأرسل عبد الملك يقول : إن هذه المرأة شريفة فى قومها ، كريمة^٢
 فى نسبها ، وما يضررك أن تأخذ بزمام ناقتها إلينا فلم يجد له بدا
 ه من ذلك ، ٣ لطاعة أمير المؤمنين ولعدم مخالفة مرسومه ٣ ، ثم أنها
 تجهزت ، ٣ وسارت فى محفل كبير ٣ ، وسار^٤ الحجاج قائدا ه لزمام
 ناقتها ه على غيظ وحق منه نادما^٥ على طلاقها ، فلما قالوا هذه غوطة
 دمشق ، رمت من هودجها دينارا إلى الأرض^٦ وقالت : يا جمال
 أعطنى الدرهم الذى وقع منى^٧ . فأناخ الحجاج راحلته ٣ التى هو راكب
 ١ عليها ٣ ونظر^٨ فى الأرض ، ٣ فوجد دينارا ٣ ، فقال : ليس هو بدرهم ،
 وإنما هو دينار . ٣ وناولها ٣ فقالت : الحمد لله يا حجاج^٩ ، وقع منى
 درهم فوجدت^{١٠} دينارا . فلما سمع كلامها^{١١} ازداد غيظا على غيظه . ثم

(١) فى بن : انقضاء .

(٢) فى بن : حسية .

(٣-٣) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٤) كذا فى بن ، والكلمة فى بر : صار .

(٥-٥) مطموسة فى بن .

(٦) فى بر : نادم . وهى كذا فى بن .

(٧) مطموسة فى بن .

(٨) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٩) فى بن : فوجدناه .

(١٠) فى بن : مقالته تلك .

قالت تهجوه^١ : [٢٦٦ : الف]

وما كنت من أبناء جنسى فلتقى خلائقك القبحا وحسن خلائقي
 'ولكن جياذ الخيل' وهي صواهل مطايا لأبناء^٢ الحمير النواهي^٣
 فازداد^٤ ٣ هما على همه ٣ ، وغما^٥ على غمه . ثم لما مات عبد الملك ردها
 إلى عصمته ، فلما^٦ انتهت مدته^٧ أنشدت البيتين المتقدم ذكرهما^٨ 'وهما
 'ألا يا أيها الجسد المسجى ، إلى آخرهما .

ولما مات^٩ الحجاج رثى^{١٠} في المنام ، ف قيل له : ما فعل الله بك ؟
 قال : قتلني بكل من قتلته قتلة ، و قتلني بسعيد^{١١} بن جبير سبعين قتلة .
 عن أبي موسى الأشعري ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله
 عز وجل يملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ : " و كذلك اخذ
 ربك إذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد^{١٢} " ، اللهم إنا

(١) مطموسة في بن .

(٢-٣) الجملة مطموسة في بن .

(٣-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٤) في بن : نعمما .

(٥-٥) في بن : فلما .

(٦-٦) في بن : مات .

(٧) في بر : روى . وفي بن : روى .

(٨) قرآن كريم ١١ : ١٠٢ .

(٩) استبدلت العبارة الآتية في بن [٢٠١ : الف - ب] من هنا إلى قوله « سبحان الله

العظيم » بكلام طويل فيه طمس بالكتابة وخيل في العبارة وتعقيد في تسلسل السياق ، =

== فآثرنا إدراجها بالهامش على ما هو عليه من غير تحريف ولا تبديل فيما به من الطلاسم، وهو كما يلي: ... (مطموس)... بأمير بني خفاجة أبو فليته وجماعة من رؤس قومه أسارى... (مطموس)... الحجيج وهم راجعون من الحج، وغوروا المناهل التي يردها الحجاج، ووضعوا فيها بطيخ الحنظل، قيل إنه مات من العطش نحو من خمسة عشر ألف حاج، وأخذوا بقية الحجاج... رعات (كذا) لمواشيهم في أسوء حال، وأخذوا بجميع ما كان معهم من الأجمال والأجمال، فحين أحضر الوزير نحر الدولة (في الأصل: الدوه) أبو فليته أمير (في الأصل: أمر) خفاجة وأصحابه مأثورين سجنهم، ومنهم شرب الماء ما فعلوه مع الحجاج ثم صلبهم تلقاء نهر دجلة أحياء ينتظرون صفاء الماء ولا (يقوون على) شرب شيء منه حتى (ماتوا عطشا) في هذا الصنع، واقتدى في ذلك بمحدث أنس في الرعاة) الذين كانوا في (زمان النبي صلى الله عليه وسلم)، والحديث المذكور في الصحيحين، ثم بعث الوزير نحر الدولة إلى واليك الحجاج الذي جعلتهم... (مطموس)... لمواشيهم فجاء بهم وقد تزوجت نساؤهم، وقسمت أموالهم، فردوا إلى أهاليهم وأموالهم، فينبغي لولاة الأمور ردع الظلمة عن المظلومين، ففي ذلك رضى رب العالمين. كان أبو النجم الكردي الملقب ناصر الدولة من خيار الملوك بناحية الدينور وهذان له سياسة وصدقة كبيرة، وكانت أعماله في غاية الأمن بحيث إذا أعيأ جمل أحد من المسافرين فتركه بما عليه في البرية رد إليه ولو بعد حين بما كان عليه لا ينقص منه شيء. ولما عنت أمراؤه في البلاد بالفساد، عمل لهم ضيافة حسنة، فقدمها إليهم ولم يأتهم بخبز، فجلسوا ينتظرون الخبز يأكلوا به الطعام الذي مد لهم، فلما استبطوه سألوا عن الخبز، فقال لهم: إذ كنتم تهلكون الحرث وتجورون على الفلاحين فمن أين يأتون بالخبز. ثم قال لا أسمع بأحد أفسد في الأرض إلا أرت (دمه). واجتاز مرة في بعض أسفاره برجل معه حزمة حطب وهو يبكي فقال له: ما أبكك؟ فقال: إني كان (معى رغيفان) أريد أن أتقوت بهما فأخذهما منى بعض الجند. فقال: ==

= أ تعرفه إذا رأيته ؟ قال : نعم . فوقف به في (مضيق) حتى مر عليه الجند ، فلما اجتاز به ذلك الجندی الذي أخذ منه الرغيفين قال : هذا هو . فأمر به أن ينزل عن فرسه و أن يحمل هذه الحزمة الخطب من الخطاب حتى بلغ بها إلى المدينة فأراد أن يفتدى من ذلك بمال ، فلم يقبل منه حتى يا (دب) به الجيش كلهم . و كان له صدقات و معروف كثير على الفقراء و الأراامل و الأيتام و تكفين الموتى و المجاورين بالحرمين الشريفين و عمارة المصانع و إصلاح المياه و حفر الآبار بطريق الحجاز . و ما اجتاز بما في طريقه إلا و عمر عند و عمر في أيامه الخانات و المساجد في الطرقات ما ينيف على ألفي خان و مسجد . فإذا أمسى الليل في الطرقات (ت) السفار نزأوا الخان و صأوا في المسجد الذي به ، و اشتروا من دكان الخان ما يتعيشون به . و كان له من الخي (ل) المربطة في سبيل الله بر (م الجهاد) ما ينيف عن عشرين ألف فرس . و كان كثير الصلاة و الذكر ، و كان مدة ملكه (اثنان) و ثلثين سنة و دفن (بمسجد) على بن أبي طالب . فانظر إلى فعل الملك أبي النجم الكردي ، و من أذى الحاج و قصد . . . (مطموس) ظلمهم ، و إذ قد . . . (مطموس) الرغيفين اللذين (أخذهما الجندی من) الخطاب ، فسا ذكر ما قيل في الرغيف (قال بعض) الصالحين : تفكرت في هذا الرغيف (مطموس) . . . (و لم يروا) انا نسوق الماء إلى الأرض الحرز فيخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم و أنفسهم) صرون فالملائكة موكلون بالماء يسوقونه إلى الأرض كما قدر الله تعالى لقوله « و بخرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر » (قرآن كريم ٥٤ : ١٢) أهل الأرض موكلون بآلة الحرث فيحرثون الأرض و يرمون فيها البذر ، و يوكل الله به (الملائكة يحفظونه من) الأرض و هوامها حتى ينبت ، فإذا نبت و كل الله به ملائكة يحرسونه من الطير حتى يظهر (سنبله بأمر الملك الوهاب) =

براء من جور الظالمين و ظلم الظالمين ، و إنا محبوبون لعدلك في الآخرة ،
فلا تجن علينا بسخطك ، و اغفر ذنوبنا إنك على كل شيء قدير . قال
أبو الحسن الشاذلي : إن أردت أن لا يصدى لك قلب ، و لا يلحقه
هم و لا كرب ، و لا يبقى عليك ذنب ، فاكثر من قول سبحان الله
ه و بحمده سبحان الله العظيم .

[حكاية مؤلمة لقلب امرأة مسلمة]

حكاية مؤلمة لقلب امرأة مسلمة . حكى أن امرأة مغربية كبيرة
السن توفى ولدها و ترك ولدا فطيمًا يتيمًا من أبيه و أمه . فوصى

= فيلحقه و لو زاد عليه شيء من الأرض لأتلفه . قال الله تعالى : « و كل شيء
عنده بمقدار » (قرآن كريم ١٣ : ٨) . و قال الله تعالى : « و أرسلنا (الرِّيح)
لواقح » (قرآن كريم ١٥ : ٢٢) ثم يسخر الله تعالى البخار بالحديد حتى يعمل
له آلة الحصد أو انه وقت انتفاعه كالمنجل و المقصل و أحصد . و كل الله به
ملائكة تحرسه من الفار ثم يدرس ثم يحمل على ظهر الأنعام ثم يخلق الله تعالى
من يقطع الحجارة و يبني الطواحين فيطحن ويعجن ، و من يبني الأفران
و يجزه ، ثم يأتي به إليك ، فانظر ما تجدد من الرغبة . و قال بعض الصالحين :
دخلت طاحوننا في (فرأيت) الجمل يدور و عيناه مغطيتان فقلت
بلسان الحال : أراك مغطى (العينين) هذا الوقت أحب فيه فتح
عيني كلما نظرت إلى نعمة خالقي يزداد في قلبي محبته . قال النبي صلى الله عليه
و سلم : جبت القلوب على حب من أحسن إليها و ليس العبد يحسن غير مولاه .
(١) في بر : مؤمنة . و صحتها في بن كما أوردنا بالضم .

الرجل والدته عليه في مرض موته ، و ترك له من الدراهم النقرة ألفين ،
فدفتها المرأة بالأرض حفظا لها . فلما ظفرت الإفرنج ٢ بالإسكندرية
حملتها معها وحملت جاريتها الولد المذكور و مضوا هارين مع جملة من هرب
من باب البر . فشقلت الدراهم على المرأة و عجزت عن حملها لكبر سنها ،
فصادفت رجلا كان صديقا لولدها ٣ في حياته ٣ ، فمكنت إليه و ذكرت ٥
له عجزها عن حمل مال اليتيم ، و لم تجد دابة تكثريها لتحملها ٦ و سأله
أن يحمل ذلك ٦ عنها ، و يحفظه لليتيم ٣ ، و يكون عنده وديعة إلى أن تأمن
الناس ٣ . فأخذ تلك الدراهم منها و مضى إلى حال سبيله . فلما أمنت الناس
سأله في رد الوديعة فأنكرها ، و جحدتها فعادت عليه السؤال و هو لا يزيد
على الإنكار و الجحود شيئا . ففعل لها لما ٧ شكت حالها لغيرها : ما منعك ١٠
من ترك ٨ الدراهم مدفونة ٩ ، أكانت الإفرنج ٢ تعلم ما تحت الأرض ؟

(١) في الأصلين : فدفتها .

(٢) في بن [٢٠١ : ب] : الفرنج .

(٣-٣) العبارة ساقطة من بن [٢٠٢ : الف] .

(٤) الكلمة ساقطة من بر و واردة في .

(٥) في بن : فسأله .

(٦-٦) عن بن ، وفي بر : يحملهم .

(٧) في بن : حين .

(٨) في بن : ان تكون .

(٩) ساقطة من بن .

قالت : نعم ، كانت الأرض أحفظ لها ، لكن ا حملني على حملها معي
 وقعة طرابلس الغرب ٢ وأخذ الإفرنج لها ٢ وإقامتهم بها مدة أشهر ،
 وحفرهم لأراضى ٣ بيوتها ، [٢٦٦ : ب] لطول إقامتهم بها ، حسبت
 أن الذى ظفرنا بالإسكندرية يقيم بها هو و جيشه كما أقاموا بطرابلس ،
 • ويحفروا ٥ و يأخذوا الدراهم ٢ المذلورة بحفرهم ديارها المعمورة ٢
 ولو علمت أنهم أتوا لصوصا خطافة نهاية ، لا يلبثوا بها كما لا يلبث
 اللص بمكان سرق منه ، كنت تركتها بمكانها . قيل لها : فكنت تركت
 الجارية تحملها لقوتها ١١ وشبابها ١٢ . قالت : يكفي الجارية حملها للولد ١٣ ،

(١) في بن : والكن .

(٢-٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : اراضى .

(٤-٤) في بن : فظننت أنهم يقيموا بالإسكندرية .

(٥) ساقطة من بن و واردة في بن .

(٦-٦) الجملة مطموسة في بن .

(٧) ساقطة من بن .

(٨) في بن : مكانها .

(٩) كذا في بن ، والكلمة في بن : تركتى .

(١٠) الكلمة مطموسة في بن .

(١١) في بن : لقدرتها على ذلك .

(١٢-١٢) في بن : اكتنيت للجارية بحمل الولد .

و خفت أن العربان تخطف الجارية^٢ بما معها^٢ كما خطفوا غيرها،
لأن الإفرنج^٣ كانت تنهب في^٤ البلد،^٥ والعرب ينهبون من خرج
منها بشيء له في البر^٥، وذلك لكثرة العرب^٦ وحرصهم على خطف
من وجدوا معه شيئاً، فانهم أتوا ينصرون أهل الإسكندرية، فصاروا
عليهم نقمة و بلية^٦. ثم أن المرأة حملت على قلبها من أمر الوديعة^٧ ه
و المودع المذكور، فماتت بغمتها^٨ وقهره لها. فصار الصغير مع
الجارية حائرة به، لم تجد ما يقوم بهما^٩، فرفعت أمرها^{١٠} للنائب السلطان^٢

(١-١) كذا في بن، و العبارة في بر: من العرب الجارية (كذا).

(٢-٢) الجملة مطموسة في بن.

(٣) في بن: الفرنج.

(٤) ساقطة من بن.

(٥-٥) في بن: والعربان تنهب من قد شرد.

(٦-٦) في بن: والعربان الذين جاءوا لقتال الفرنج (فلما لم يقدروا) على

الفرنج صاروا ينهبوا المسلمين ويحرصوا على خطف ما وجدوه مع الناس

الخارجين من باب البر. وفي بكلمة «ينصروا» صححناها.

(٧) ساقطة من بن و واردة في بن.

(٨) في بن: قهرا. (وما تلاها من الجملة مطموس).

(٩) في بن: بها وبالصغير.

(١٠-١٠) في بن: فرفع الأمر.

بذلك^١، فأدعى بالرجل و سائسه بالحد و اللين^٢ حتى أخذ^٣ لليتيم ماله بكأله^٤.

[حكايات في الودائع]

و إذ قد ذكرت^٥ الوديعة، فسأذكر ما قيل في الودائع إن شاء الله تعالى^٥. قيل إن رجلا أودع عند رجل كيسا محتوما^٦ فيه ألف دينار، و سافر و رجع من سفره بعد ثمان سنين، فطلب الكيس منه، فأعطاه إياه بختمه كما دفعه له أولا، فمضى الرجل به إلى داره فتحه و صبه، فاذا هو دراهم، و كان المودع المذكور فتقه من أسفله، و أخذ ما فيه من الذهب، و جعل مكانه دراهم، و خاطه فصار كما كان^{١٠} محتوما. فرفع صاحب الكيس أمره إلى القاضي، فأحضره و سألته عن ذلك، فقال: إنه دفع لي كيسا محتوما لم أعلم ما فيه، و أعدته له بختمه، فقال صاحب الكيس: نعم^٧، وجدته محتوما بختمى، لكن كان^٧ دنانيرا فوجدته دراهما^٨، و كان المودع صاحبه رجلا مشهورا بالأمانة.

(١) في بن: بالإسكندرية.

(٢-٢) في بن: فأحضر الرجل و أخذ باللين و الحد.

(٣) في بن: استخلص.

(٤) في بن: بكأله و كماله.

(٥-٥) مطموسة في بن.

(٦) الكلمة ساقطة من بن.

(٧-٧) في بن: دنانير - دراهم.

فتحير الحاكم^١ و قال : احضروا لي مشايخ الفقهاء ، فمثل هذا^٢ لا يهمل^٣
 بشهرته^٤ ، أي : صاحب الكيس يصدق^٥ القول بين الناس . فلما
 حضرت مشايخ الفقهاء فكلهم جعلوا القول قول المستودع ، لأن صاحب
 الكيس أقر أنه محتوم بختمه^٦ ، فقال أحد الفقهاء . و كان لا يؤبه له :
 متى أودعته إياه ؟ قال : من مدة^٧ ثمان سنين . قال^٨ لغريمه : هكذا ه
 تقول ؟ قال : نعم ، فقص^٩ ذلك الفقيه إظهار^{١٠} نفسه ليصير^{١١} في درجة^{١٢}
 تلك المشايخ الفقهاء ، و قال : إن رأى مولانا القاضي أيده الله تعالى
 و وفقه للصواب^{١٣} [٢٦٧ : الف] أن يحكمي بينهما^{١٤} سيري ما أحكم
 به^{١٥} . قال : قد حكمتك و أمضيت ما تحكم به . قال : و أين الكيس ؟
 قال : ها هو . فقال للرجلين : انظرا^{١٦} ! . فنظرا^{١٧} فاعترفا به . فقال : وانظرا^{١٨} .
 ١٠

(١) في بن : القاضي .

(٢-٣) العبارة ساقطة من بن .

(٣) في بن : لشهرة .

(٤) الكلمة ساقطة من بن .

(٥) في بن : لصدق اللهجة و القول .

(٦-٦) في بن : لإقراره أنه وجدته محتوما بختمه .

(٧) ساقطة من بن و واردة في بن .

(٨) في بن : فقال .

(٩-٩) مطموسة في بن .

(١٠) في بن : الصواب .

(١١) عن بن ، وفي بن : وانظروا .

إلى ١ مكان الختم . فنظراه و اعترفا . فقال : و أنما متفقان على المدة ؟
 فقالا : نعم . ففتح الكيس و جعل يقلب الدراهم و ينظر إليها و يضعها
 و ينظر إلى كل واحد منها ٢ ، فقال للمستودع : اتق الله و اردد على الرجل
 دنانيره قبل أن ينتهك سترك . قال : أفبغير الحق تحكم ؟ قال : لا والله
 ٥ إلا بالحق . و مال ٣ الناس كلهم ١ مع المستودع و قالوا : لا نصبر على الهوى .
 فقال : لا والله ولا ٤ أحكم في دين الله بالهوى ، اشهدوا على أنى ٥ قد حكمت
 على هذا الخائن برد الدنانير و باسقاط ٦ أمانته . قالوا : من أين حكمت ؟
 قال : إني سألتها بأن الوديعة لها ثمان ٧ سنين ، فاعترفا بذلك ٨ إلى آخره ٩
 ثم قرأت سكك الدراهم فإذا فيها ما قد ضرب من ١٠ سنة ، و منها
 ١٠ ما قد ضرب من ١١ ثلاث سنين ، و منها أربع سنين ، فعرفت ١١ كذبه ،

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) في بر : منها . و الكلمة صححت بغير قلم النسخ .

(٣) في بن : و تعصب .

(٤) في بن : لا .

(٥) في بن : أننى .

(٦) في بن : و إسقاط .

(٧) في بن : ثمانى .

(٨-٨) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٩) في بن : منذ .

(١٠-١٠) ساقطة من بن [٢٠٢ : ب] .

(١١) في بن : فعلت .

فحكمت عليه بالرد والحياة ١ ، فاستحسنوا منه ذلك ، و لم يفهمها غيره ،
فكبر شأنه عند القاضي ، و ألحقه بدرجة الفقهاء الكبار لفهمه و حذقه ،
٢ وهم على الخائن حتى أعطى لصاحب الكيس الألف دينار ٢ - انتهى .
قال مالك رحمه الله في امرأة بالإسكندرية ، كتبت وصيتها إلى
ورثتها و هم بمدينة ٣ يثرب ، فلم يأت من ورثتها خبر ، فخرج رجل ٥
بتركها المودوعة عنده إليهم ، فهلك في الطريق ، فهو لها ضامن من
حيث خرج بها من غير إذن أربابها ، فلو استودع جرارا و شبهها
فنقلها نقل مثلها فتكسرت ، ضمن لأنها جناية خطأ . و قالوا فيمن وقف
على فخار ليشتري منه ، فأذن له في قلب الفخار ، فأخذ آنية فسقطت
من يده على آنية أخرى فانكسرت الآيتان ٦ معا ، لم يضمن التي سقطت ١٠
من يده و يضمن الأخرى لأنها جناية خطأ .

إذا أودع رجل رجلا وديعة ٧ و قال له لا تقبل عليها الصندوق ، فقفله
ضمنها . و احتج ابن عبد الحكم بأن الإقفال للصندوق إطماع للسارق فيما احتوى
عليه الصندوق و حائل له على ما في الصندوق ، كان عليه قفل أو لم يكن ،

(١) في بن : و خيائه .

(٢-٢) في بن : و رده على الخائن حتى أعطى لصاحب الكيس الدنانير .

(٣) ساقطة من بن . (٤) في بن : حين .

(٥) الكلام من هنا ساقط من بن ويستأنف في كل من بن و بر بالعبار « اختصم
رجلان في شاة » .

(٦) في بر : الآيتين .

(٧) في الأصل : وداعة .

والذى قاله ظاهر إلا أن يقال إن طلب السارق للصندوق المقلد أشد من طلبه لما لا قفل عليه . قال ابن عبد الحكم ولو قال رب الوديعة للودع اجعلها في قدر فخار ، فجعلها في [٢٦٧ ب] سطل نحاس ، فضاعت لضمن لأن السارق عينه إلى سطل النحاس أكثر من الفخار . ولو قال اجعلها في سطل نحاس ، فجعلها في قدر فخار فضاعت لم يضمن . ولو قال اجعلها في كمك فتركها في يده فضاعت لم يضمن ، لأنه بالغ في حفظها ، لأن كونها في يده أصون لها من كمه . إلا أن يقصد به إخفاءها عن عين الغاصب فليضمن ، لأن الكم أحرز من اليد ، ولو سعى بها الوديعة إلى مصادر ضمنها ، أى لو وشا بها إلى ظالم ، فانه ضامن بسبب التضييع فانه إنما أمسكها ليحفظها عن مثل هذا ، فاذا أخبر ظالما بها فذلك عين التضييع فيضمنها لربها - انتهى .

[حكاية في المخاصمة]

فلنذكر الآن ما قيل في المخاصمة و الفتيا إن شاء الله تعالى . 'اختصم رجلان في شاة قد أخذ كل واحد ٣ بأذنهما يقول هي لى . فمر رجل كان قد ولد له ولد وليس معه ما يشتري به شاة للعقيقة ، و كلفته امرأته لشرائها وهو حائر كيف يجتمع له ثمنها ، ويقول : لم كلفتى هذه المرأة

(١) كذا في بر ، وهذا القسم ساقط من بن .

(٢) من هنا يستأنف الكلام في كل من برو في بن .

(٣) في بن : رجل . (٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : قد .

لما لا طاقة لي به، و تكليف ما لا يطاق، يؤدي إلى الشقاق^١، و تلي^٢ قوله تعالى: "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها"^٣. و هو مفكر فيما ذا يفعله، فيينا هو كذلك و إذا بالرجلين^٤ قالا^٥ "لأبي المولود"^٦، و هما لا يعرفانه^٧: احكم بيننا في هذه الشاة، و معها حكمت به علينا رضيناها، فقد طال الخصام^٨ بيننا. فقال: إنكما لن^٩ ترضيا^{١٠} بحكمي، و إني لا أحكم إلا بالحق. فقالا: ه رضينا بحكمك. قال: لا أحكم حتى تحلفا^{١١} لي بالطلاق^{١٢} و العتاق^{١٣} و الحج^{١٤} و العمرة مشاة^{١٥} حفاة^{١٦} أنكم ترضون بحكمي. ففعلا ذلك و التزموا بالآيمان^{١٧}. فقال: حكمت عليكما أن^{١٨} "تخليها^{١٩} لي"، فانه ولد لي مولود، و كلفت لشرائها للعقيقة^{٢٠} و لا معنى ثمن شاة^{٢١}، و يحصل لكما^{٢٢} أجرها^{٢٣}. فقالا: خذها و امض^{٢٤} بها. فأخذها^{٢٥} و مر بها^{٢٦} و هما ينظران إليه. فقال ١٠

(١) الكلمة مطموسة في بن.

(٢) في بن: وتلا.

(٣) قرآن كريم ٢: ٢٨٦.

(٤ - ٤) في بن: له.

(٥) في بن: يعرفان.

(٦) في بن: لم.

(٧ - ٧) العبارة مطموسة في بن.

(٨) ساقطة من بن.

(٩) ساقطة من بر و واردة في بن.

(١٠) في بن: لمن هي له منكما.

(١١) في بن: فأخذ.

أحدهما^١ صاحبه: ضيعتها^٢ على بياطك، لا أبرأ الله^٣ لك ذمة،^٤ وسلط عليك النعمة^٥.

[حكاية فقيه وأعرابي بطريق مكة]

و مر بعض الفقهاء "بطريق مكة"، فأصابه عطش شديد، فقال:
 هـ هل من ماء؟ فقال رجل من العرب: عندى قرية ماء. فقال: اسقى
 منها. فقال: إنها موقوفة للبيع، و ظهر له قوة عطش^٦ الفقيه. فقال له
 الفقيه: بها منى. فقال: والله لا أبيعها إلا بخمسة "دنانير". فرأى^٧ الفقيه
 أنه^٨ لا بد له^٩ من شرائها لشدة عطشه^{١٠}. فقال له الفقيه: اشتريت منك
 القرية بمائتها بما ذكرت. قال البدوي: "نعم بعتكها بمائتها" بالثمن المعين،
 ١٠ "هات الدنانير". فأعطاه^{١١} [٢٦٨ ألف] خمسة دنانير وهو متألم لخروجها

(١) الكلمة ساقطة من بن.

(٢) فى بن: صنعتها.

(٣) ساقطة من برو واردة فى بن.

(٤ - ٤) الجملة ساقطة من بن.

(٥ - ٥) العبارة مطموسة فى بن.

(٦) فى بن: العطش من.

(٧) فى بن: أن.

(٨) زيد فى بن: وخوفا من أن يلقى نفسه (مطموس) تذكر

قوله (مطموس) تلقوا بأيديكم إلى التهلكة.

(٩ - ٩) العبارة ساقطة من برو واردة فى بن.

(١٠) زيد فى بن: الفقيه.

منه . افلما ملكها فتح فاها و شرب حتى ارتوى ، و زكا حينئذ ثم قال
للبدوى ١ : ٢ يا وجه العرب ٢ تأكل شيئا من سوق مصر ١ قال أى والله
و أراك كريما تشتري الماء بالذهب ، و تتكرم فى الفيا فى المنقطعة بالزاد .
فقال ٣ : أقصد ٤ بذلك الأجر ٥ . فقال البدوى ٦ : آجرك الله ٧ على فعلك ،
هات ٨ . فأخرج الفقيه سوقا كبيرا ٩ و ضعه ٩ فى قصعة ، و صب عليه سمنا ٥
كثيرا و قال له : كل يا أخا العرب إلى أن تشبع فاعتنمها الأعرابي
و أكل ما فى القصعة جميعه ، و كان ٩ الفقيه قد شرب منها حتى ارتوى
و وكأها ، فاشتد الحر ٩ و عطش الأعرابي من شدة حر الشمس و حر السمن ،
و الماء من البدوى على مسافة بعيدة ، فقال للفقيه : اسقى شربة ماء . فامتنع ،
فسأله ثانيا و هو يمتنع . فقال : تطعم العيش و لا تسقى الماء ، اسقى فقد ١٠
ألهب العطش كبدى . فقال : إن رددت على ٩ ذهبي سقيتك و أرويتك ،
و إلا مت عطشا ، أما يكفيك أكل سوقى و سمنى حتى تأخذ ١١ ذهبي منى ١٢ ؟

(١ - ١) الجملة واردة فى بن و فى بر « فقال له » و بقيتها ساقطة منها .

(٢ - ٢) الجملة ساقطة من بن . (٣) زيد فى بن : الفقيه .

(٤) فى بن : أنى أقصد .

(٥) زيدت فى بن جملة أغلبها مطموس و لا تؤثر على السياق .

(٦) فى بن : له .

(٧) زيد فى بن : تعالى .

(٨) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .

(٩) الكلمة مطموسة فى بن .

(١٠ - ١٠) فى بن : دنائرى .

فلم يجد البدوي^١ بدا من رد الذهب^٢ إليه ، فعند ذلك سقاه حتى ارتوى^٣ . ثم قال : مضت والله القرية ، بأكلة و شربة ، لا قوة إلا بالله ، فليتني ما^٤ أكلت من قصعة ، بأصابعي^٥ الخمسة^٦ و كنت فزت بالدنانير الخمسة . و مضى^٧ شعبانا ريانا ، و على^٨ الدنانير مقهورا^٩ ٣ ندمانا .

[حكاية في تأدية الشهادة]

دخل أبو دلالة الشاعر على قاض ، يؤدي عنده شهادة ، و خاف أن لا يقبله لمعرفته بحاله^٩ ، فأول ما قاله أبو دلالة :

إن الناس غطوني تغطيت عنهم و إن بحثوا عني فقيهم مباحث
و إن حفروا بئري حفرت بيارهم فسوف يروا ما ذا تشير النبائث^{١٠}

(١) ساقطة من برو واردة في بن .

(٢) في بن : الدنانير .

(٣) ساقطة من بن .

(٤-٤) في بن : ليتني لم .

(٥) مطموسة في بن .

(٦) زيد في بن [٢٠٣ : الف] : و كنت فررتها للدنانير الخمسة ، لكن هذه

آفة الطمع . قال الشاعر :

« و تضرب أرقاب الرجال المطامع »

(٧) في بن : ثم أنه ذهب .

(٨) في بن : لكن على ضياع .

(٩-٩) في بن : فقال له رقيبى !!

(١٠) في بن : النبائب .

ففهم القاضي عنه إنه ' إن رد شهادته هجاء ' ، وفي الهجو منقصة و ذلة
للرجل الفاضل ، و تذكر قول بعضهم :

لو هجا ' المسك و هو أهل لكل مدح لصار جيفة

فسأله القاضي عن أمره . ٣ قال : تأدية ٣ شهادة . فقال : أدها ! فأداهما
فقبلها منه ' و انصرف . * قال الشاعر :

ما دمت حيا فداري الناس كلهم فانما أنت في دار المدارات

من يدر دار... لم يدرسوف يرى عما قليل نديما للندامات *

٦ و بما قيل في معنى شعر أبي دلالة :

يا حافر البئر على ذروة عبي لرجليك مراقبها

١٠ من يحفر البئر ولا يتقى يوقعه رب السما فيها

و بما قيل أيضا في المعنى :

قضى الله أن البغي يصرع أهله و أن على الباغي تدور الدوائر

/ و من يحتفر بئرا ليوقع غيره سيوقع يوما في الذي هو حافر *

[٢٦٨ :

(١-١) في بن : بسبب أداء الشهادة و خاف إن رد شهادته هجاء .

(٢) في الأصلين : هجى .

(٣-٣) في بن : فقال أداء .

(٤) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٥-٥) هذا الجزء ساقط من بر و وارد في بن .

(٦-٦) هذا الجزء ساقط من بن . و زيد فيها قبل القصة التالية : و قد يفى المفتي
لأحد باحتياله لينفعه بفتاة فينفع ذلك المفتي كما قيل .

[حكاية رجل وامرأة وبعض المفتين]

جاء رجل إلى بعض المفتين فقال: إني خطبت عند قوم وقد ردوني، وأنا أحب أن أتزوج عندهم. فقال: ويحك علام ردوك. قال: ذكروا أني فقير. فقال: وما أصنع؟ فقال: قد دلوني عليك ه. تتحيل لي ولك الأجر. و صار يقبل يديه^١ ورجليه و يتضرع بين يديه^٢، ودموعه تسيل على خديه، فرثاله وقال: تقدر على نقدها و نفقتها. قال: نعم^٣. قال: إن^٤ كان ولا بد لك من الزواج بها، فبيع إحليلك مني. قال: و بيم^٥ أطأها إذا أنا بعتك إياه تقطعه وأصير كالخادم النادم، هذا^٦ لا يمكن أبدا أيها العالم. قال: هذا^٧ ما أخبرتك،^٨ ١٠ أنا أعطيك فيه ألف ٣ درهم. فقال: اتق الله و هل يمكن ذلك؟^٩ قال: ألفي درهم^{١٠}. ثم لم يزل به حتى قال: أنا أعطيك به عشرة آلاف درهم. قال: لا والله لا كان ذلك أبدا. قال: فاذهب الآن.

(١-١) ساقطة من بر و واردة في بن.

(٢) في بن: لا، و ربما كانت الكلمة هي الصواب.

(٣-٣) مطموسة في بن.

(٤) كذا في بن، و الكلمة في بر: و بما.

(٥) زيد في بن: مما.

(٦) في بن: هو.

(٧-٧) ساقطة من بن.

واخطب^١ ، فان طردوك فقل لآى شىء تطردونى ، فان قالوا لأنك فقير ، فقل إن المفتى فلان يعرف حالى ، ولا تتكلم بكلمة زائدة على ما قلت لك أبدا لئلا^٢ تفسد على^٣ الحيلة . فقال : سمعا و طاعة . ومضى إليهم يخطب^٣ ، فقالوا : إنا لا^٣ نزوجك . فقال : وما الذى^٣ كرهتم^٤ منى . قالوا : أنت^٥ فقير ولا قدرة لك . فقال^٦ : إن المفتى ه فلان يعرف^٧ حالى^٣ . فقالوا : إن عرف المفتى حالك^٣ زوجناك ! وأتوا إليه^٨ فسألوه عنه^٨ فقال : لا أعرفه ولا أعرف حاله إلا أنى^٩ رأيت بعض^٩ الناس ساومه فى^٩ سلعة يملكها^٩ أعطاه^٩ فيها^٩ عشرة آلاف درهم وأنى^{١٠} بيعها ، وما أظنه ترك^٩ بيعها إلا ويريد^٩ فيها أكثر من ذلك . فركنوا إليه و زوجوه و دخل بالمرأة ، فاذا هى^{١١} شابة جميلة^{١٠} متمولة ، و فخصوا عن أمره ، فلم يحدوا له شيئا . فعلت أنه ما وصل إليها إلا بحيلة ، فقالت^٩ له : عرقى من^٩ ذلك على^٩ . فقال : رأيتك

(١) فى بن : فاخطب .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) الكلمة مطموسة فى بن .

(٤) فى بن : كرهتموه .

(٥) فى بن : لأنك .

(٦) فى بن : قال .

(٧) فى بن : يعرفنى .

(٨-٨) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٩-٩) العبارة مطموسة فى بن .

(١٠) فى بر : و ابا . وفى بن : فأبى .

(١١) ساقطة من بر و واردة فى بن .

مرة^١ تنظري من طاق دارك^٢ فأحببتك ، فتحيلت عليك حتى وصلت
إليك . فقالت : أذكر لي حيلتك التي تحيلت بها كيف كانت ؟ فامتنع
فتسلطت عليه بالمضاجرة^٣ حتى أخبرها بما فعله المفتي معه ، فسكتت على
غبن و قهر ، و كان على باب^٤ 'درب المفتي'^٥ 'دار فيها'^٥ رجل^٦ يقال^٧
عنده ابنة بكر^٨ قرعا شلا زمنة كانت تعرفها و تتصدق عليها ، فلما كان
ثالث يوم من^٩ قول زوجها لها تلك الحيلة^٩ ، لبست أنفرا ثيابها ،
و تطيبت و تعطرت ، و أتت إلى منزل المفتي ، فضربت الباب ، فخرج
إليها فقال : ما قصتك ؟ قالت : فتوى عافاك^{١٠} الله . قال : تكلمي .
[٢٦٩ : الف] قالت : يا سيدي أنا ابنة فلان البقال الذي حانوته^{١١}
١٠ على باب هذا^{١٢} الدرب ، و قد أعتنى الحيل . و أبي^{١٣} كل من خطبني

،

- (١) الكلمة مطموسة في بن .
- (٢) ساقطة من بر و واردة في بن .
- (٣) ساقطة من بن .
- (٤-٤) مطموسة في بن .
- (٥-٥) ساقطة من بر و واردة في بن .
- (٦) كذا في بن ، و في بر : رجلا .
- (٧) ساقطة من بن ، و هي في بر : بقالا .
- (٨) زيد في بن : حين .
- (٩) في بن : المقالة .
- (١٠) في بن : أعزك .
- (١١) في بن : في أبي .

منه لا يزوجني ، و يعتذر باعتذارات ^١ ليست بصحيحة ، يقول ابنتي
 شلا اليد ، و هذه يدي - و أبرزت معصما كالجمار ^٢ فيه أساور الذهب
 و اللؤلؤ ، فرأى المفتي ما حيره . ثم قالت له : و يقول ابنتي قرعا -
 ٣ و هذا شعري ، فرأى شعرا أسود براقا حسنا . و يقول ابنتي كادومة ٣ -
 و كشفت عن وجه يتلألا حسنا و جمالا ، فبهت المفتي لما رأى . ثم ٥
 قالت : و يقول ابنتي زمناة عرجاء - و كشفت عن قدميها ^٤ و مشت
 بين يديه مشيا سويا ^٥ - و إنه لا يريد يا سيدي ^٦ يزوجني ^٧ ألبته ، و قد
 بلغت ^٨ و غيرتني البنات التي ^٩ هن أقراني بتزويجهن ^{١٠} قبلي ببواري و شوم
 بختي ، ٣ و قلة قسمتي و سوء حظي ٣ ، و جعلت تبكي و تلين كلامها في
 بكائها ، فأخذت بمجامع قلب المفتي ، و حركت بسواكته ^{١١} ، ^{١٢} و كانت ١٠
 امرأته توفيت ^{١٣} ، و هو عازب ينظر ١٣ في أمره ليجد ١٣ امرأة يتزوجها .

- (١) في بن : باعذار .
- (٢) في بن : كالجمار .
- (٣-٣) ساقطة من بر و واردة في بن .
- (٤) في بن [٢٠٣ : ب] : قدم كالجمار .
- (٥) في بن : مستويا .
- (٦) الكلمة ساقطة من بن .
- (٧) في بن : تزويجي .
- (٨) في بن : كبرت .
- (٩) في بن : اللواتي .
- (١٠) في بن : بتزويجهن .
- (١١) في بن : ما هو ساكن .
- (١٢-١٢) في بن : و كان قد توفيت زوجته .
- (١٣-١٣) الجملة ساقطة من بن .

فقال في نفسه هذه هي ^١ الزوجة المطلوبة للثقة ^٢ . ثم قال لها : هل لك ^٣ أن أتزوج بك ^٤ ؟ فما انقضى كلامه ذلك ^٥ حتى انكبت على قدميه تقبلهما و تقول : من ^٦ لي بأن أكون لك جارية و مملوكة ^٧ و خادمة . فقال : اذهبي في حفظ الله ! فانصرفت . و طلب البقال فحضر فقال : ^٨ زوجني بابنتك ^٩ . فقال : الله الله في أمري ، ان ابنتي قرعا شلا كادومة زمنة ، و لم تصلح ^{١٠} لغلामك ، فكيف لك ^{١١} ؟ قال : قد رضيت بجميع ما ذكرت ، ^{١٢} و دفع له ^{١٣} خمسين ديناراً نقداً ^{١٤} معجلة ، و وقع العقد على ^{١٥} مائة دينار ^{١٦} أخرى مؤجلة ، و شرط في نفس العقد أنه رضى ^{١٧} بجميع العيوب التي ذكرها أبوها فيها . و قال : عجل على بها ^{١٨} . فلما كان ^{١٩} المساء ، ^{٢٠} أحضر البقال ابنته يحملها هو و عبد له ، فلما رآها المفتي قال : ويلك

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) في بن : التمتع .

(٣-٣) في بن : أتزوجك .

(٤) في بن : و من .

(٥) في بن : ابنتك .

(٦) الكلمة مطموسة في بن .

(٧) في بن : بك .

(٨-٨) في بن : أعطاه .

(٩) ساقطة من بر و واردة في بن .

(١٠-١٠) مطموسة في بن .

(١١) كذا في بن ، و الكلمة في بن : راضى .

(١٢) في بن : بسناها (!!) .

ما هذه؟ قال: ابنتي التي زوجتك^١ بها^٢، عافاك الله^٣، وهي على ما وصفت وشرطت لك بحضرة العدول ورضيت بها. فقال: ويملك^٤ أحق ما تقول^٥؟ قال البقال: أمها^٦ طالق ثلاثا إن كان له ابنة^٧ سواها، فعند ذلك طلقها^٨ المفتي بالثلاث وقال^٩: ارددها إلى منزلك وأنت في حل من الخمسين^{١٠} دينار المعجلة، و اردد إلى^{١١} الصداق المؤجل. ففعل البقال له ذلك^{١٢}، و بقي المفتي متفكرا فيما جرى^{١٣} شهرا كاملا. فلما كان^{١٤} بعد الشهر، وإذا بتلك المرأة أتت^{١٥} في أحسن ما تكون من هيئتها الأولى، فسلمت على المفتي، فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟ فقالت^{١٦}: ما حملك أنت على ما صنعت، غررتنا برجل فقير، زوجتنا به بحيلتك^{١٧}، فكان جزاؤك^{١٨} مني أن^{١٩} احتلت^{٢٠} عليك، وأغرمتك^{٢١} خمسين دينارا حتى لا تعود تغرر ببنات الرؤساء الكبراء^{٢٢}، وتزوجهن

(١) في بن: ازوجتك .

(٢) الكلمة مطموسة في بن .

(٣-٣) كذا في بن، و الجملة في بر: اتقى الله .

(٤-٤) العبارة مطموسة في بن .

(٥-٥) في بن: مدة شهرين كاملين .

(٦) في بن: قالت .

(٧) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٨) في بن: اقبلت .

(٩) الكلمة ساقطة من بن .

بجيتك للفقراء^١ ، وتميل^٢ إلى [٢٦٩ : ب] الخلاعة^٣ ، بسومك^٤ تلك^٥ البضاعة ، التي لا تباع ولا تشتري ، بين سائر^٦ الوري ، فواحدة بواحدة جزاء . فبهت المفتي من كلامها ،^٧ وانصرف تضحك من توبيخها له و ملامها ، ثم أنها سعت في خلاص نفسها من زوجها الفقير و قالت له : امض بالخبيبة يا حقير ، و عادت إلى المفتي و قالت له : قد طلقني الذي احتلت له^٨ ، فان رغبت في فأنا بك راضية ، ولك جارية ، و يكون ما أخذته بنت البقال نقدي ، أشهد لك بقبضي له ، و يكون لتلك المسكينة ، تنفع^٩ به^{١٠} على ما بليت به^{١١} ،^{١٢} و تصدقني صداقها^{١٣} المؤجل إن اخترت . فقال : حبا و كرامة . فتزوجها^{١٤} بعد انقضاء^{١٥} عدتها ،^{١٦} و دامت^{١٧} له مودتها و عشرتها^{١٨} .

(١) في بن : للفا ليس .

(٢) الكلمة مطموسة في بن .

(٣) في بن : الخلافة .

(٤) الكلمة ساقطة من بن .

(٥-٥) في بن : ثم قالت ... (مطموسة) ... كلمتك و مضيت إلى زوجي

فأجرته إلى أن طلقني و الآن قد انقضت عدتي .

(٦) في بن : تنتفع .

(٧-٧) ساقطة من بن .

(٨-٨) مطموسة في بن .

(٩) في بن : فتزوج بها .

(١٠) في بن : وفاء .

(١١) كذا في بن ، و هي في بر : و دام .

[النخعي عن العدة]

و سأذكر ما قاله ^١ النخعي فيما ^٢ ٣ سئل عنه عن العدة إن شاء الله تعالى ^٣ . سئل النخعي هل للرجل عدة ^٤ ؟ قال : نعم عدة ^٥ واحدة و عدتان ^٥ و ثلاث عدد . قيل : كيف ذلك يرحمك الله ؟ قال : إذا كان للرجل أربع نسوة ^٦ ، فطلق الواحدة منهن طلاقاً سنياً ، فليس له ^٥ أن يتزوج غيرها ^٧ حتى تنقضي عدتها ، لأنها في حكم ^٨ عصمته ما دامت في العدة ، فلا يحل له ^٨ أن يملك خمسة في عدة ^٩ . و العدة الثانية ^{١٠} إذا طلق زوجته ، فأراد نكاح أختها ، ^{١١} فيتربص هو ^{١٢} حتى تنقضي

(١-١) في بن : و إذ قد ذكرت العدة فأذكر ما قال .

(٢) في بن : فيها .

(٣-٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : من عدة يعتد بها .

(٥-٥) في بن : و يعتد عدتين .

(٦) الكلمة مطموسة في بن .

(٧) في بن : بغيرها .

(٨) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٩-٩) في بن : يجمع خمساً في عصمته .

(١٠) في بن : الثالثة .

(١١-١١) في بن : وهي قد طلقها طلاقاً سنياً ، فليس له أن يتزوج أختها حتى

تنكح أختها حتى تنقضي عدة أختها فعليه . . . (مطموسة) .

عدتها ، فهذه عدتان . و أما العدة الثالثة: فالرجل يكون له زوجة ، ولها ابن من غيره ، فمات ابنها الذي هو من غيره ، فيؤمر ذلك الرجل باعتزال زوجته قرا واحداً و ذلك حتى تستبرأ ، و ليعلم أنها حامل أم لا ،^٢ لأنها إن كان^٢ يوم مات ابنها حاملاً فقد وجب للحمل ميراثه ه في^٣ أخيه المتوفى لأمه ، إذ هو أخوه لأمه إذا خرج و استهل صارخاً ، فيكون له السدس مما ترك أخوه ، و إن كانا اثنين^٤ كانا لهما الثلث ذكورا كانوا^٥ أو أنثاء^٦ .

و يجب^٧ الاعتناء بالنظر في العدة ، لأن الله سبحانه و تعالى أكد ذلك بقوله : ” و أحصوا العدة و اتقوا الله ربكم^٨ “ على خلاف بين المفسرين من المخاطب بذلك ، هل الحكماء أو المطلقون و هو الأظهر أو المطلقات . و اختار بعضهم أن الأمر بالإحصاء يتناول الجميع لأن لكل واحد منهم تعلقاً بذلك .

و العدد ثلاثة : عدة الطلاق و عدة الوفاة^٩ و الاستبراء . و الأولان

(١) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٢-٢) مطموسة في بن .

(٣) في بن [٢٠٤ : الف] : من .

(٤) في بن : اثنتين .

(٥) ” كانوا “ في بر قبل ” ذكورا “ و بعدها في بن .

(٦) و زيد في بن : انتهى . (و ذلك للدلالة على أن الكلام عن العدة في بن انتهى و دخول الكاتب في موضوع فقهي آخر) .

(٧) ابتداء من هنا يسقط الكلام الباقي في الموضوع من بن لآخر هذا المجلد .

(٨) قرآن كريم ٦٥ : ١ . (٩) في الأصل بر : الوفا .

مذكوران في القرآن . قال الله تعالى : ” والمطلقات يتربصن بأنفسهن
ثلثة قروء “ . وقال : ” والي يئسن من المحيض من نسائكم “ الآية .
وقال سبحانه و تعالى : ” والذي يتوفون منكم و يذرون ازواجا
يتربصن بانفسهن اربعة اشهر و عشرة “ . و هو خبر وقع موقع الامر ،
قال اللخمي : و المعتدات خمسة عشرة : ذات حيض ، و ذات حمل ، و صغيرة
لم تبلغ الحيض ، [٢٧٠ : الف] و مسنة قعدت عن الحيض ، و شابة
متأخر حيضها ، و مستحاضة ، و مرتابة ، و مرضع ، و صغيرة ابتدأت العدة
بالشهور ثم حاضت قبل أن تخرج من عدتها ، و يائسة ذات حيض ،
و مستحاضة ترى الحيض ، و مستحاضة ارتابت ، و مرتابة بحس بطن ،
و مرتابة لا بحس بطن . قال ابن رشد : العدة نجب بأحد وجهين : ١٠
إما بخلوة تعرف ، و إما باقرارها على نفسها بالمسيس . قال في المدونة :
و إذا كان الصبي لا يولد لمثله ، و هو يقوى على الجماع ، فظهر بامراته
حمل لم يلحق به ، و تحمد المرأة ، و إن مات هذا الصبي لم تنقض
عدتها من الوفاة بوضع حملها ، و عليها أربعة أشهر و عشر من يوم
مات . قوله تعالى : ” يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم ١٥
طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها “ .

(١) قرآن كريم ٢ : ٢٢٨ .

(٢) قرآن كريم ٦٥ : ٤ .

(٣) قرآن كريم ٢ : ٢٣٤ .

(٤) في الأصل : لم تنقض .

(٥) في الأصل : أربع .

(٦) قرآن كريم ٣٣ : ٤٩ .

قال ابن الحاجب المالكي : وإذا دخل الصبي وهو لا يقوى على
الجماع ، ولا يولد لمثله ، ثم صالح أبوه أو وصيه ، فلا عدة على امرأته
ولا صداق ولا غسل عليها إلا إن تلتذ ، يعنى إن أنزلت . ومقطوع
الذكر والخصيتين ، و ظاهر المذهب لزوم العدة .

و قال أبو حنيفة والشافعي : يلحق الخصي والمجبوب نسب ولد
زوجته إن كان ينزل . وقال أبو يوسف وزفر : يلزمه الولد ، ولم يشترطا
أنه ينزل . والحمل الذى تقضى العدة بوضعه لا يشترط فيه أن يكون
مصورا ، بل يصح أن يكون فى أول النطوف ، وهو العلقه فما فوقها ،
كما أن الأمة تكون بوضعها للعلقة أم ولد . وقال أشهب : لا تكون
الأمة أم ولد بالدم المجتمع ، ولا تنقضى به عدة المطلقة . قيل معنى
هذا أن يصب على الدم الماء فلا يذوب - والله أعلم بذلك .

(١) إلى هنا تنتهى مخطوطة برلين (بر) ، وقد آثرنا أن نختم المجاد الرابع بتمامها .
وبلاحظ أن المسائل الفقهية التى ختم بها الناسخ تلك المخطوطة ساقطة من (بن) ،
وقد استعاض ناسخ الأخيرة عن ذلك ببعض القصص والفتاوى الفقهية ملائها
الصفحتين بن ٢٠٤ الف - ب وقد تجاوزنا عنها فى هذه الحواشى لكثرة ما بها
من طمس وسقط وخبل يجعلها غير صالحة للنشر ، ذلك بالإضافة لقلة أهميتها
الموضوعية .

و ناسخ (بن) يستأنف الكلام من جديد (٢٠٤ : ب) عن « ذكر الرتب
العلية التى بعد الإسكندرية و ذلك أن الأمير صلاح الدين خليل بن علاء الدين
على الشهير بابن عرام نائب السلطنة بالإسكندرية لما (ولى) بالإسكندرية النخ »
وفىها يستمر الكلام حتى الورقة (٢٧٦ : ب) حيث يختم الناسخ المخطوطة بقوله :
تم الكتاب ، بلطف الملك الوهاب ، بتاريخ مستهل ذى قعدة أح (٤ شهور) =

=سنة تسع وثمان (ثمانية) . واسم النسخ غير مذكور ، و المخطوطة بخط نسخ معتاد ، ورغم ما بها من أخطاء لفظية و عبارات ساقطة و طمس بالرتوبة و ترميم بالتجليد ، فإن قيمتها عظيمة لما ورد بها من الأقسام التي سقطت من مخطوطة برلين و التي أكملنا بها النص كما يرى من صلب المجلدين الثالث و الرابع . و صفة مخطوطة الهند أن عدد أوراقها ٢٧٧ ورقة ، و بكل من صفحاتها ٢٧ سطرا و مقاسها ١٧ × ٢٠٠ مليمترا . و هي مصورة في معهد إحياء المخطوطات العربية تحت رقم القيد ٣٠٨٥ ص ٢٨٢/١ ، و المكتبة خدابخش بته تحت رقم ٢٣٣٥ . راجع « فهرس المخطوطات المصورة » جزء ٢ (التاريخ) ص ٣٠ - ٣١ .



خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء الرابع من كتاب الإمام
للعلامة محمد بن قاسم بن محمد النويرى رحمه الله يوم الأحد الحادى والعشرين
من شهر رمضان المكرم سنة ١٣٩٠ هـ الموافق ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٧٠ م .
والجزء الرابع هو آخر ما جاء فى مخطوطة برلين . اعتنى بتصحيحه
و التعليق عليه الأستاذ الفاضل المستشرق الدكتور عزيز سوريال عطيه -
أبقاه الله للخدمة العلمية . و عني بتنقيحه و مراجعة النسختين راقم هذه الخاتمة
تحت إدارة الحسيب اللبيب صاحب الفضيلة المدير السيد محامد على العباسى
عم كرمه الدانى و القاصى .

و فى الختام ندعو الله سبحانه و تعالى أن ينفعنا به و يوفقنا لما
يحبه و يرضاه ، و هو حسبنا و نعم الوكيل ، و لا حول و لا قوة
إلا بالله العلى العظيم . و صلى الله على خير خلقه و نبيه الكريم سيدنا
محمد و آله و صحبه و سلم أجمعين . و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

محمد عظيم الدين غفرله

(كامل الفقه بالجامعة النظامية)

المصحح بدائرة المعارف العثمانية

Al-...

BU...